منبر الإسلام

مع العدد: المنتخب من السنة النبوية الشريفة
"الفردوس" مجلة الطفل المسلم

الثمن ١٥ قرشا

العدد ٤ • السنة ٣٦ • ربيع الآخر ١٣٩٨ • مارس ١٩٧٨

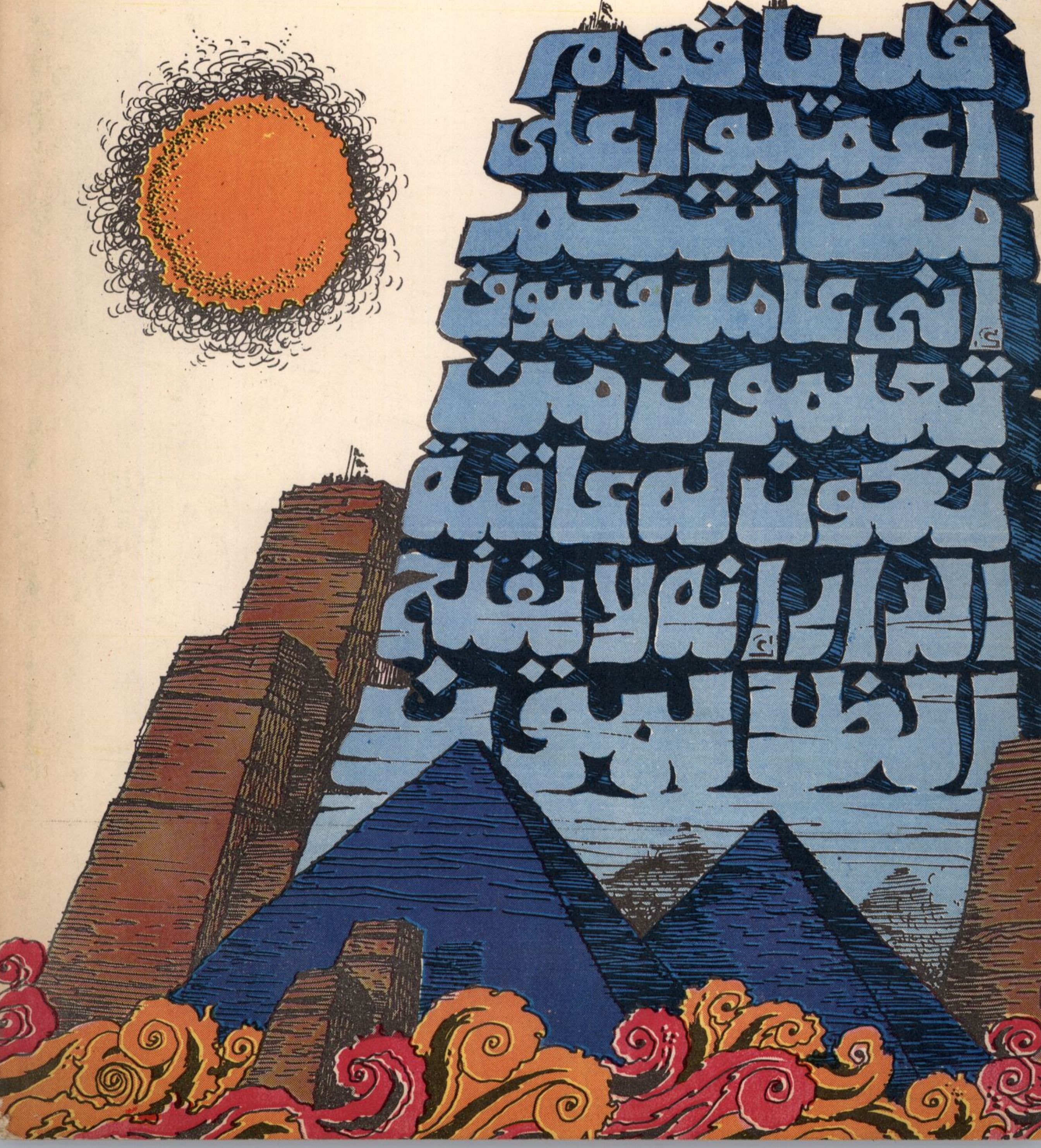

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة

في غرة
كل شهر عربى

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضه

العدد ٤ ، السنة ٣٦ ، ربيع الآخر ١٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

● نص الكلمة التى القاها الرئيس المؤمن محمد انور السادات امام قوات رمزية من الصاعقة والطيران العائدين من مهمتهم فى قبرص ٢٢/٢/١٩٧٨

● خصائص القصة القرآنية — الأستاذ فتحى رضوان
● «لا» أصلية فى القرآن الكريم — الدكتور أحمد الحوفى
● من دقائق القرآن — الدكتور عبد المنعم سيد حسن
● الحدود وحكمة تشريعها واثر تطبيقها — الشيخ محمد خاطر
● فى اصول الفقه ـ البيان — الدكتور محمد سعاد جلال
● فى ظلال الاسلام — الأستاذ عبد العظيم منصور
● الشهيد يوسف السباعى — الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
● الزعامة للأوفى [قصة العدد] — الأستاذ محمد عباس محمد

العنوان : ٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة
تليفون : ٢٨١٥٦ ـ تلغرافيا : الاسلام ـ القاهرة .

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية ـ ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف إليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى . . تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين .

معالم الطريق

الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

نص الكلمة التى ألقاها الرئيس المؤمن

محمد أنور السادات

أمام قوات رمزية من الصاعقة والطيران

العائدين من مهمتهم فى قبرص

٢٢/٢/١٩٧٨

الرئيس يحدد فى خطابه ما حدث فى قبرص ودور قوات الصاعقة فى الافراج عن الرهائن .

أعلن الرئيس السادات فى كلمة ألقاها أمام قوات رمزية من الصاعقة والطيران سحب اعتراف مصر بالرئيس القبرصى سبيروس كبريانو ورفضه لأى لقاء مع رئيس قبرص ، حتى تفسر السلطات القبرصية ما حدث من غدر ضد رجال الصاعقة المصرية وتسلم القاتلين المأجورين اللذين اغتالا الشهيد يوسف السباعى .

وفند الرئيس السادات فى كلمته الحجج التى تذرع بها الرئيس القبرصى لتبرير التصرف الغادر للقوات القبرصية ، وقال انه حتى على فرض اننا لم نستأذن من قبرص ، فما كان يجب أن يحدث ماحدث خصوصا وأن مصر قدمت لقبرص مساعدات لم تقدمها لها حتى اليونان رغم أن معظم سكان الجزيرة من أصل يونانى .

وأشار الرئيس الى ان السباعى الذى قتل فى قبرص ظل يدافع ٢٢ سنة عن استقلال قبرص ، وعندما أفرج عن مكاريوس من المنفى استقبلته مصر وكرمته . ويتساءل الرئيس هل معنى ما حدث أن هناك تواطؤا من جانب قبرص ؟

وحذر الرئيس السادات العناصر الفلسطينية التى انصرفت لتأجير نفسها للقتل والارهاب فى الصالات والملاهى بينما تدافع مصر عن قضية فلسطين فى كل مكان . واكد الرئيس أن مصر قادرة على أن ترد كل ضربة بعشر ضربات ولن يكون مصير مصر فى أيدى حفنة من العملاء كما أن احدا لن يستطيع أن يفرض على مصر اى خط يريده .

وقال الرئيس ان جباهنا ستظل مرتفعة تضىء الطريق للعدو والصديق ، وانه برغم بعض التحديات الصغيرة التى تواجهها مصر فستظل مصر قلب الأمة العربية ومفتاحها .

وفيما يلى نص الرسالة

بسم الله ...

أبنائى رجال الصاعقة ورجال الطيران ..

باسم شعبكم وباسم شخصى أوجه لكل فرد منكم تحية خاصة لهذا العمل البطولى الرائع الذى قمتم به فى قبرص دفاعا عن مصر ، دفاعا عن كل ابن من أبناء مصر ، دفاعا عن رسالة مصر ، دفاعا عن كرامة مصر .

تعلمون أننا نواجه يا أبنائى بعض التحديات الصغيرة لا أستطيع أن أصفها بأكثر من انها بعض التحديات الصغيرة لأن القائمين بها صغار فى تفكيرهم صغار فى تصرفهم كان لابد أن يفهم هؤلاء أن مصر ستظل هى مصر قلب الأمة العربية وستظل هى المفتاح لهذه المنطقة فى كل شىء أرادوا أم لم يريدوا .

تعلمون بمبادرتى بزيارة القدس ، سمعتم عنها قمت بها وسمعتم أنتم ، قلت اننى أذهب الى آخر هذا العالم اذا كان ذلك يمنع قطرة دم واحدة لابن من أبنائى الجنود والضباط ، ذهبت فعلا الى الكنيست وسمعتم وسمع العالم كله كيف واجهتهم هناك ، بكل الحقائق ، واهتز العالم كله من اقصاه الى اقصاه وما زال يهتز الى يومنا هذا فتغيرت مفاهيم كثيرة ، اذا كانت الحكومة الاسرائيلية لم تغير مفاهيمها بعد فليس هناك عودة الى الوراء مهما فعلوا ، لن تكون هناك عودة الى الوراء بعد أن وافق العالم كله ويقف الى يومنا هذا معنا من أجل بناء السلام ..

سنأخذ القصاص ممن اشتركوا فى الجريمة

يغفر للبعض .. حقد مرة جهل مرة عجز مرة او كل هؤلاء مع بعض والحقد على مصر لأن العالم كله الآن كما تقرؤون يا أبنائى لا يتحدث الا عن مصر ..

سمعتم فى رحلتى الأخيرة للولايات المتحدة بعد اجتماعى مع الرئيس كارتر وعودتى الى أوربا ومقابلتى مع كالاهان رئيس وزراء انجلترا وشميث رئيس وزراء ألمانيا وكرايسكى رئيس وزراء النمسا وشاوشيسكو رئيس جمهورية رومانيا وديستان رئيس الجمهورية الفرنسى وليونى رئيس جمهورية ايطاليا والبابا ، سمعتم كلكم عن هذه الرحلة وكيف أن العالم لا يزال الى يومنا هذا مبهورا لتحركنا الواعى المحافظ على كل حق ..

لم يكن هذا أيها الابناء متيسرا بدون معركة اكتوبر وما بذلتموه أنتم رجال الصاعقة والطيران والقوات الخاصة وبقية فروع القوات المسلحة كلها والاداء الرائع الذى حدث فى اكتوبر ٧٣ . فى اسرائيل اعتراف كامل لقواتنا المسلحة ولأدائها البطولى الرائع لان هذا هو الذى يغرى بعض الصغار لكى يرتكبوا مثل ما ارتكبوا جريمة قتل السباعى ثم يحاولون بعد ذلك أن يوهموا العالم انهم يكونون جبهة او ان لهم اى قيمة او تأثير فى العالم كله يعرف أنهم صغار وهنا فى هذا

• ستظل مصر قلب الأمة العربية ومفتاحها.

المكان اعاهدكم يا ابنائى بأن اقتص من كل من له يد فى هذه الجريمة ..

أعاهدكم كما أعاهد شعبنا على ذلك مصر لا تعتدى .. من يعتدى علينا عليه أن يتحمل النتائج وعليه أن يعلم أننا سنرد الاعتداء بعشرة أمثاله .

جيبوتى وافقت على استقبال الصاعقة

واجبنا هنا يا ابنائى أن نحمى شرف بلدنا ، لما تعرض السباعى لجريمة الغدر والخيانة والسفالة من هؤلاء الصفار قررنا أن نقتص من الذين ارتكبوا هذه الجريمة لنقول للاخرين اننا سنذهب الى آخر هذا العالم سنذهب لنقتص لكل من تحدث له نفسه بأن يمس كرامة مصر أو ابناء مصر هذا واجبنا فى القوات المسلحة .. وتتبعنا الطائرة وأصدرت اوامرى .. وكان مفروضا أن تتم هذه العملية فى جيبوتى واذيع لكم للمرة الأولى أننا اتصلنا بجيبوتى وأفادت جيبوتى باستعدادها الكامل لاستقبالكم لكى تؤدوا واجبكم ولكن تغير الموقع وغادرت الطائرة وعادت الى قبرص فغيرنا مسار الطائرة من جيبوتى الى قبرص لكى تقوموا بواجبكم من أجل مصر .. من أجل أن نثبت للعالم كله أننا نرد العدوان عشرات المرات وحدث اتصال بجيبوتى ووافقت جيبوتى وحدث اتصال بقبرص وأخطروا بأن الطائرة تحمل ابناء لنا لكى يساعدوا الحكومة القبرصية على مواجهة هذا العدوان وهذا الاجرام وخاصة وقد اهان هؤلاء رئيس قبرص ذاته الذى يكاد يتحدث اليوم، أهانوه .. وقد اتصل بهم قالوا اننا لا نتحدث معه « انده لنا رئيس الحزب الاشتراكى » على الأقل كان لابد أن يغضب لكرامته ولكن للاسف علموا انكم فى طريقكم اليهم وعلموا أنكم نزلتم فى مطار لارناكا .. ولكن هناك علامات استفهام كثيرة المستقبل كفيل بأن نبحث فيها ونجد اساسها ونلقن كل من كانت له يد فى هذه الخيانة وهذا الغدر الدرس الذى لا ينساه .

قدمنا لقبرص معونة مصر الكاملة

ولكنى اقول لكم يا ابنائى انتم تعلمون كما حدث فى اكتوبر . نحن نعمل عملنا فى منتهى الدقة وفى منتهى التحضير .. أخطرت قبرص ولكن انا افرض انه لم تخطر قبرص دعونى افتح كتب التاريخ تاريخ قبرص معنا ونحن مع قبرص .. يوسف السباعى الذى قتل فى قبرص من مجرمين اثنين جردا البوليس القبرصى من سلاحه .. يوسف السباعى هذا ظل ٢٢ سنة كاملة يدافع عن قبرص .. يوم أن خرج مكاريوس وكان صديقا عزيزا واخا حبيبا لى .. يوم أن خرج من شبه جزيرة سيشل من المنفى .. استقبلته مصر واجرت له التكريم هنا فى مصر حتى استقلال قبرص .. ويومها ذكرت العالم كله اين مكاريوس واين ايدن الذى اعتقله .. كان ايدن قد انتهت حياته السياسية نهائيا وكان مكاريوس عائدا من المنفى ليحقق استقلال قبرص . فى التاريخ ايضا والكل يسمعنى فى قبرص هذه القوات المسلحة فى وقت أن كانت قبرص عزلاء لم يجد مكاريوس الا مصر يلجأ اليها .. وارسلنا له السلاح .. ويعلم هذا رئيس الجمهورية الان الذى جاء بعد مكاريوس .. يعلم هذا تمام العلم .. ويعلم انه حتى اليونان وهم من أصل يونانى .. القبارصة اليونانيين من أصل يونانى .. حتى اليونان لم تقدم له ما قدمته مصر رحم الله مكاريوس كان بطلا وكان رجلا . قدمنا لقبرص ووقفنا معها فى الاستقلال .. فى كل الميادين .. وكما قلت لكم كانت تربطنى أوثق الصلات بمكاريوس يوم أن قام ضده انقلاب قام به ضباط يونانيون .. جاء الى هنا يزورنى بعد أن خرج متخفيا من الجزيرة طلبت منه أن يبقى فى الاسكندرية ويستخدم الاسكندرية كمركز رئاسة له الى أن يعود الى بلده هذه علاقتنا مع قبرص من هنا اقول .. حتى ولو لم نكن استأذنا قبرص .. كبريانو اليوم يعرف كل هذا الكلام الذى اقوله الان امامكم .. ويسمعه اليوم يطلب أن يقابلنى .. **ليس بينى وبينه اى كلام .. على قبرص أن تسلمنا المجرمين المأجورين وبعد ذلك نبدأ الكلام .. ولن نتنازل عن هذا .. وعلى قبرص أيضا أن تبرر ما حدث من غدر لأبناء الناس .. كما قلت لكم حتى بدون استئذان ما كان هذا يحدث أبدا اطلاقا .**

ما استطاعوا يوقفوا مجرمين اثنين وهنا بنتساءل هل هناك تواطؤ أم لا .. ولكن عندما ياتى ابنائى لكى يعيدوا لرئيس قبرص شرفه المجرمين الاثنين رفضوا أن يتحدثوا اليه عندما ياتى ابنائى ليعيدوا لرئيس قبرص شرفه واعتباره ولقبرص شرفها واعتبارها يرتكبوا هذه الجريمة

ابطال الصاعقة يتابعون حديث الرئيس السادات الذى اكد فيه على ان مصر قادرة على الدفاع عن كل ابن من ابنائها .

الغادرة المسألة ليست مسألة استشهاد ابناء لى نحن جميعا وفى كل وقت جاهزين للاستشهاد من اجل مصر .. ولكن نحن لا نقبل الغدر ونحن لا نقبل الخيانة ونحن نرد العدوان كما قلت بعشرة أمثاله .. يسمعنى رئيس قبرص الان ..

كما سارت الأحداث ، قائد الصاعقة ترك لهم ساعة ونصف يتحدثوا خلالها مع المجرمين المأجورين .. كان الاتفاق عندما علم قائد الصاعقة ولديه تكليف محدد ان يعود بالرهائن وبالمجرمين الارهابيين .. وهو يتابع ما يدور بين برج المطار والمجرمين اتضح .. اتضح لنا نحن هنا فى مصر ايضا .. لاننا كنا نتابع كل شىء فمثلا ابعدوا قائد الصاعقة هناك عن الموقع فى أرض المطار .. اتضح أن قبرص تجهز باسبورين لهم لمجرمين علشان يتركوا قبرص ويسافروا .. وكأنهم لم يرتكبوا جريمة .. عندئذ اتخذ قراره قائد الصاعقة ونفذ عملياته .

وأنا اقول لكم يا أبنائى لقد استعرضت كل هذا .. وكما تعلمون انتم .. وكما عملنا فى إكتوبر نراجع كل شىء .. لقد قام كل انسان فى القوات المسلحة بواجبه على أروع وجه .. قائد الصاعقة فى الموقع والقرار الذى اتخذه بهجومه على الطائرة وانقاذ الرهائن والقبض على المجرمين .. اتم المهمة وأتمها بقرار اتخذه من واقع المهمة المكلف بها .. لم يكن قراره وانما هو قرارى أنا يا أبنائى .. اى ابن من أبنائى فى اى موقع يأخذ التكليف ، يأخذ أيضا الى جانب هذا التكليف هذه السلطة والحرية والكرامة ..

عملية غدر خسيسة، ولكن كما قلت لكم لن تمر أبدا بغير عقاب لن تمر أبدا بغير عقاب .. وليسمعنى الجميع فى العالم الان .. كان قرار الحكومة بسحب البعثة الدبلوماسية قرارا سليما واعيا ..

كبريانو سيدفع ثمن التراخى والتواطؤ

وأريد ان أقول لكم أيها الابناء فى معركة التحدى التى نعيشها اليوم يريدون أن ينالوا من مصر ولكن مصر عبر القرون ستظل هى مصر .. ومن هنا عبر العرب بكم ، بدمائكم ، بفدائكم عبروا من

بعد أن انتهى الرئيس السادات من القاءكلمته ، قدم اللواء نبيـل شكرى قائد قوات الصاعقة هدية رجالها الى الرئيس وهى عبارةعن مصحف شريف . ثم دار بعد ذلك حوار قصير قال فيه الرئيس لقائد الصاعقة ((لقدأبلغنى القائد العام أنك نفذت مهمتك كاملة ، وقبضتم على القاتلين : وأنقذتم الرهـائن ،وقرارك الذى اتخذته أثنـاء العملية صح ، وأنا مسـئول عنـه)) ثم صـافحه الرئيس السادات .

كما صـافح أفراد الصـاعقة ومن بينهمالمصابون الذين اشتركوا فى العمليـة الذين قدمهم الى سيادته قائـد الصـاعقة وبعدهاغادر الرئيس القاعة .

على قبرص تفسير موقفها المتواطئ وتسليم القاتلين المأجورين لحكومة مصر ..

الهزيمة الى النصر عبروا من الذل والمهانة الى الكبرياء عبروا واصبحوا القوة السادسة فى عالم اليوم .. بكم انتم بأدائكم انتم ، ما زال امامنا واجبات اخرى سنؤديها أيها الابناء لكى يعلم من لم يعلم او من لا يريد أن يعلم أو من يكابر ، كى يعلم مكانه وحجمه تماما أمام مصر وسارت المهمة فى لارناكا على أكمل صورة وانتهت المهمة الموكولة لها للافراج عن الرهائن والقاء القبض على المجرمين .. ابنائى الذين استشهدوا فيها نتيجة للغدر الذى تمثل فى قرار كبريانو لابد أن يدفع ثمنه ..

اقول لكم .. لقد اديتم المهمة واثبتم مرة أخرى لمن يكابر أن مصر العبور .. مصر التى عبرت ابشع مانع مائى يمكن أن يوجد فى التاريخ العسكرى والتى حطمت خط بارليف بكم بأدائكم بقتالكم ستظل دائما فى السماء ستظل دائما عالية الجبين لن ينال منها صغار ابدا .. نحن على استعداد أن ندفع حياتنا جميعا لكى تبقى مصر عالية الجبين ..

سمعتمونى فى يوم ١٦ اكتوبر وفى أول معركتنا وانا أقول حتى ونحن مهزومين قبل معركة عام ٧٣ حتى ونحن نتمزق من المرارة وحتى وجباهنا تنزف الدم من المهانة لم نخفض جباهنا ابدا بل جباهنا فى السماء فماذا يكون وقد انتصرنا وعبرنا فى أكتوبر بأمتنا كلها ليس مصر وحدها وانما بأمتنا العربيـة .

كل هذا لكى يسمعه العالم كله .. سنرد كل عدوان بعشرة امثال ، فليسمعوا جميعا هذا ..

● جباهنا ستظل مرتفعة تضئ الطريق للعدو والصديق .

سنسحب اعترافنا

بالرئيس القبرصى

اما فى قبرص فعليهم ان يتحملوا نتائج ما حدث انتم تعلمون أن قبرص تعيش مشكلة .. مشكلة الاحتلال التركى .. الذى تم بعد محاولة الانقلاب التى تمت ضد مكاريوس .. حينما أنتخب كبريانو هذا لم يعترف به الاتراك فى الجزيرة .. أول من اعترف به كانت مصر .. كانت أوامرى واضحة لوزير الخارجية لكى يعزز مكانه .. لماذا لأننا اتخذنا لنفسنا دائما طريق الحق .. طريق الحقوق .. طريق الحرية .. مكاريوس كان علما على كل هذه المعانى وكان مناضلا شريفا وأردت ان اكرم خلفه واعترفنا به من أول لحظة .

.. اليوم وبعد قرار مجلس الوزراء وأنا الذى طلبت من وزير الخارجية أن يبادر فورا بالاعتراف بكبريانو أن يعترف به تحديا لكل القوى من حوله، اليوم أمامكم يا أبنائى بعد مكاريوس لم يعد هناك مكان لكى نتعامل مع مثل هؤلاء الأقزام ..

اعترفنا به كرئيس للجمهورية وهو يسمعنى الان تأكيدا لدور مكاريوس معنا فى الكفاح الطويل .. اعترافنا به مسحوب من اليوم .

لابد من تسليم المجرمين القاتلين المأجورين ولابد أن يعلم الفلسطينيون قبل العرب جميعا أن مصر سترد على كل ضربة بعشر ضربات الغدر والخيانة والخداع فى كل مكان بلبلة .. وفى كل محفل بندافع عن قضية فلسطين باعتبارها قضيتنا جميعا .. وهم منصرفون هناك لكى يؤجروا أنفسهم قتلة بالأجر ارهابيين بالأجر .. فى الصالات فى الكباريهات .

فليعلم هؤلاء .. فليعلم من لم يعلم كما قلت أن مصر ستظل هى مصر الأم الأساس مصر هى مصر العرب التى عبرت بهم واعادت لهم ثقتهم فى أنفسهم .. مصر ستدوس الأقزام .. ستدوس هؤلاء الأقزام مهما كلفنا الأمر .. فلا عودة ابدا الى الوراء .. ولا يمكن ابدا أن اسمح مرة أخرى بأن يكون مصير مصر فى أيدى حفنة من العملاء أو الصغار او المجانين .. لن اسمح ابدا بفرض اى انسان مهما تصور قوته على مصر اى خط يريده .. لأن مصر تعرف تماما ما تريده .. ومصر تعرف مسئولياتها التاريخية وتعتز بها .. ومصر ستقول لكل هؤلاء الصغار .. كل هؤلاء الأغبياء .. كل هؤلاء المنتفعين كل هؤلاء المهرجين .. ستقول لهم مكانكم .

ولن أجد ما أختم به كلامى يا أبنائى الا ما قلته .. حتى فى أحلك اللحظات حينما كانت جباهنا تنزف الدم والمرارة والألم والمهانة من الهزيمة .. لم تنحن جباهنا وانما ظلت جباهنا فى السماء واليوم وبعد حرب اكتوبر وبعد جيل اكتوبر الذى أوجدتموه أنتم يا أبنائى بأدائكم ..

ستظل جباه مصر دائما والى الأبد ان شاء الله فى السماء عالية مضيئة .. تضىء للكل الطريق .. للعدو والصديق .. وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله ..

● لن نقبل الغدر ولا الخيانة وسنرد العدوان بعشرة أمثاله .

دراسات قرآنية

تفسير سورة النساء

الآيات من ٤-١٠

- إلى من يتصورن أنهن تقدميات .
- المرأة فى أوربا تسوق المهر لزوجها والشريعة الإسلامية تلزم به الرجل .
- الإسلام دعا للمحافظة على المال واستغلاله لصالح الجماعة .

الأستاذ احمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء منه نفسـا فكلوه هنيئـا مريئا ، ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا ، وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيـرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهـم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا ..

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ، واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ، وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ،ان الذين يأكلون أمـوال اليتامى ظلما انمـا يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ..

« وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » :

الشريعة الاسلامية وفرض المهر للزوجة :

تضعنا هذه الآية فى صميم بعض الانحرافات التى يقع فيها بعض نسـاء المسلمين فى العصر الحديث ممن يتصورن انهن عصريات ، فيطالبن ببعض ما تطالب به المراة الأوروبية أو الأمريكية ناسيات أن كل مجتمع له ظروفه ، وأن الشريعة الاسلامية منحت للمراة المسلمة ما لم تمنحه للمراة اى شريعة اخرى سماوية كانت أو وضعية ويبدأ خطأ النساء المسلمات ممن يصفن أنفسهن بأنهن عصريات ، ذلك انهن يتمتعن بما منحتهلهن الشريعة الاسلامية باعتبـار أن ذلك بديهية من البديهيات ويطالبن ببعض ما تتمتـع به المراة الأوربية ، نتيجة لفقدانها حقوق المراة المسلمة ، فحيث جرت العادة فى المجتمعات التى (توصف بالتمدن) ان المراة هى التى تسوق المهر لزوجها ممـا يسمونه (بالدوطة) وباللغة العربيـة « البائنة » فأصبحت المراة لا تتزوج بغير بائنة « دوطة » فما من رجل يتزوج الا ويسأل أولا عن أموال من سوف يتزوجها ، وكم ستكون « دوطتها » وذلك عندهم أمر طبيعى جدا ، فأى امراة ستكون عبئا ماليا اضافيا على من سوف

تتزوجه ، ومن هنا ، فهو لا يقبل أن يتزوج بامرأة الا اذا حملت معها ما يخفف عنه أعباءها، ولا يقولن قائل ، ان هذا أصبح غير متبع فى الحاضر ، فنحن نتكلم عن الشرائع وما سنته من قواعد وحقوق وهاهى الشريعة الاسلامية تعكس الوضع بالنسبة للمرأة ، فحيث تسوق المهر لزوجها ، فرضت الشريعة الاسلامية على الرجل أن يكون هو الذى يسوق المهر لزوجته وذلك يبين من قوله تعالى : **« وآتوا النساء صدقاتهن نحلة »** .

الصدقات : جمع صدقة (بضم الدال) سواء فى الجمع والافراد ، ومعناها المهر .

نحلة : تعنى فريضة واجبة ، وقيل فريضة مسماة وأصل معناها « العطية » يقال : نحلت فلانا كذا ، أى أعطيته شيئا : والنحلة من ناحية أخرى تعنى « الديانة » وثمة كتاب اشتهر فى التراث الاسلامى لحديثه عن مختلف الأديان ،هو « الملل والنحل » للشهر ستانى ، ومن هنا قال البعض « نحلة » أى تدينا ، وأيا كان معناها عطية كانت أو تدينا ، أو فريضة واجبة أو فريضة مسماة ، فلا خلاف بين الفقهاء فى وجوب المهر لانعقاد الزواج ، وعندنا أن ذلك مستفاد من قوله تعالى : **« وآتوا النساء صدقاتهن »** وتكون نحلة أيا كان معناها هى تأكيد لهذا الأمر بالاعطاء .

« فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » أى اذا جادت المرأة لزوجها ببعض صداقها ، عن طواعية واختيار ورضا ، فلا جناح على الزوج أن ينعم بما أعطته اياه زوجته **« فكلوه »** وغنى عن البيان ، ان الزوج لن يأكل ما يعطاه من الصداق الذى قد يكون نقودا معدنية أو ورقية وانما هو كناية عن استحلال ذلك ، أى جوازه ومشروعيته .

وقيل أن المخاطب هنا هو ولى الزوجة ، وهو قول شاذ وليس بشىء ، فالقول صريح وقاطع **« فان طبن »** .

هنيئا مريئا : هنيئا ، أى الطيب المساغ الذى لا ينغصه شىء ، والمرىء : المحمود العاقبة التام الهضم الذى لا يضر ولا يؤذى .
قال الشاعر العربى :

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقيل ان هنيئا تعنى **« لا اثم فيه »** ومريئا تعنى لا داء فيه .

وقد جعل الاستعمال الجملة بمثابة تمنى الخير للاكل مثل قولك **« بالهناء والشفاء »** .

« ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » :

وتكشف هذه الآية عن عظمة الشريعة الاسلامية وتفوقها على اليهودية والنصرانية معا ، فحيث انحرفت اليهودية فجعلت المال والاستكثار منه (بأى أسلوب) هو غاية الغايات فى هذه الدنيا ، جاءت النصرانية كرد فعل لهذا الانحراف ، فاتجهت الى الطرف الآخر، الذى هو انحراف بدوره ، أما هذا الطرف فهو كراهية المال والنهى عن امتلاكه ، فنطالع فى هذه الأقوال المنسوبة الى السيد المسيح ، أنه طلب من انسان غنى ، أن ينزل عن كل ماله ويتبعه فقيرا مجردا من كل شىء ، فانصرف الرجل حزينا لأنه كان غنيا ، ويقول العهد الجديد : فقال المسيح لأتباعه : **« الحق أقول لكم أنه يعسر دخول الغنى ملكوت السماء كما يعسر دخول الجمل فى سم الخياط »** أى ثقب الابرة . وهكذا اعتبرت المسيحية الغنى أحد آفات الانسان . ولعلك ترى أن المسيحيين فى طول العالم وعرضه (باستثناء النذر اليسير) يتسابقون للحصول على الغنى ، فالامريكان مثلا قد جعلوا قيمة الانسان بما يملك من دولارات ، وذلك كله يقطع بأن دعوة المسيحية لذم الغنى ، هى دعوة ضد الطبيعة البشرية ، فما دام المال هو السبيل لاشباع حاجات الانسان ، فقد جعلت غريزة البقاء حب الانسان للمال ، شيئا طبيعيا ،ومن هنا جاء الاسلام ، لا يصادر هذه الغريزة ، بل ينظمها ، شأنه فى ذلك موقفه من الغرائز كلها فيدعو الى التوسط والاعتدال : **« والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »** .

والآية التى نحن بصددها ، تجلى قضية المال من ناحيتين :

الأولى : أنه قوام المجتمع ، فيجب احسان التصرف فيه وهذا هو بناء الاقتصاد على الأسس السليمة .

الثانية : ان المال ، أيا كان المالك له والمتصرف فيه ، فهو فى نهاية الأمر ، مال الجماعة كلها .

وهذه الناحية تبين ، من أنه حيث يدور الحديث عن تسليم اليتامى أموالهم اذا كبروا ، نجد الله تعالى يضيف المال الى من يجب أن يسلموه لأصحابه ، فيقول وقوله الحق :

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » والمقصود هو « أموالهم » وهكذا من خلال تعبير «الضمير» كشف الله سبحانه وتعالى أنه أيا كان صاحب المال المتصرف فيه ، فالمال فى النهاية هو مال الجماعة « التى جعل الله لكم قياما » ورأى البعض ان اضافة الضمير الى المخاطب « أموالكم » هو على وجه الحقيقة ، أى لا تعطوا أموالكم للسفهاء يتصرفون فيها ، فيسيئون التصرف ، وليس هناك ما يمنع ان يكون هذا هو المقصود فالنتيجة واحدة فى كلتا الحالتين وقد تحدثت الآية التالية ، كما سوف نرى عن عدم تسليم اليتامى اموالهم الا بعد أن نطمئن الى حسن تصرفهم فى أموالهم : «فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم »

اما من اين نجىء بالراى الذى فهمناه من ان حقيقة المقصود بـ « أموالكم » هو «أموالهم» فذلك من السياق العام للايات ، وأن تغيير الضمير من الغائب الى المخاطب هو احد أساليب القرآن لاظهار وحدة المجتمع الاسلامى وانه جسد واحد ، جاء فى القرآن الكريم : « فسلموا على أنفسكم » وقوله : « فاقتلوا أنفسكم » وهكذا ..

الحجر على السفيه :

وقد اعتبرت هذه الآية هى الأساس التى استند عليه الفقهاء فى تقرير الحجر على السفيه وانفرد أبو حنيفة فى عدم اجازته الحجر على السفيه ، وقد عودنا قراءنا اننا لا نخوض فى المسائل الفقهية ونحيل الى كتب الفقه ، فليرجع اليها من يريد الاستقصاء ، وكل ما نريد أن نثبته فى هذه المناسبة ، أن بعض التشريعات الحديثة كالقانون الانجليزى يفخر بأنه لا يحجر على السفيه حيث سبقهم الى ذلك بعدة قرون أبو حنيفة مستلهما فى ذلك روح الشريعة من قرآن وسنة ، حسبما اتضحت له ، فكان يقول : انا لا احجر على السفيه ، لأن فى الحجر عليه اهدار لآدميته ، وهى مضرة تفوق تبديده لأمواله . ومرة اخرى نذكر اننا لسنا بصدد القول بقاعدة فقهية محددة ، فلذلك مجال آخر .

السفهاء :

جمع سفيه وهى مشتقة من السفه والسفاهة . والسفه هو الاضطراب فى الراى والفكر أو الاخلاق ، واصله الاضطراب فى المحسوسات المادية فقال بعض اللغويين :السفه خفة فى البدن ومنه قيل ثوب سفيه ، اى ردىء النسيج .

وجرى الاصطلاح الفقهى ، على ان السفه فى تصرفات الشخص يجيز الحجر عليه .

وقد اختلف بعض المفسرين ، فقالوا ان المقصود بكلمة « السفهاء » هنا هم اليتامى والنساء ، ولكننا لا نرى هذا الراى فلا محل ولا مجال لوصف النساء بالسفه ، وكل ما فى الشريعة الاسلامية يدحض ذلك ، والحديث الخاص باليتامى سوف يرد بالنص فى الآية التالية فلم يبق الا أن يؤخذ اللفظ على معناه الظاهر الذى ينطق به ، فيصبح « السفهاء » هم كل من غلب الاضطراب على تصرفاته .

(على تفصيل فى كتب الفقه) ..

« وارزقوهم فيها واكسوهم » :

اى ان حبس أموال السفيه عنه يقصد به منعهم عن التصرف فيها بما يعود عليهم ، وعلى المجتمع « ككل » بالضرر ، ولكن هذا لا يعنى بحال حبس انتفاعهم بأموالهم بكل أنواع النفع المشروعة ، من طعام وشراب ولباس ومسكن وتعلم « وقولوا لهم قولا معروفا » .

فالسفيه يجب أن يستمتع بحياته طبقا لظروفه ، وأن يعامل معاملة كريمة ، فكل المقصود هو الحيلولة بينه وبين التصرفات الضارة ، على تفصيل فى كتب الفقه .

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » ..

هذا هو الدليل على ان الآية السابقة لم تكن تعنى اليتامى وانما تعنى معناها العام الذى يتناول كل السفهاء يتيما كان أو غير يتيم ذكرا كان أو انثى،وهذه الآية التى نحن بصددها تؤكد المعنى الذى دعت اليه الآية السابقة من وجوب المحافظة على المال وصيانته فمع شديد حرص القرآن الكريم على اعطاء كل ذى حق حقه ، فقد علق تسليم اليتيم امواله التى آلت اليه بالميراث او بأى اسلوب آخر ، على شرطين :

الأول — أن يبلغوا النكاح .

الثانى — أن يتضح رشدهم .

والنكاح على ما فسرناه سابقا هو الزواج والذكر لا يتزوج الانثى الا اذا كان قادرا على الاخصاب ، ومن هنا استعمل لفظ « النكاح » اشارة الى بلوغ الصبى أو الفتاة الى السن الذى يصبح فيه الذكر والانثى ، قادرين على التناسل وهو ما يحدث عادة عند سن الرابعة أو الخامسة عشرة ، وهذا هو الشرط الأول أما الشرط

الثانى فهو اتصافه بـ « **الرشد** » والرشد كالرشاد مصدر للفعل : رشد بمعنى « **صلح عقله** » .

ويكون المعنى ، وابتلوا اليتامى ، اى اختبروهم ، فاذا بلغوا الحلم وآنستم ، اى أبصرتم منهم رشدا ، اى صلاح عقلهم فادفعوا اليهم أموالهم ، وغنى عن البيان أن الامتحان والاختبار بعيد عن الصورة التى بتنا نعرفها عن الامتحانات بمعنى أن يكون لها وقت واسلوب معينين فالمقصود بها فى الدرجة الأولى الملاحظة العامة لتصرفات الصبى بمجرد بلوغه «**الحلم**» فان كانت تصرفات الانسان العادى ، فقد ثبت رشده ، ووجب وقد تحقق الشرطان البلوغ والرشد ، ان يسلم ماله ويكون السؤال ، من هو المخاطب بهذه الآية ، من هو المطالب باختبار اليتيم والتحقق من توفر الشرطين ؟

يخاطب القرآن فى الدرجة الأولى سامعيه من المؤمنين به ، الذين يخضعون كل تصرفاتهم لما يرضى الله ، وهم هنا أولياء اليتامى ولكن الشريعة الاسلامية السمحاء جعلت المسلمين جميعا وحدة واحدة ، فاذا قصر فرد فى أداء واجبه جاز لأى مسلم أن يلجأ لولى الأمر العام ليحمل المقصر أو المخالف على اتباع الجادة ، وقد عنى الفقهاء بتفصيل ذلك كله .

رأى لأبى حنيفة :

وقد رأينا فيما سبق كيف أن «**أبو حنيفة**» قد انفرد بعدم اجازته الحجر على السفيه ، ولذلك كان منطقيا مع نفسه فى ربط الرشد بالسن حتى لا يدع الأمر عرضة للاجتهاد الى مالا نهاية فقال : انه اذا جاز الحكم على يتيم بلغ سن الحلم ، انه لم يبلغ بعد سن الرشد ، فان ذلك يجب أن ينتهى فى كل الأحوال اذا بلغ **اليتيم خمسا وعشرين سنة فان أمواله يجب أن تسلم اليه يقول (أبو حنيفة) لأنه فى هذا السن يجوز أن يكون « جداً »** .

وان ابو حنيفه يستحى أن يصف جدا بأنه لم يبلغ الرشد بعد ، والموضوع كله كما قدمنا من مواضيع الفقه .

« ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا » ..

وبعد أن بينت الآية حكم اليتيم اذا بلغ ورشد وانه يجب أن تسلم له أمواله عادت تحدثنا عن واجبات الولى فى الفترة السابقة على ذلك ، وقد عنى الفقهاء بكل التفاصيل ، ولكن الآية تنهى عن اغتيال هذه الأموال وتبديدها بأية حجة من الحجج وعبر عن ذلك باللفظ « **ولا تأكلوها** » .

« اسرافا وبدارا أن يكبروا :

الاسراف : فى اللغة ، الافراط ومجاوزة الحد ، والسرف الخطأ فى الانفاق والسرف التبذير ، والسرف الغفلة .

وبدارا : معناه ومبادرة كبرهم والمعنى الا يقول الولى فلأغتنم صغر اليتيم ولآكل أمواله قبل ان يكبر ويطالبنى بها «**أن يكبروا**» .

« ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » .

فليستعفف : من العفة : يقال عف الرجل عن الشىء واستعف ، اذا أمسك، والاستعفاف عن الشىء تركه . وتكون هذه الآية على ايجازها قد حددت كل الأركان الرئيسية لكيفية صيانة مال اليتيم ، فهذا المال بمثابة وديعة فى ذمة الولى يسلمها لصاحبها عندما يبلغ راشدا ، وأما قبل ذلك فالولى لا يخرج عن واحد من اثنين :

١ — أن يكون غنيا ، اى مستكفيا بنفسه غير محتاج .

٢ — أن يكون فقيرا ، اى لا يملك ما يسد حاجاته .

ففى الحالة الأولى ، حالة غنى الولى ، فهو مأمور أن يعف عن أموال اليتيم ، اى لا يأخذ منها شىء لنفسه (على تفصيل فى كتب الفقه) وأما أن كان الولى فقيرا فالآية صريحة فى اباحتها له أن « **يأكل بالمعروف** » والمعروف هنا أن يأكل بالمألوف والمعتاد ، فى غير اسراف أو تزيد فضلا عن سفه وتبذير ، والرقيب والفيصل فى كل ذلك بطبيعة الحال هو الضمير وخشيته من الله اى تقوى الله وفى صحيح مسلم « على ما نقل القرطبى » عن السيدة عائشة رضى الله عنها فى قوله تعالى : « **ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف** » .

قالت : نزلت فى ولى اليتيم الذى يقوم عليه ويصلحه اذا كان محتاجا جاز أن يأكل منه ، وفى كتب الفقه تفصيل لكل ذلك ، فليرجع اليها كل من اراد التفصيل .

« فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم » :

تدور الشريعة الالهية المحكمة على سد الذرائع ، بمعنى تجنب أوجه الخلاف أو المفاسد والشرور ما استطاع الناس الى ذلك سبيلا ، فنراه لا يضع فى اعتباره غلبة الصدق على عرب

الجاهلية لضرورة الصدق ، بل لم يضع فى اعتباره أن المسلمين ازدادوا صدقا ، فالقرآن الكريم لا يشرع لطائفة ، أو لعصر من العصور وانما هو تشريع عام خالد ، ومن هنا فنحن نراه يعنى أشد ما يعنى بما نسميه فى عصرنا الحديث « **التوثيق** » اى احاطة التصرفات بما يبعدها عن الخلاف والمنازعة ، وقد مر بنا أمثال ذلك كقوله تعالى : « **واشهدوا اذا تبايعتم** » وهو هنا يأمر أمرا بوجوب الاشهاد عند تسليم اليتيم أمواله ، فلا يقولن قائل : ان الكتابة اليوم اصبحت تغنى عن الشهادة أو انها حلت محلها ، كل ذلك لا يجوز لانسان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول به ، فنحن بازاء نص صريح قاطع فى وجوب الاشهاد .

« وكفى بالله حسيبا » :

هذا هو لب الايمان يذكر به القرآن المؤمنين كلما أمرهم أو أنهاهم ، أن يتمثلوا دائما ، أن الله مراقب لكل أعمالهم ، ما صغر منها وماكبر ما خفى منها أو ظهر ، ومن بلاغة القرآن ، أن يختار فى كل حالة الكلمة التى تتناسب مع هذه ، فاذا كان المجال قدرة فالله هو القدير ، واذا كان المجال علم فالله هو العليم وهكذا .

ولما كان الحديث فى هذا الموطن يدور حول الأموال وصيانتها ، وما يستوجبه ذلك من حسابات ، فقد كان اللفظ المستعمل هو الذى يصف الله بأنه أعظم المحاسبين ، « **وكفى بالله حسيبا** » ..

«للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون»:

« وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

القوانين الوضعية والقوانين السماوية :

تجىء القوانين الوضعية دائما لتؤكد أوضاعا تكون قد أوشكت على الاستقرار بحكم العادة والتقاليد ، وما تراه الجماعة فى صالحها ، أما التشريع السماوى فهو يكشف عن نفسه بنفسه ، اذ يجىء على خلاف ما جرى عليه العرف ، وسارت عليه التقاليد ، بل ويجىء مغايرا لمصلحة المجتمع كما يتصور هذا المجتمع ساعة نزول التشريع وهذا التشريع الخاص بالميراث، ناطق بأنه لا يمكن أن يكون من صنع بشر ، فلا يمكن أن يكون الا من هذه القوة العلوية الغيبية أى الله سبحانه وتعالى ، وهذا هو ايماننا نحن المسلمين ، ولا يستطيع اى باحث نزيه أن يصل اليه .

فالبيئة العربية التى نزل فيها القرآن كانت تنكر على المرأة كل شىء ، بما فى ذلك حق الحياة نفسها فى بعض الأحوال (**وأد البنات**) أما بالنسبة للميراث ، فلم يكن يطوف برأس عربى واحد ، أن المرأة يمكن أن ترث ، بل ان الولد الصغير لم يكن يرث ، فقد كان القادر على القتال هو وحده الذى يرث فاذا القرآن الكريم ينزل على خلاف كل معقول أو منقول لدى عرب الجزيرة ، بل يجىء ضد المصلحة العاجلة لرسول الله ودعوته ، فقد كان فى هذه المرحلة معنى فى الدرجة الأولى بالحرب والقتال أى ان الدعوة الاسلامية كانت لسواعد المقاتلين ، وليس لاسترضاء النساء ، وقد قال الشاعر العربى :

كتب القتل والقتال علينا

وعلى الغوانى جر الذيول

فلو أن تشريع الميراث كان تشريعا انسانيا يحاول التعبير عن ارادة البيئة أو مصالحها من وجهة نظرها ، لعكس هذه الارادة أو المصلحة ولكن التشريع جاء مضادا لذلك كله ، وفى أحرج الأوقات ، فدل ذلك حقا وصدقا ، على انه « وحى يوحى » .

وتعالوا نطالع ما قيل فى سبب نزول هذه الآية فهو يغنى عن كل قول :

« نزلت الآية فى أوس بن ثابت الأنصارى توفى وترك امرأة يقال لها أم كحة وثلاث بنات له منها ، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجه ، فأخذله ماله ولم يعطيا امرأته وبناته شيئا ، وكانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا ويقولون : لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل وطاعن بالرمح وضارب بالسيف وحاز الغنيمة . وذكرت أم كحة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهما فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا ، فقال عليه الصلاة والسلام : انصرفا حتى انظر ما يحدث الله لى فيهن ، فأنزل الله هذه الآية ردا عليهم وابطالا لقولهم وتصرفهم بجهلهم » .

وفى كتابنا « **الزواج والمرأة** » .

صيغة أخرى لهذا الحديث الصحيح ، ولكن المعنى واحد ، ونزلت الآية تقرر المبدأ العام من حق النساء مثل الذكور فى الميراث ، وجعلت الأساس فى الميراث هو درجة القرابة من المتوفى، ولم تلبث أن نزلت الآية التى تحدد نصيب كل وارث على سبيل الفرض والالزام ، مما سنبينه عندما تجىء الآية . وفى الحالة

السابقة ، حالة من مات عن زوجة وعن بنتين ، فقد استدعى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الرجلين اللذين أخذا كل التركة ، فقال لهما :

« اعطيا أم كحة الثمن مما ترك أوس ولبناته الثلثين ، ولكما بقية المال » .

وكان الرسول يصدع بالأمر الالهى بتقسيم الميراث مما سيرد علينا .

« مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » :

وبعد أن أصلت الآية الكريمة القاعدة ، من أن للنساء مثل ما للرجال ، نصيبا مما ترك الوالدان والأقربون ، جاء هذا الشطر من الآية ليؤكد القاعدة ويجعلها ، جامعة شاملة لكل ما ترك المتوفى ، قل أو كثر ، **« نصيبا مفروضا »** وحتى لا يجعل الأمر محل اختلاف أو اجتهاد لأبد الآبدين ، ذكر ان هذا التقسيم نصيب مفروض من الله عز وجل ، وسنعود لهذا الموضوع.

« واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا » .

حديث الناسخ والمنسوخ :

ان يكون المسلمون قد قاموا بأنواع معينة من التصرفات ، سواء فى باب التعبدات ، أو المعاملات ، فتلك مسألة لا جدال فيها ، وهى احدى حقائق سير الدعوة الاسلامية ، من ذلك أن المسلمين ، كانوا يصلون فى مبدأ الدعوة ركعتين ركعتين ، ولم تأخذ الصلاة شكلها الذى نسير عليه ، من حيث عددها ، ومواقيتها ، الا فيما بعد وعلى وجه التحقيق ، بعد الاسراء والمعراج وكانت الصلاة فى بادىء الأمر باتجاه بيت المقدس ، ثم تحولت الى الكعبة المكرمة ، ولا يزال فى المدينة المنورة حتى اليوم مسجد يقال له **« مسجد القبلتين »** وهو ذات المسجد الذى كان المصلون فيه يستقبلون بيت المقدس فى صلاتهم ثم نزل الوحى يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأن يستقبل الكعبة فى صلاته ، فكان ان استدار المصلون من الشمال الى الجنوب وهكذا كان لهذا المسجد قبلتان .

والصوم :

وحدث مثل هذا فى عبادة الصوم فقد صام المسلمون بعد هجرة رسول الله اليها مباشرة « يوم عاشوراء » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم بضعة ايام من كل شهر عربى ، الى أن نزل القرآن بفرض صوم شهر رمضان ، وفى دنيا المعاملات لابد ان كان المسلمون يتبعون قواعد معينة ، حتى ينزل القرآن ، بما يعد لها أو يحددها ، أو يلغيها ، فان تنزل آية تنسخ ما كان يجرى عليه العمل ، فتلك مسألة مقررة لا خلاف فيها كما قدمنا ، ولكن الأمر الذى نراه مدعاة للأسف ، أن اقواما توسعوا فى موضوع الناسخ والمنسوخ ، حتى وصلوا فى ذلك الى نتائج شاذة كأن يقولوا ان كل آية متأخرة ، تنسخ الآية المتقدمة ، وهكذا قسموا آيات القرآن الى آيات عاملة ، واخرى غير عاملة وقد ناقشنا هذا الموضوع بتوسع فى كتابنا **« الاسلام بلغة العصر »** وخلاصة ما نراه ، أن كل آيات القرآن محكمة ، بمعنى أنها عاملة ، وعندما تتعدد الآيات فى موضوع واحد ، فان كلا منها يعمل متى توفرت الظروف والنطاق الذى تعمل فيه هذه الآية ، ولعل أعظم مثال لذلك هو الآية التى نحن بصددها ، فماذا تقول هذه الآية ؟

انها تقول : واذا حضر القسمة (أى قسمة الميراث) .

١ ــ أولوا القربى

٢ ــ اليتامى (من غير الأقربين ، والا لدخلوا فى الصنف الأول) .

٣ ــ المساكين

فاذا حضر توزيع التركة ، اى واحد من هذا الطراز فالقرآن يأمر أمرا، بأن يرزقوا من التركة ، اى يعطوا ، اى شىء منها ، وأن يقال لهم قولا معروفا ، اى قولا يطيب خواطرهم ، ويقر أعينهم ، كأن يقال لهم على سبيل المثال : لقد كنا نرجو أن نعطيكم اكثر ، ولكن هذا هو ما سمحت به الظروف ، وهكذا وليس فى هذا التصرف ما هو بعيد عن روح الاسلام ، ولا هو قاعدة خاصة بهذا الموقف ، بل هى قاعدة تجرى فى بنية الاسلام مجرى الدم ، فالمال دائما هو مال الجماعة ، ويجب أن يوجه دائما لخير الجميع ، وقد انكر الاسلام دائما الملكية التى تقوم على الأنانية والاستئثار ، فقرر فى حزم قاطع **« وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »** فلا يمكن وهذه هى القاعدة وهذا هو المبدأ ، أن تلغى الآية التالية التى تحدد نصيب أصحاب الفروض ، ما جاء فى هذه الآية من وجوب رزق كل من حضر القسمة من اليتامى والمساكين

ويكون أولوا القربى الذين أشارت اليهم الآية، من غير أصحاب الفروض الذين نظمتهم الآية التالية .

جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس فى قوله تعالى : « واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين » قال هى محكمة وليست منسوخة ، وفى رواية قال : ان ناسا يزعمون ان هذه الآية نسخت ، لا والله ما نسخت ولكنها مما تهاون بها » .

جرى العمل على ذلك :

وليس أدل على عراقة المصريين وحضارتهم من انهم يطبقون هذه القاعدة كأمر بديهى فما من ميت يموت الا وترى ورثته يوزعون ملابس المتوفى وبعض متعلقاته الصغيرة ، للفقراء والمحتاجين .

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

كما تدينوا تدانوا :

تشير هذه الآية الى احدى سنن الحياة التى يشاهدها الناس بالتجربة ، والتى تتلخص فى القول السائر « كما تدين تدان » فالناس ترى أن من قتل يقتل ولو بعد حين ، وأنه ما من انسان الا ويكال له يوما بالكيل الذى يكيل به للناس ، وليس يعنى ذلك ، الا تفلت بعض الحالات من هذا المصير ، فمن سنن الله أن يكون لكل قاعدة شواذ ، ولكن ذلك لا ينال من ثبات القاعدة ، ولذلك فقد قيل بحق « الاستثناء يؤكد القاعدة ومن هنا فان الآية التى نحن بصددها تحذر الناس (الآباء) أن أبناءهم قد يعاملون بنفس المعاملة التى سيعاملون بها أبناء الآخرين . .

وقد قال البعض أن التحذير موجه بصفة خاصة للأوصياء على اليتامى ، حيث الحديث يدور حول ذلك ، وذهب قوم الى أن الآية تحض على الوصية للأولاد الصغار ، وراحوا يستشهدون بقول الرسول صلوات الله عليه **« لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس »** .

وعندنا أن ذلك كله اجتهادات لا نتعرض لها بالبحث والتمحيص ، ولكن الرأى عندنا هو ما سقناه أولا من أن التحذير عام لكل المؤمنين ، أوصياء كانوا أو غير أوصياء ، وهو أن يفكروا كلما عرض لهم أمر صغير يتيما كان أو غير يتيم ، وسواء كان التصرف يتصل بأمور مالية ، أو غير مالية ، أن يذكروا دائما ان أولادهم قد يلقون نفس المصير فالحياة والموت بيد الله ، فعليهم أن يتقوا الله فى أبناء الآخرين ، كما يرجون هم أن يتقى الآخرون الله فى أبنائهم هم الذين قد يخلفونهم ضعافا .

« فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » :

سديدا : أى عدلا وصوابا

واذا كانت تقوى الله مطلوبة لذاتها فى كل الأحوال والظروف لأنها حبل النجاة فى الدنيا والآخرة ، فان الله سبحانه وتعالى قد أضاف عنصرا من عناصر التحذير ، فهو خالق الانسان وهو عالم بما خلق ، ولما كان قد خلق الانسان وزود الآباء بغريزة الخوف على أبنائهم ، وحرص الآباء على أن يجنبوا أبناءهم كل ما يسوؤهم ، فهو هنا يستثير فيهم هذا الخوف الطبيعى على أولادهم وان السبيل الى ذلك هو العدل والاحسان والبر بأبناء الآخرين ، حتى يقيض الله لأبنائهم من بعدهم ، من يتق الله فيهم ، ويقول أو يتصرف حيالهم ، التصرف السديد ، أى العادل والرحيم .

« ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« اجتنبوا السبع الموبقات »** أى المهلكات وذكر فيها **« وأكل مال اليتيم »** .

وهكذا يتضافر الكتاب والسنة على اعتبار أكل مال اليتيم ، أما بالاختلاس أو اتلافه أو نحو ذلك هو أحد الكبائر التى لا يرتكبها من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويعتبر أن ذلك بمثابة من يأكل النار **« انما يأكلون فى بطونهم نارا »** ويقول اللغويون ، ان ذلك من مثل القول : **« انى أرانى أعصر خمرا »** والمقصود أعصر **« عنبا »** والعنب بعد أن يعصر يؤول الى الخمر . فعندما يقول : يأكلون نارا ، أى أنهم يفعلون ما سوف يؤدى بهم الى النار ، ولكننا نخالف اللغويين فى هذا التخريج ، فان ذلك يعبر عنه قوله تعالى :

« وسيصلون سعيرا » .

والسعير هو الجمر المشتعل ، والصلاء هو التسخن بقرب النار ، أو مباشرتها وهو اصطلاح استعمله القرآن الكريم **« وسيصلاها الأشقى »** لافادة القذف فى جهنم أى الجحيم ، ومن هنا فنحن نرى أن التعبير بـ **« يأكلون فى بطونهم نارا »** مقصود به التو واللحظة ، ومتى آمن انسان بالله حقا وصدقا ، فسوف يشعر على الفور بمجرد أكله مال يتيم ، أنه أكل نارا **(بمعنى آلام من سوف يحترق)** .

خصائص القصة القرآنية

الأستاذ فتحى رضوان

أطلت فى الحديث عن أنباء موسى عليه السلام فى القرآن ، وأوردت فى حلقات هذا الحديث الكثير خواطر وآراء حول هذه الأنباء بوصفها نموذجا لأسلوب القرآن الكريم فى ايراد أخبار الأنبياء والرسل ، وأنباء صراعهم مع أقوامهم حتى تتهيأ نفوسهم لتقبل هداية السماء والأخذ بدين الله وقواعده وأحكامه .

وقد بدا لى انه قد يكون من الخير أن أجمع ما تناثر من هذه الأفكار والخواطر خلال الحديث الطويل عن كليم الله موسى وعما وقع من فرعون وملئه ، حينما جاءهم رسول الله بالدين الجديد ، ثم ما كان من قوم موسى نفسه بعد أن نجاهم من العبودية وما أنزله بعدوهم من ضربات لم يسمعوا ولم يروا شيئا من قبلها ثم بعد ما فرق لهم البحر فعبروه وقد استحال أرضا يابسة ثم بعد ما أراهم الله من معجزات شملتهم برعاية اذ أظلهم فى صحراء سيناء بالغمام وأطعمهم من السماء بأشهى الطعام ثم ما كان من ردتهم الى الوثنية وشوقهم اليها وخروجهم على هارون أخى موسى حينما ذهب موسى للقاء ربه ، ثم عقابهم بالتيه فى الصحراء أربعين عاما بعد أن حرم عليهم الله الأرض المقدسة التى جبنوا عن مقاتلة العمالقة التى كانوا يستبدون بها ويعيشون فيها .

وتعتبر أنباء موسى عليه السلام فى القرآن الكريم التى يتكون منها قصته القرآنية اذا جمعت بعضها الى بعض من مواضعها المختلفة فى سور القرآن من أطول أحاديث كتاب الله العظيم عن أنبيائه المرسلين وأكثرها تفصيلا وأحفلها بالوقائع ، فقد ورد اسم موسى عليه السلام ، كما مر بنا فيما مر من الحلقات لهذا البحث نحو مائة وسبع وثلاثين مرة فى خمس وثلاثين سورة ، وقد استأثرت سورة الأعراف بأكبر عدد من المرات التى ذكر فيها اسم موسى . فقد ذكر اسمه عليه السلام فيها احدى وعشرين مرة تليها سورة القصص فقد جاء فيها اسمه سبعة عشرة مرة ، وذكر كذلك سبع عشرة مرة فى سورة طه وثلاثة وعشرين فى سورة البقرة فى حين أن ابراهيم الخليل عليه السلام لم يذكر الا فى نحو تسعة وستين موضعا . أما اسماعيل فقد ورد اسمه فى نحو ثلاثة عشر موضعا ولم تزد عدد المرات التى ذكر فيها يعقوب الذى هو اسرائيل سوى ست عشرة مرة ، كما ذكر اسحق فى مثل هذا العدد فى حين أن يوسف بن يعقوب عليهما السلام قد ذكر فى نحو سبع وعشرين موضعا ، ومن الأنبياء من لم يذكر اسمه سوى مرات جد قليلة ، فيونس ذكر أربع مرات أما أدريس عليه السلام فقد ذكر مرتين فقط فى حين أن آدم أبا البشر لم يذكر فى أكثر من خمسة وعشرين موضعا .

ولست واجدا فى كل ما جاء فى القرآن الكريم من أحاديث وأنباء لأنبياء الله ورسله مثلما جاء عن موسى الذى عرفنا من كتاب الله العظيم ظروف مولده ثم أدوار حياته الخاصة والعامة فى مصر وخارجها قبل النبوة وبعدها مواقفه من فرعون وملئه وأخيه وبنى شعبه وأشفاقه من أعباء الرسالة وخوفه من كيد فرعون وحرصه على مؤازرة أخيه هارون له والمعجزات والخوارق التى أتمها الله على يديه واضطراب اتباع فرعون لها ثم ادعاءهم التوبة فالعودة الى الكفر والاصرار عليه وابتلاء موسى بعناد بنى اسرائيل وقسوة قلوبهم ونكرانهم لنعم الله

وجحودهم لكل فضـــل أتاهم عن طريق موسى وبسببه .

ولو كان الله تعالى يبغى من وراء ايراد هذه الأنباء المثيرة عن حياة موسى ومولده وهربه ثم مناجاة الله له ، وأمره بالعودة الى مصر الى آخر مراحل نبوته أن يجد الناس فى حكاية هـذه الوقائع متعة وتسرية وتلهيـة لجمعت فى مكان واحد ولاتبع فى السرد والرواية ما يتبع الرواة من بدء الحكاية من حيث يجب أن تبدأ بسـوق الأحداث حسب تتابعها الزمنى ثم ايرادهـا فى تسلسل لا يقطعها شىء مما لا يتصل بها ولكن القرآن خـرج على المنهج البشرى فى القصص والحكاية فقد يبدأ الرواية من حدث وقع من حيث الترتيب الزمنى فى منتصف وقائعها ثم يعود الى البداية فيصل الى الختام ليعود ثانية الى البداية وهكذا .وقد تناولت هذا الأسلوب القرآنى بالشرح وسقت الأدلة عليه .

ولو وردت جميع الآيات التى جاء فيها شىء عن حياة موسى عليه السلام وعن تطورات هذه الحياة فى مصر وفى مدين ثم فى شبه جزيرة سيناء ، ثم فى مصر ثانية وهكذا حتى تصل الى غايتها ، كما احتوت سورة يوسف عن أنباء حيـاته منذ صباه الباكر حتى وصل الى السلطة وأصبح موضع ثقة عزيز مصر يدير أمرها ويصرف شئونها وكأنه صاحب الأمر الذى لا يعلوه سـيد ، ولا يراجعه حاكم ، فكانت قصته كاملة تجتمع فيهـا أعظم ما يطمع فيه مؤلفو القصص من وسـائل الاثارة والامتاع ومن ضروب التشويق والمفاجأة ، ولكن القـرآن الكريم يهدف الى شىء لا يدخل فيه عنصر الاثارة والتشويق الا مجـرد وسيلة ثانوية لأن الغاية من القصة القرآنية هى التربية والتلقين والدعوة الى عقيدة التوحيـد واقامة الدليل على سلامتها وسوق البرهان على أنها الراجحة والرابحة معا .

واذا كان القرآن الكريم قد احتفل بهذه القصة وأطال الوقوف أمامها وساق المشهد الواحد المرة بعـد المرة ــ كما مرت بنـا النمـاذج والمشاهد ــ فى أكثر من صيغة فذلك لاعتبارات ودواع منها الموقف العاجل ومنها الأبدى الدائم ومنها ما يتصل بالدعوة المحمدية ومنها ما تقتضيه التربية الانسانية .

فمثلا قال الله تعالى عن أولى وقائع حيـاة موسى فى سورة القصص :

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم » .

« ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » .

ثم قال فى سورة طه :

« اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل » .

فذلك كله لأن موسى هو نبى اليهود الذى تلقى الألواح من ربه عندما دعى الى مناجاته سبحانه فى جبل سيناء . وقد كان فى نسخ هذه الألواح هدى ورحمة لبنى اسرائيل وللعالمين ، فموسى اذن هو نبى اليهود الأكبر وان كان حفيدا لابراهيم أبى أنبيائهم ورسلهم نسلوا منه وخرجوا من صلبه ولكن ابراهيم الخليل دعا الى مجـرد عقيـدة التوحيـد ونبذ الوثنيـة وترك الشرك وبقى العبرانيون بعد ذلك بلا دين يهتدى به أو نظام يعيشون عليه أو رسالة يحتكمون اليها . بل بقوا قبائل مبعثرة لا يقم شتاتها شعور بالدين ولا ارتباط بأرض ولا احسـاس بوطن . وقد استمرت بينهم الشحناء التهبت دواعى البغضاء فصدق عليهم قول الله تعالى : **وهم فى مدينـة الرسول وفى جواره تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى باسهم شديد » .فحوى تلقى الكتاب السماوى الذى وجه اليهم الخطاب ودعاهم الى العقيـدة وقادهم فى جهاد وحارب باسمهم فى معارك كانت جديرة بأن يبعث فيهم شعور الوحدة . ومن هنا فقد كان القرآن حريصا على أن يعلم بنى اسرائيل ما كان من أمر نبيهم وزعيمهم وقائد وحدتهم وأن يبهرهم ويدهشهم بتصوير مشاهد هذه الحيـاة بأجمل وأبلغ وأسمى وأعمق ما تروى به قصص الأبطال والعظماء فطهر أنبياءهم من الرجس ونفى عنهم المعصية والضعف وأبرز جهادهم فى سبيل العقيـدة خاليـا من شـوائب الرذيلة والدنس واستخرج من وقائع هذه الحياة العظات والحقائق الاجتماعية وضوابط الحياة الانسانية فأدركوا من ذلك أمرين :**

الأمر الأول : ان محمدا يعلم من أنباء الغيب ، ما لا يتفق لمجرد عربى قرشى رعى الغنم فى صباه

الأمر الثانى : ان هذا العلم الغريب الذى صبغ فى هذه اللغة الفذة التى لم يسمع بها العـرب فى نثرهم ولا فى شعرهم لا يروى تاريخ أمتهم وحكاية أنبيائهم نقلا عن تواراتهم وبطـريقه وأسـلوبه ولا بهدفه وغايته اذ انه يقنن الحياة الانسانية كلها شريعة تخالف شريعتهم وتدعو الانسانية الى طريقة فى الحياة تباين طريقتهم .

والأمثلة على ذلك كثيرة فانظـر مثلا ما روته التوراة عن ردة بنى اسرائيل الى الوثنية فى سفر الخروج الاصحاح ٣٢ وعن اشـتياقهم الى وثن يعبدونه وعن الذى صنع لهم هذا الوثن وزين لهم عبادته جاء فى هذا الاصحاح :

« ولمـا رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول

من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم واصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الشعب التى فى أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا » .

فقالوا هذه الهتك يا اسرائيل التى أخرجتك من ارض مصر فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى وقال غدا عيدا للرب » .

فهارون عليه السلام وزير موسى وساعده الذى طلب من الله أن يشد به أزره ، هو نبى الوثنية وصانع الأوثان وهو الذى يدعو بنى اسرائيل الى تقديم القرابين لاله سبك من أقراط الشعب المأخوذة من بنات ونساء وبنين الشعب وهو ذهب مسروق أصلا من نساء مصر قبل الخروج منها . وهو أمر لو صلح لما استحق هارون أن يكون نبيا . بل لكان من العصاة الذى يحل رجمهم فى الدنيا وعقابهم بنار جهنم فى الآخرة .

قارن هذا بما جاء فى القرآن الكريم عن واقعة حنين بنى اسرائيل الى عبادة العجل وهو أمر تبرره قوة العادة وعظم سلطانها ولكن على (النبى) أن يقام هذا السلطان الجائر وأن يدفع شر العادة الذميمة لا ان يسلم بها وينزل على مقتضاها فيستحق شرف النبوة ويؤدى الرسالة .

قال الله تعالى فى سورة الاعراف :

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبرماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال : أغير الله أبغيكم الها ، وهو فضلكم على العالمين » .

هذه هى المرحلة التى جرت عليه العادة على بنى اسرائيل التى أسلمتهم الى الشرك ثم جاءت بعدها مرحلة الاذعان لهذه العادة والاستسلام لها . قال تعالى فى سورة الاعراف :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ، ولا تتبع سبيل المفسدين »ثم جاء فى سورة (طه) قول الله تعالى المرحلة الأخيرة « مرحلة السقوط فى الشرك :

« فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا . قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامرى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى ، أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولايملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى » .

فهنا هارون عليه السلام نبى من أنبياء الله حقا ، ينصح قومه ويهددهم بسوء العاقبة ان هم انحرفوا عن طريق الايمان برب العالمين الواحد الى عبادة الوثن الذى لا يضر ولا ينفع فلا يحفلون بتهديده ووعيده ويعالنونه بأنه سيبقون عاكفين على هذا الصنم يعبدونه حتى يأتى موسى فان غيبته طالت ، وقد فهموا أنه ذاهب الى لقاء ربه وان هذا اللقاء سيستمر ثلاثين ليلة فانتهى الموعد ولم يرجع النبى **فلعب بهم الشك حتى ظنوا أنه لا اله هناك ولا للقاء معه ولا عودة لموسى وانهم سيتركون لمصيرهم المخيف فى أرض الصحراء فغلبهم الشعور بالوحشة واستبد بهم الخوف فتصرفوا كما يتصرف الخائف الفزع الذى يتلمس قشة يتعلق بها التماسا للطمأنينة وقد رأوا بأعينهم جماعة تعيش فى صحراء سيناء لهم اله يعبدونه والطمأنينة تسودهم فعبدوا وبدا لهم أن يقلدوهم عساهم يصلون الى مثل طمأنينتهم وسكينتهم وسلامهم .**

وقد أوردت التوراة التى بين اليهود اليوم ، ما جرى على لسان بنى اسرائيل على حد تصورها فقال : اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم واصنع لنا آلهة أمامنا .. لأن موسى الرجل أصعدنا من أرض مصر لا يعلم ماذا أصابه » .

ففيبة موسى التى طالت أسقطت عنه رداء النبوة فلم يعد سوى (موسى) الرجل « وموسى الرجل » لم يعد انسانا كسائر البشر بل انهم بدا لهم انه انسان يعد ولا يفى وهو عاجز عن فعل شىء لهم، لأنه أصعدهم من مصر حيث كانوا جالسين أمام القدور يأكلون اللحم والخبز وتطيب لهم الحياة على ضفاف النيل ويلذ لهم طعام المصريين المتوبل الجميل ، قالت التوراة فى سفر العدد اصحاح ١٤

« فعاد بنو اسرائيل وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما وقد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر بالمجان ، والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم » .

وهذه أطعمة يحبها المصريون حقا ولا يعدلون بها أشهى الأطعمة الأجنبية من أنواع الخضر أو أصناف اللحوم وبنو اسرائيل عاشوا فى مصر واحبوها وكانوا جديرين بعد جيل أو جيلين آخرين أن يذوبوا فى شعبها مثل الجاليات التى تفد الى مصر ثم أن يعتنقوا دينها الفرعونى تماما ثم يدخلون فى المسيحية ثم الاسلام لولا أن الله بعث

اليهم موسى فكان نبى دينهم وزعيم قوميتهم التى لم تلبث أن تفككت وانحل عراها قبل أن يموت موسى وقد أوردت التوراة شيئا فى هذا المعنى فى سفر التثنية اصحاح ٣١ .

« وقبل موت موسى جمع حامى شابوت عهد الرب وقال لهم انى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا حى معكم .. اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالاحرى بعد موتى انى أشهد عليكم السماء والأرض وانى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتريقون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشرخ آخر الأيام انكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظون بالمحال أيديكم » .

هذه حكمة القرآن الكريم فى الاحتفال العظيم بقصة موسى عليه السلام وان حرصى على اتباع منهجه الدائم فى كل ما يتصل بأنباء الرسل والأقوام الغابرة والأمم البائدة من نثر هذه الأنباء فى ثنايا آيات الكتاب الحكيم بحيث تتخلله هذه الآيات فتكون جزءا من نسيجها لا تنفصل عنه لتزيد هذه الآيات وضوحا وتزيد دلالتها وتأثيرها .

ولكن للقرآن حكمة أخرى تطوى هاتين الغايتين وهى حكمة التعليم والتلقين وتحقيق رسالة القرآن الكبرى وهو لفت القلوب والعقول الى قوانين الحياة الانسانية ودوافعها فكم دعانا القرآن الكريم الى تدبر الكون والنظر فى السماء والماء والبحر والنهر والأشجار والأسحار والابل والنخل والعنكبوت والنحل . فقد دعانا أيضا الى تدبر ما يجرى للشعوب والأقوام من اقبال وأدبار بين قوة وضعف ومن ايمان وكفر ومن علم وجهل وان لهذه التطورات التى تبدو أنها تجرى اعتباطا على غير هدى ثابت ولا قانون ضابط فى الواقع هى تطبيق مستمر ومستقر لقانون واضح وجلى هو أن الناس يحصلون على القول ويصلون الى أعلى مراتب السعادة حينما يطبقون قانون الله السماوى الذى يأمر بالعدل والمساواة وبالنهى عن الظلم والبغى ويحث على طلب العلم والرفق فى القول والعقل وأداء الحقوق الى أصحابها ومعاونة الفقير وافشاء المحبة والاستعداد لمقاومة العدو بالاتحاد أولا ثم بالاستعداد بالقوة والسلاح ورباط الخيل فان احترم الناس هذا القانون لأنفسهم المجد والمنعة والسلطان وان خرجوا عليه أو سخروا به هدوا الى أحقر الدركات .

وقصة موسى قد اجتمع فيها ولها ما لم يجتمع لأى حديث آخر من أحاديث الأنبياء والرسل فى كتاب الله العظيم . فليست هى قصة رجل ولا حكاية نبى وانما هى قصة شعوب لا شعب واحد شعب مصر وملكها وحضارتها وقصة الشعوب الأخرى التى كانت تعيش على مقربة من مصر تتأثر بثقافتها وقانونها وسلطانها وهى قصة رسالة سماوية وتقبل بعض الناس لها وعجز الآخرين عن النهوض بتبعاتها والارتفاع الى سوائها .

ثم هى قصة معجزات سماوية يراها البشر فيرهبونها ثم تغلبهم طبيعة النسيان والجحود ثم هى قصة شعب أخلد الى الذل واستنام للعبودية يحاول رجلان أن ينفخا فيه روح الاباء والكرامة فيرفض الاستجابة لدواعى الشرف ، الا أن يقدم ذلك لهم بلا جهد منهم ولا محاولة ثم تحرك الشعب هذا بعد لأى وقبوله الاقدام على المجازفة فيخرجون مع القائد الرسول وهم يتلفتون حولهم مشفقين من لحاق الملك الجبار بهم وردهم الى العبودية والأسر .

وقد كانوا خليقين أن يعودوا الى هذه العبودية والأسر راضين بل أن يقبلوا اقدام الحاكم القوى الذى الفوا أن ينظروا اليه كأنه اله معبود لولا أن النجاة جاءت لهم فى شكل معجزة فاغنتهم عن القتال والنزال فلما انجلت المحنة ثابوا الى انفسهم وعادوا الى طبيعتهم فلم يفكروا فى اقامة حياتهم على أساس جديد يتمتعون فى ظله بالحرية بل بكوا كالأطفال وصاحوا يطلبون من النبى القائد أن يعيدهم الى أرض مصر واسقط فى يد الرسول فقال كما تقص كتبهم هم فتاهوا فى سفر العدد :

« فلما سمع موسى الشعب يبكون للرب .. لماذا أسارت الى عبدك حتى انك وصفت نقل جميع هذا الشعب على يده لعلى قلت تجميع هذا الشعب أو لعلى ولدته حتى تقول لى أحمله فى حصنك كما يحمل المربى الرضيع هذا ما تصوره التوراة من تطورات حياة هذا الشعب الذى يرفض فى اصرار وعناد أن يتحمل مسئولية نفسه والذى يطلب دائما أن يكون لهمومه حاملا يضعها على عاتقه ويعفيهم من التفكير فيها والتعب فى سبيلها — ألم يحارب الله تعالى (قوم فرعون) ولا أقول شعب مصر لأن القرآن تحدث دائما عن فرعون وملئه أى بطانته وحاشيته ألم ينزل بهم الضربات ويذهلهم بالآيات وهم يشاهدون ويتفرجون .. ؟

الم يعد لهم البحر فيجعله يابسا . الم يخرج لهم الماء من الصخر ؟ الم ينزل عليهم المن والسلوى ويظلهم بالغمام فلما لايتم نعمه عليهم ويخلق لهم دولة قوية ينتمون اليها ويحتمون بها ولا ينفقون فى سبيل انشائها واقامتها جهدا ولا عرقا .

ولذلك فقد كان جوابهم لموسى عليه السلام اذ قال لهم كما جاء فى سورة المائدة « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم

(البقية ص ٣٣)

« لا » أصلية في القرآن الكريم

الدكتور احمد الحوفى

جاءت كلمة (لا) فى عدة آيات قرآنية ، وزعم بعض المفسرين والدارسين أنها مزيدة .

(الآية الأولى)

قال سبحانه وتعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين . قال : ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك ؟ قال : أنا خير منه ، خلقتنى من نار ، وخلقته من طين » سورة الاعراف ١١ — ١٢ .

قال الطبرى ان معنى الآية أى شىء منعك أن تدع السجود لآدم اذ أمرتك أن تسجد ؟

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى تأويل ما منعك ألا تسجد .

فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك ما منعك أن تسجد ، و (لا) هنا زائدة كما قال الشاعر :

أبى جوده لا البخل واستعجلت به
نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله

وقال ان العرب فسرت البيت بأنه أبى جوده البخل ، وجعلوا لا زائدة حشوا هاهنا وصلوا بها الكلام .

قال : وزعم يونس أن أبا عمرو كان يجر كلمة البخل ، ويجعل (لا) مضافة اليه ، اراد ابى جوده لا التى هى للبخل .

وقال بعض نحويى الكوفة نحو هذا القول الذى ذكرناه عن البصريين فى معناه وتأويله ، غير انه زعم أن العلة فى دخول (لا) فى الآية الكريمة ان فى اول الكلام جحدا ، يعنى بذلك قوله « لم يكن من الساجدين » فان العرب ربما أعادوا الجحد فى الكلام الذى فيه جحد ، كالاشتياق والتوكيد ، كقولهم :

ما ان رأينا مثلهن لمعشر
سود الرءوس فوالج وفيول

فأعاد على الجحد الذى هو (ما) جحدا آخر وهو قوله (ان) فجمعهما للتوكيد .

وقال آخر منهم : ليست (لا) بحشو فى هذا الموضع ولا صلة ، ولكن المنع هنا بمعنى القول، وتأويل الكلام من قال لك الا تسجد ، كقولهم ناديت الا تقم وحلفت الا تجلس .

وقال بعضهم معنى المنع الحول بين المرء وما يريده ، فلما كانت صفة المنع ذلك خوطب ابليس بالمنع فقيل له : ما منعك الا تسجد ، كأنه قيل له : اى شىء اضطرك الى الا تسجد ؟

وعقب الطبرى بقوله : والصواب عندى من القول فى ذلك ان فى الكلام محذوفا ، والأصل ما منعك من السجود فأحوجك الا تسجد ؟ فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين قوله الا ابليس لم يكن من الساجدين أن ذلك معنى الكلام من ذكره ، ثم عمل قوله « ما منعك » فى أن ما كان عاملا فيه قبل أحوجك لو ظهر اذ كان قد تاب عنه .

وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون فى كتاب الله شىء لا معنى له ، وأن لكل كلمة معنى صحيحا ، فتبين بذلك فساد قول من قال ان لا هنا حشو لا معنى لها .

وأما قول من قال معنى المنع هاهنا القول فلذلك دخلت (لا) مع أن فان المنع وان كان قد يكون قولا وفعلا فليس المعروف فى الناس استعمال الأمر فى المنع فى الأمر بترك الشىء ، لأن المأمور بترك الفعل اذا كان قادرا على فعله وتركه ففعله لا يقال فعله وهو ممنوع من فعله الا على استكراه للكلام ، وذلك ان المنع من الفعل حال بينه وبينه ، فغير جائز أن يكون وهو محول بينه وبينه فاعلا له ، لأنه ان جاز ذلك وجب أن يكون محولا بينه وبينه لا محولا وممنوعا لا ممنوعا .

وبعد فان ابليس لم يأتمر لأمر الله تعالى بالسجود لآدم كبرا ، فكيف كان يأتمر لغيره فى ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم ؟ فيجوز أن يقال له اى شىء قال لك لا تسجد لادم اذ أمرتك بالسجود له ، ولكن معناه ما منعك من السجود له فأحوجك أمر فأخرجك او فاضطرك الى الا تسجد له (تفسير الطبرى ٩٦/٨) .

اما الزمخشرى فقد ذهب الى ان (لا) صلة بدليل قوله تعالى : « **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى** » سورة ص ٧٥ .

فان قلت : ما فائدة زيادتها ؟ قلت : توكيد معنى الفعل الذى تدخل عليه وتحقيقه ، كأنه قيل ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك ؟ (الكشاف ٥٤/٢) .

وأما النيسابورى فذكر عدة آراء ، اولها واشهرها أن (لا) صلة زائدة ، وقال ان هذا قول الكسائى والفراء والزجاج والأكثرين ، كما فى « لا أقسم بيوم القيامة » سورة القيامة ـ ١ ، وذكر رأى الزمخشرى ، وعقب عليه بأن اثبات الزيادة فى كلام الله تعالى خارج عن الأدب ، وان الاستفهام للانكار ، أى لم يمنعك من ترك السجود شىء .

ومنها أن الله ذكر المنع وأراد الداعى ، فكأنه قال ما دعاك الى الا تسجد ؟ لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسأل عن الداعى اليها .

وقيل ان الممنوع من الشىء مضطر الى خلاف ما منع منه .

وقيل ما الذى جعلك فى منعة من عذابى ؟ وقيل معناه من قال لك لا تسجد .

ثم قال : ويمكن الا يعلق قوله « الا تسجد » بقوله ما منعك ، وانما يكون متعلقه محذوفا ، والتقدير ما منعك من السجود الا تسجد ؟ اى لئلا تسجد توجه عليك هذا السؤال .

والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذ أمرتك؟ وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه (على هامش الطبرى ٦٦/٨) .وأما ابن كثيرفذكر أن (لا) زائدة ، أو أن منعك مضمن معنى معنى ما أحوجك واضطرك كما ذكر الطبرى « تفسير ابن كثير ٢٢/٢ » .

وأما الزركشى فقد ذكر رأيا واحدا هو ان (لا) زائدة لتوكيد النفى المعنوى الذى تضمنه (منعك) بدليل الآية الأخرى « ما منعك أن تسجد » (البرهان للزركشى ٣٥٧/٤) .

تعقيب

أما القول بزيادة (لا) فهو مردود كما سبق .

وأما القول بأنها لتوكيد النفى المعنوى المفهوم من « لم يكن من الساجدين » فانه واضح التكلف .

وأما تفسير المنع بمعنى القول او بمعنى الاضطرار فانه لا يقل عن سابقه تكلفا ، واللغة لا تقره .

وأما ما استصوبه الطبرى وهو أن فى الكلام محذوفا ، وأصله ما منعك من السجود فأحوجك الا تسجد ، فان الأسلوب العربى لا يساعد على تقبله .

كذلك لا يحتمل الأسلوب العربى أن يكون اصل الكلام ما منعك من السجود الا تسجد .

وهكذا لم تطمئن نفسى الى اى رأى مما سبق .

وهأنذا أعرض رأيا جديدا لعله أدنى الى الصواب وأحق بالقبول ، وهو أن (منعك) هنا ليس معناها حال بينك وبين السجود ، أو نهاك عن السجود ، بل معنى المنع هنا من المنعة والعزة والحصانة والحماية ، نقول فلان يمنع الجار اى يحميه من أن يضام ، وتقول هذا حصن منيع أى قوى لا يغلب ، وقد منع فلان مناعة فهو منيع اى اعتز ، وفلان فى عز ومنعة، اى لا يخلص اليه احد ، وهو ذو منعة مصدر مثل الأنفة ، او جمع مانع وهم عشيرته وحماته (لسان العرب وأساس البلاغة مادة : منع)

فلننظر الى الآية الكريمة فى ضوء هذا المعنى، فنجد أن (لا) أصلية ، وأن المعنى : ما الذى حماك من الا تسجد اذ أمرتك ؟ او ما الذى غرك فحسبت أنك منيع من عقابى **حينما أمرتك بالسجود فلم تسجد ؟ أو ما الذى جراك على الا تسجد ؟ أو ما الذى حصنك من الا تسجد ولا يقدح فى هذا الرأى أن منع فى الآية الأخرى « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى » معناها ما الذى حال بينك وبين السجود ، أو ما الذى نهاك ، لأن لكثير من الكلمات معانى متعددة تتضح من السياق .**

مواقيت الصلاة

اليوم	١٣٩٨ ربيع الثاني	١٩٧٨ مارس	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الجمعة	أول	١٠	٤٥	٤	١٢	٦	٦	١٢	٢٨	٣	٥٩	٥	١٦	٧
السبت	٢	١١	٤٤	٤	١١	٦	٥	١٢	٢٨	٣	٠٠	٦	١٧	٧
الأحد	٣	١٢	٤٣	٤	١٠	٦	٥	١٢	٢٨	٣	٠٠	٦	١٨	٧
الإثنين	٤	١٣	٤٢	٤	٩	٦	٥	١٢	٢٩	٣	١	٦	١٨	٧
الثلاثاء	٥	١٤	٤٠	٤	٧	٦	٤	١٢	٢٩	٣	٢	٦	١٩	٧
الأربعاء	٦	١٥	٣٩	٤	٦	٦	٤	١٢	٢٩	٣	٣	٦	٢٠	٧
الخميس	٧	١٦	٣٨	٤	٥	٦	٣	١٢	٢٩	٣	٤	٦	٢١	٧
الجمعة	٨	١٧	٣٧	٤	٤	٦	٤	١٢	٢٩	٣	٤	٦	٢١	٧
السبت	٩	١٨	٣٥	٤	٢	٦	٣	١٢	٢٩	٣	٥	٦	٢٢	٧
الأحد	١٠	١٩	٣٤	٤	١	٦	٣	١٢	٣٠	٣	٦	٦	٢٣	٧
الإثنين	١١	٢٠	٣٣	٤	٠٠	٦	٣	١٢	٣٠	٣	٦	٦	٢٣	٧
الثلاثاء	١٢	٢١	٣٢	٤	٥٩	٥	٢	١٢	٣٠	٣	٧	٦	٢٤	٧
الأربعاء	١٣	٢٢	٣١	٤	٥٨	٥	٢	١٢	٣٠	٣	٧	٦	٢٥	٧
الخميس	١٤	٢٣	٢٩	٤	٥٦	٥	٢	١٢	٣٠	٣	٨	٦	٢٦	٧
الجمعة	١٥	٢٤	٢٨	٤	٥٥	٥	٢	١٢	٣٠	٣	٨	٦	٢٦	٧
السبت	١٦	٢٥	٢٦	٤	٥٣	٥	١	١٢	٣٠	٣	٩	٦	٢٧	٧
الأحد	١٧	٢٦	٢٥	٤	٥٢	٥	١	١٢	٣٠	٣	١٠	٦	٢٨	٧
الاثنين	١٨	٢٧	٢٤	٤	٥١	٥	١	١٢	٣٠	٣	١١	٦	٢٩	٧
الثلاثاء	١٩	٢٨	٢٣	٤	٥٠	٥	١	١٢	٣٠	٣	١١	٦	٢٩	٧
الأربعاء	٢٠	٢٩	٢١	٤	٤٩	٥	٠٠	١٢	٣٠	٣	١١	٦	٣٠	٧
الخميس	٢١	٣٠	١٩	٤	٤٨	٥	٠٠	١٢	٣٠	٣	١٢	٦	٣١	٧
الجمعة	٢٢	٣١	١٨	٤	٤٧	٥	٠٠	١٢	٣٠	٣	١٢	٦	٣١	٧
السبت	٢٣	أول أبريل	١٧	٤	٤٥	٥	٥٩	١١	٣٠	٣	١٣	٦	٣٢	٧
الأحد	٢٤	٢	١٦	٤	٤٤	٥	٥٩	١١	٣٠	٣	١٤	٦	٣٣	٧
الأثنين	٢٥	٣	١٥	٤	٤٣	٥	٥٩	١١	٣٠	٣	١٤	٦	٣٣	٧
الثلاثاء	٢٦	٤	١٣	٤	٤١	٥	٥٨	١١	٣٠	٣	١٥	٦	٣٤	٧
الأربعاء	٢٧	٥	١٢	٤	٤٠	٥	٥٨	١١	٣٠	٣	١٦	٦	٣٥	٧
الخميس	٢٨	٦	١١	٤	٣٩	٥	٥٨	١١	٣٠	٣	١٦	٦	٣٥	٧
الجمعة	٢٩	٧	٩	٤	٣٨	٥	٥٧	١١	٣٠	٣	١٧	٦	٣٦	٧
السبت	٣٠	٨	٨	٤	٣٧	٥	٥٧	١١	٣٠	٣	١٨	٦	٣٧	٧

من أمثال القرآن الكريم

- ٤ -

فضيلة الشيخ احمد كامل الخضرى

تحت هـذا العنوان ، تكلمنا على بعض الأمثـال الواردة فى كتاب الله تعالى من أول سورة البقرة . الى آخر سورة الحج ..

ونتابع الكلام — بفضل الله تعالى ومعونته وتوفيقه — على بعض الأمثال فى سورة النور وما بعدها فنقول وبالله التوفيق : —

« سورة النور »

يقول الله عز وجل **« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم » الآية — ٣٥ .**

الله سبحانه وتعالى هو الذى أنار السموات والأرض . بالانوار الحسية كنور الشمس والقمر والكواكب والنجوم — وبالأنوار المعنوية كنور الحق والعلم والايمـان والهداية والتوفيـق وسـائر الفضائل .

وقد مثل جل وعلا هذا النور تمثيلا رائعا . فقال انه كمشكاة . وهى الكوة غير النافذة . فيها مصـباح اى سراج عظيم نوره ثاقب . وهـذا المصباح فى زجاجة . تزيده ضياء ولمعانا . وهذه الزجاجة كأنها كوكب درى . اى نجم مضىء منسوب الى الدر — وهذا المصباح موقد من زيت شجرة مباركة زيتونة معرضة لأشعة الشمس دائما طول النهار . فلا هى شرقية . حتى تحرم من ضـوء الشمس عند الغروب . ولا هى غربية . حتى تحرم من ضوئها عند الشروق . وبذلك كان زيتها صافيا بالغ الصفاء . حتى ليكاد يضىء من غير أن تمسسه نار .. فهو ليس نورا عاديا . بل هو نور على نور . وهذا النور يهدى به الله من عباده من يشـاء . ويتفضل به على من يريد .. ويضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل الحسى للناس . ليزدادوا تفهما واعتبارا واتعاظا . وهو العليم بكل شىء . فيعلم الطائع المهتدى الذى يستنير بنوره . فيجازيه على ذلك الجـزاء الأوفى بالنعيم الخالد المقيم . ويعلم العـاصى الذى لا يسـتنير بنوره فيجازيه بالعقاب الشديد وبئس المصير ..

فذلك قوله تعالى **« الله نور السموات والأرض »** الله علم على الذات العلية . وهو قديم أزلا . لا أول لوجوده . باق بقاء سرمديا لا فناء له .. وهو مستوجب لكل كمال . ومنزه عن كل نقص . وهو الذى ينور السموات ويزينها بالأنوار الحسية من شمس وقمر وكواكب ونجـوم — والمعنوية بالملائكة الأبرار . الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون — وينور الأرض بالانبيـاء والمرسلين والعلمـاء الصالحين . الذين يقيمون الحق والعدل وينشرون العـلم والمعرفة ويبينون الحلال والحرام . ويدعون الى مـكارم الأخلاق ومحاسن الصفات — ويزينها بالمزروعات والنباتات والأشجار والمياه والهواء وكل ما ينفع الناس . ويبقى لهم الحياة .. وكلها آيات بينات دالة على وجود الله تعالى وقدرته وعظمته . وأنه وحده هو الذى يجب أن يعبد وأن يقدس وأن يطاع .

وفى كـل شـىء له آيـة
تـدل على أنـه الواحـد —

« مثل نوره » اى فى وضوحه وجلائه فى قلوب عباده المؤمنين الطائعين . « كمشكاة » وهى الكوة غير النافذة .. فيكون الضوء فيها أكثر تلألؤا وأعظم ظهورا وتألقا « فيها مصباح » اى سراج عظيم ثاقب « المصباح فى زجاجة » اى وهذا المصـباح فى زجاجة تزيده ضوءا ولمعانا « الزجاجة كأنها كوكب درى » اى وهذه الزجاجة لشـدة ضوئها ولمعانها . كأنها كوكب عظيم درى منسوب الى الدر فى صفائه وحسنه — وقيل الكوكب الدرى هو

أحد الكواكب الخمسة السيارة المعروفة . وهى زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد «يوقد» أى هذا المصباح يضاء «من شجرة مباركة زيتونة» أى من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة . فان زيت الزيتون يضاء به . ويدهن به .ويدخل فى الطعام .وهو أصفى الزيوت وأعظمها ضياء — روى أن أول شجرة نبتت بعد الطوفان هى شجرة الزيتون ..

وأخرج الترمذى رحمه الله عن أسيد بن ثابت رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة » وقوله تعالى « لا شرقية ولا غربية » أى شجرة معرضة لضوء الشمس دائما من شروقها حتى غروبها .. فليست شرقية فقط . حتى تحرم من ضوء الشمس عند الغروب . ولا غربية فقط حتى تحرم من ضوئها عند الشروق . وبذلك كان زيتها بالغ الجودة . وكان أحسن أنواع الزيوت صفاء ونقاء وضياء « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » أى من شدة صفائه وجودته . يكاد يضىء من غير أن تمسه النار ..

والمشكاة الجامعة للضوء . والتى جعلته محصورا فيها . والزجاجة المقوية له . والمصباح المتقد . والزيت الصافى . كان النور اقوى واعظم — فلولا المشكاة لتفرق فى سائر الجهات . ولولا صفاء الزيت لم يكن ضوؤه عظيما ولولا الزجاجة لم يكن شديد التألق .. ولهذا كله . لم يكن هذا النور عاديا . بل هو كما قال عز وجل « نور على نور » أى نور مضاعف ..

هذا ومن الثابت المقرر . أن نور الله عز وجل . الذى مثله سبحانه بالمشكاة التى تضاعف فيها النور وتناصر بالزجاجة والمصباح والزيت الصافى النقى . حتى لم يبق شىء مما يقوى النور — أقوى وأعظم — فالله سبحانه وتعالى قد مثل نوره بما هو ادنى منه ..

ولا حرج فى ذلك ولا ضرر .. فا لتمثيل الأعلى الذى يكون محسوسا ولا مشهودا . بالادنى الذى يكون محسوسا ومرئيا ومعاينا . أمر معهود ولذلك . عندما مدح الشاعر ابو تمام . الخليفة المأمون بقوله : —

اقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

واعترض الناس عليه قائلين له : ان الخليفة فوق من مثلته بهم .. فقال على الفور مرتجلا : —
لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلا شرودا فى الندى والبأس
فالله قد ضرب الاقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

وقوله تعالى « يهدى الله لنوره من يشاء » أى ان الله تبارك وتعالى هو الذى يهدى من يشاء من عباده المؤمنين الطائعين . الى نور الحق والمعرفة . والى دين الاسلام وهو الذى يعلمهم ويرشدهم ..

وفى آية أخرى يقول سبحانه مخاطبا سيد الانبياء وخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام .. **« انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء »** .

نسأله سبحانه وتعالى أن يمنحنا الهداية والتوفيق ..

وقوله تعالى « ويضرب الله الأمثال للناس » أى يبينها لهم تقريبا لافهامهم وللاعتبار وللاتعاظ . ولتكون طريقا وسبيلا الى الايمان بالله والمعرفة والرشاد . « والله بكل شىء عليم » فهو سبحانه وتعالى عليم بكل الاشياء . لا تخفى عليه خافية . فيبين الأمور ويجرى الاشياء على حسب علمه وخبرته وحكمته . ويجازى المحسن على احسانه والمسىء على اساءته ..

فعلى العاقل أن يستحضر دائما أن الله عز وجل عليم بكل شىء . وانه يعلم السر وأخفى . ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . وأنه ما يكون من نجوى ثلاثة الا وهو رابعهم . ولا خمسة الا وهو سادسهم . ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا — فيراقبه سبحانه ويخشاه فى كل أمر من الأمور . حتى يحظى برضوانه . ويفوز بفضله واحسانه . ويكون من أهل محبته الناعمين بجنته . مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا .

هذا والمتأمل فى هذا المثل الرائع الذى ضربه الله تبارك وتعالى لنوره العظيم ولينظر فى هذه الآية الكريمة التى اشتملت عليه . وتلك الصياغة التى بلغت الحد الأعلى فى البلاغة والفصاحة وسمو الأسلوب وحلاوة الالفاظ ودقة المعانى .. فان قلبه يمتلىء بنور الله . ويزداد ايمانا به سبحانه . وثقة فيه . وتفيض عليه بركاته . ويشعر بسعادة كبرى دونها كل سعادة ..

فاغتنم يا أخى هذه الآية الكريمة وتأمل فيها . وانعم بما تفيضه عليك من خير وسعادة وبالله التوفيق ..

ويقول عز وجل :

« والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا

أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

فى هاتين الآيتين الكريمتين . ضرب الله سبحانه وتعالى مثلين رائعين لاعمال الكافرين . فبين أن أعمالهم الطيبة التى يعملونها فى الدنيا ويظنون أنها تنفعهم فى الآخرة . ولكنها لا تنفعهم أصلا — مثلهم كمثل العطشان الذى يرى من بعيد سرابا فيظنه ماء . حتى اذا اقترب منه وعاينه لم يجده ماء . ولم يجد شيئا .. وهذا الكافر فى الآخرة يجد حساب الله الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها . فيعذبه جزاء كفره وتمرده .

وأما أعمالهم السيئة فقد مثلها سبحانه بالظلمات المتراكبة فى بحر شديد العمق . صاخب الأمواج الكثيرة . بعضها فوق بعض . وفوقها سحاب يزيدها ظلاما . حتى بلغ من شدة هذه الظلمات . أن هذا الكافر لا يرى أقرب الأشياء اليه . حتى يده نفسها لا يكاد يراها .. لأنه حرم نور الايمان والعياذ بالله تعالى ..

ومعلوم أنه لا نور الا نور الله .. ومن حرم نور الله . فانه لا يكون له نور أصلا — فذلك قوله تعالى « **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة** » . السراب هو ما يرى من بعيد فى الصحراء وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض من شدة ضوء الشمس . فيظنه الرائى ماء . والقيعة القاع . وهو المنبسط من الارض « يحسبه الظمآن ماء » أى يظنه ويتوهمه العطشان المتلهف على شرب الماء . ماء « حتى اذا جاءه » أى حتى اذا اقترب وجاء الى موضع السراب «لم يجده شيئا» أى لم يجد ما توهمه وما ظنه ماء ..

وهذا مثل للأعمال الطيبة التى يعملها الكافر فى الدنيا . والتى يظن أنها تنفعه فى الآخرة — لكنها لا تنفعه بل تكون حابطة بسبب كفره . فمثلها كمثل الظمآن المتلهف على الماء . الذى يرى السراب وقت الظهيرة فيظنه ماء . ولكنه حين يقترب منه لا يرى شيئا ولا يجد ماء ..

وقوله تعالى « ووجد الله عنده فوفاه حسابه » أى أن الكافر يوم القيامة يجد عذاب الله وعقابه على كفره . فيحاسبه سبحانه حسابا وافيا حقا وعدلا .. « والله سريع الحساب » فهو سبحانه عليم بأعمال الناس جميعا . يحاسب كلا على ما قدمه من عمل .. ولا يشغله حساب واحد عن واحد .. « أو كظلمات » وهذا مثل ثان لأعمال الكفار .. فبين سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار فى الدنيا ان كانت طيبة فهى كسراب — وان كانت سيئة فهى كظلمات « فى بحر لجى » أى عميق كثير الماء « يغشاه » أى يعلوه « موج من فوقه موج » أى صاخب الأمواج . متراكما « من فوقه سحاب » أى من فوق الأمواج الكثيرة المتراكبة سحاب يزيدها ظلاما « ظلمات بعضها فوق بعض» أى أن البحر اللجى العميق يكون قاعه مظلما جدا بسبب كثرة الماء . فاذا ترادفت فيه الامواج واشتدت وتصاعدت . ازدادت الظلمة .. فاذا كان فوق الامواج سحاب . بلغت الظلمة الحد الأقصى « اذا أخرج يده لم يكد يراها » أى لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة .. ومعلوم أن اليد أقرب شىء يراه الانسان ..

ولما كان الكافر له ثلاث ظلمات .. ظلمة الاعتقاد . وظلمة القول . وظلمة العمل .. ذكر الله تعالى فى التمثيل والتشبيه ثلاث ظلمات .. ظلمة البحر . وظلمة الامواج . وظلمة السحاب .

قال ابن كعب .. ان الكافر يتقلب فى خمس ظلمات .. كلامه ظلمة . وعمله ظلمة . ومدخله ظلمة . ومخرجه ظلمة . ومصيره يوم القيامة الى ظلمات النار « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » يعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يمنح أنوار الايمان والمعرفة الى عباده . فكل امرىء لا يمنحه الله نورا . فلا يكون له نور أصلا ..

نسأله سبحانه وتعالى أن يملأ قلوبنا بنور الهداية والايمان والمعرفة . وأن يشملنا بفضله واحسانه ورحمته .. « آمين » .

والكلام متصل . فالى العدد القادم ان شاء الله ..

التحليل النفسى للقصة القرآنية

الدكتور عبد الغنى الراجحى

مما لا شك فيه وتؤيده الحوادث والوقائع التاريخية والحقائق الثابتة ، أن اليهود مصابون بعقدة الرعب والخوف الشديد ، الذى يتبطن مشاعرهم ، ويجرى مع ذرات دمائهم فى عروقهم شىء تأصل فيهم بالوراثة وقوى وازداد أمره وتفاقم بما قرأوه وعرفوه من تاريخ حياتهم ، فى أسفار التوراة وموروثات المعارف الانسانية على مدى ثلاثة آلاف سنة ، وهم أمة بلا وطن وشعب بلا أرض ، وقوم بغير جغرافية ، عاشوا بين البشر كأنهم ليسوا من البشر . لانهم كانوا يعتبرون أنفسهم هم البشر وغيرهم من البشر كلاب أو حمير كما جاء فى التلمود . فارتد سهمهم الى نحرهم واعتبرهم البشر أنهم غير بشر وراحت كلمة يهودى تعنى سبة لا يرضى باطلاقها عليه أى انسان. نشأوا وتكونوا بشكل غير طبيعى . وعبروا رحلة حياتهم كنبات يحاول العلماء أن ينموه فى الماء كيميائيا دون أرض تنبت فيها الجذور وتضرب فى أعماقها ، فهو شبه النبات الطبيعى لكنه ليس نباتا طبيعيا ، بل هو نبات شيطانى يزاحم النبات الطبيعى فى أرضه الطيبة فما يكون جزاؤه الا مناجل الزراع تجتثه ، وهكذا كانت الشخصية اليهودية ليست شخصية طبيعية سوية سليمة ، شخصية هدها الرعب هدا . ومزقها الاحساس بالخوف تمزيقا، وضرب عليها الشتات مظلة من الذل والمسكنة والشعور بالاثم والعقوبات التى نزلت بهم على مدى تاريخهم الطويل ، الذى احترفوا من أجله البكاء والعويل ، واتخذوا له حوائط وجدرا للبكاء يسمونها المبكى . والشخصية التى يمزقها الرعب ويهدها الخوف ، وتتسلط عليها الهواجس والوساوس ، لا تعرف الاتزان والوسطية والتفاهم وادارة الحوار بالمنطق السليم ، فهى اما ذليلة مستكينة مضروبة على رأسها بعصا الذلة والمسكنة ، تمتص نكبتها فى خضوع واستسلام . واما اذا واتتها الفرصة سفاكة للدماء ، خائنة للعهود ، محبة للانتقام والبطش ، لا تعرف فى انتقامها شفقة أو رحمة لأنها تنفس عن غريزة مكبوتة من ارادة الانتقام، كبتها عامل القهر والغلبة والتسلط الذى لايرحم لأنه ينزل بمن لا يستحق رحمة ولا شفقة ، ويعترف باطنيا بأنه يستحق ما ينزل به من عقاب ، ان حيوان السيرك يستسلم ويؤدى دوره الذى يراد منه تحت تأثير سوط المدرب وسلاحه ، لكن اذا وجد فرصة للانتقام ، كان شديد البطش ، جبارا فى انتقامه من مدربه ، الذى أذله وروضه .

تلك حال اليهود من قديم التاريخ ، يبلبل الرعب نفوسهم ويشتت أفكارهم ، ولا يعرفون ماذا يريدون ، ولا يصلحون لادارة حوار أو احتكام لعقل أو منطق أو تفاهم بالحسنى ، كأنهم لا يثقون فى شىء حتى ولا فى أنفسهم ، ويشكون حتى فى أنهم شاكون ولا يتصورون أن أحدا يريد بهم خيرا أو يبادرهم سلما ، أو يدعوهم الى خطة سلام ، فهم أعجز من أن يكونوا على مستوى مبادرة السلام وفرصة السلام التى هيأها لهم ودعاهم لها الرئيس السادات ، مما أن بادرهم بذلك حتى انطلقوا لأول دقيقة يديرون اسطوانات البكاء والعويل والشتات والاضطهاد ، وعرض النازى لهم على أفران النيران ، وعرض العرب لهم على أعماق البحار . ثم أخذتهم العزة بالاثم فتقدموا لمشروع السلام بمشروع كأنه مشروع حرب ، حيث لا دولة لفلسطين ، ولا رجعة الى حدود ما قبل الحرب ، ولا تعريب للقدس ولا .. ولا .. الغرور والغطرسة والعجرفة حتى بعد أن ضربوا فى بارليف وسيناء والجولان ، الضربة التى تحدث عنها العالم من أقصاه الى أقصاه .

ان القصة القرآنية تحدثت عن موسى كليم الله والشعب اليهودى بما لم تتحدث به عن نبى آخر مع شعبه وقومه . حيث جاء هذا القصص

الاسرائيلى الموسوى فى اكثر من خمسمائة آية قرآنية ، وهى سجل حافل وشريط مسجل ناطق بما ترسب فى نفسية الشعب اليهودى من الرعب والخوف ، والاحساس العميق بالقهر والذلة والمسكنة : جزاء وفاقا على ما كانوا يقترفونه من جنايات وانحرافات ، ومثالب ومعايب يتأذى منها الضمير الانسانى ، وتأباها أدنى مراتب الآدمية . فها هو ذا القصص القرآنى فى سورة القصص يقول عن موقف فرعون منهم « وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك ؟ قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون » .

ويتكرر هذا المعنى فى اكثر من سورة واكثر من مناسبة . تقتيل وتذبيح فرعون للأبناء وترك البنات . ولست أدرى اذا كان النساء اليهوديات اليوم اكثر من الرجال أم لا ؟ وقد كان موسى نفسه عرضة لهذه الفعلة لولا أن نجاه الله وصنعه على عينه ليكون رسولا نبيا .. وقد جاءت هذه الحقيقة — القهر الفرعونى للشعب الاسرائيلى — فى حوار آخر فى طرف آخر من القصص ، حيث يقول القرآن « **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون** » . ثم تحدثنا القصة القرآنية عن مشهد آخر رهيب ارتعدت له فرائص الشعب اليهودى ، وتحدث عنه سفر الخروج فى التوراة ، وذلك لما اذن الله لموسى أن يسرى ليلا هاربا بقومه من أرض مصر الى أرض الشام ، وكانوا ينحرفون من الشرقية بمصر الى الجنوب فاعترضهم البحر فكان أمامهم والعدو من فرعون وجنده وراءهم ، فلما رأى الاسرائيليون فرعون وجنده قالوا مذعورين خائفين مرعوبين (انا لمدركون) سيدركنا فرعون وجنده فنمزق شر ممزق ، فقال موسى مطمئنا لهم « كلا أن معى ربى سيهدين » ثم أوحى اليه أن يضرب البحر بعصاه فانفلق الى شوارع اجتازوها مذعورين هاربين كالجرذان المذعورة بين شوامخ الجبال ، وأغرق الله فرعون وجنده . وصدق قوله الكريم « **ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين** » وهكذا يفرغون من حياة الذل والرعب والعذاب والاستضعاف فى أرض مصر ليستقبلوا حياة أخرى بأرض أخرى ، فهل كانوا أحسن حالا واهدأ بالا ؟ .. ان الحقائق التاريخية الثابتة والناطق بها القصص القرآنى تقول لا . فما زالوا يفسقون وينحرفون فيضربون بالذل والعذاب والانتقام .. فلما أمرهم الله بدخول القرية ساجدين تائبين بدلوا حرفوا وسخروا فأنزل الله عليهم رجزا وعذابا وانتقاما من باب الأمراض الفتاكة والمعدية « **واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون** » الأعراف . ولما كان العمل محرما عليهم يوم السبت لكنهم قاموا بصيد الأسماك يوم سبت أوقع الله بهم عذابا واهانة ذهبت مثلا فى التاريخ حيث جعل منهم القردة والخنازير « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » الأعراف . « **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين** » البقرة . ولسنا نعرف فى تاريخ الديانة أو التاريخ العام أمة رفع الجبل فوق رءوس بنيها حتى يقبلوا حقا رفضوه الا هذه الأمة الاسرائيلية « **واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** » الأعراف . ترى هل يحتاج الأمر فى قبولهم مبادرة السلام الى رفع الجبل فوق رءوسهم ؟؟ ويقص علينا القصص القرآنى عبادة بنى اسرائيل للعجل فيقول « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » الأعراف . ومعنى سقط فى أيديهم أنهم ندموا ندما شديدا وانفعال الندم أذل للنفس من أى اذلال آخر ، ثم تقول القصة « **ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين** » الأعراف . وتدل القصة القرآنية فى سورة الأعراف على أن موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى جبل المناجاة ، وانهم لما ذهبوا تزلزل الجبل تحت أقدامهم وهزهم هزا عنيفا وملأ قلوبهم رعبا وأذاب نفوسهم حسرات . « **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة** » الأعراف .

ثم يحدثنا قصصهم عن بطشة أخرى نزلت بهم كضربة جزاء على تطاولهم وتماديهم فى غيهم وعجرفتهم وغطرستهم وذلك فى قوله تعالى « **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم**

من بعد موتكم لعلكم تشكرون » البقرة . ثم يحدثنا قصصهم فى القرآن عن لطمة أخرى وعقوبة انزلت بهم المذلة والمهانة ، وكان شتاتهم فى العالم ومذلتهم ومسكنتهم العالمية امتدادا لتلك المهانة والعقوبة ، مهانة وعقوبة ضرب التيه عليهم لما قال لهم نبيهم موسى « **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين »** فكان جوابهم « **يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون»** وبرغم انه كان منهما رجلان صالحان يأمران بطاعة أمر الله الا أن القوم لم يسمعوا لهذا ولا لذاك بل استقر رايهم فى قولهم « **يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون »** فما كان من موسى الا ان قال « **رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين »** فما كان من الله الا أن قال « **فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين »** سورة المائدة وهكذا ضرب عليهم التيه والشتات والذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب أن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم » الأعراف . والأربعون سنة قيد فىتحريم الأرض المقدسة،أما التيه فهو أبد الآبدين ودهر الداهرين.تيهالشعور بالرعب والمطالبة بالأمن وعدم الاحساس به ، حتى وان صاروا ترسانة مسلحة ، والسلاح لا يضمن الأمن بل هو علامة عدم الأمن .

هذا هو شريط المذلة والرعب الذى طوق النفسية اليهودية منذ فجر تاريخها حتى انقضت حياة رسولهم معهم فى نضال مستمر وعراك دائم لم يعرف مثله اطلاقا فى تاريخ أية أمة من أمم الأرض أو نبى من أنبياء الله .. لقد كانت حياتهم بعد موسى على وتيرة حياتهم معه . الليلة بنت البارحة ولا تلد الحية الا حية . المكر والدهاء والخبث والانحراف ، ثم الذل والرعب والعذاب المهين ، ويذكر القرآن الكريم من ذلك مرتين فى كل مرة وقعت بهم بطشة كبرى تكاد تبيدهم ابادة تامة ، وتقطع عرق وجودهم من هذه الحياة ، الأسر البابلى قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام وتنكيل القائد الرومانى طيطس بهم فى سنة ٧٠ بعد ميلاد المسيح . وذلك فى قوله تعالى فى سورة الاسراء « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » .

هذا هو شريط الرعب الذى صنعته الأحداث الدينية والتاريخية تطوق به نفوس اليهود يهدها هدا كضربة جزاء وتأديب على ما كان يصدر منهم من معابثات وجرائم فى حياة رسولهم موسى الكليم والى ما بعد ميلاد السيد المسيح عليهما الصلاة والتسليم . فماذا كان من أمرهم بعد ذلك ؟ هذا ما سوف نتناوله فى مقال قادم ليتبين لنا ان مبادرة السلام كانت لو ارتفعوا الى مستواها كفيلة بكسر الحاجز النفسى حاجز الخوف والرعب ..

والسؤال الآن . هل يمكن أن يكون كسر الحاجز النفسى حاجز الخوف والرعب أصعب من كسر حاجز الحرب ــ خط بارليف وسيناء والجيش الذى لا يقهر ؟

ان الحكمة التى اقتدرت على كسر أحد الحاجزين قادرة على كسر الحاجز الاخر ... وبالله التوفيق .

القرآن وادعاءات الملحدين

فى حوار دار فى الاذاعة حول أحد الكتب التى تبحث أو تثبت .. أو على الأصح تحاول أن تثبت وجود الله سبحانه وتعالى بالأدلة العلمية .. أن قال أحد المتحدثين .. أنك حين تناقش أنسانا لا يؤمن بالله فلا يجب أن تستشهد بآيات من القرآن .. بل يجب أن تناقشه مناقشة عقلية صماء بعيدة عن كل الكتب المقدسة ..

ولقد أذهلتنى هذه العبارة .. ذلك لأن الافتراض أو الادعاء بانه ليس فى القرآن ما يرد على الملحدين ادعاء باطل .. ففى القرآن أكثر من معجزة متجددة .. وستظل متجددة حتى قيام الساعة .. والقرآن يستطيع أن يرد على أى ملحد .. بل ان آيات القرآن وما جاء به تحمل ردودا قاطعة على كل انسان .. ولكن الحقيقة أننا نترك هذا ونتجه فى الحديث عن الدين .. عن أشياء أخرى وخلافات تافهة .. تاركين آيات الله ومعجزاته فى الكون .

الأستاذ احمد زين

والذى يجب أن يعرفه الجميع ان من يسلم من أساتذة الجامعات مثلا فى أوربا أو أمريكا .. انما يسلم من دراسة القرآن والسنة .. وأنه من خلال هذا الكتاب ومعجزاته .. دخل الايمان الى قلوبهم .. ومعظمهم من الذين درسوا الاسلام وتعمقوا فيه بحكم عملهم كأساتذة للدراسات الشرقية حول التراث العربى أو ما الى ذلك .. معظمهم من الذين بدأوا يبحثون داخل الاسلام فى دراسة أكاديمية ثم بعد ذلك وصلوا الى الايمان الحقيقى عن طريق أشياء كثيرة .. فمثلا أحدهم هزته الآية الكريمة فى خطاب الله سبحانه وتعالى لنبيه قائلا له : « **والله يعصمك من الناس** » .. ثم قرأ بعد ذلك فى التفسير أنه بعد نزول هذه الآية صرف محمد عليه السلام أصحابه الذين كانوا يقومون بحمايته من اعتداءات المشركين .. ثم ترك الرجل وهو عالم فرنسى شهير .. المصحف وقال : لابد ان هذا النبى صادق فعلا .. وأن هذا القرآن من عند الله .. اذ لو لم يكن من عند الله لما صرف النبى أصحابه عن حراسته .. وعرض حياته التى هى أكثر ما يحرص الانسان عليه للخطر .. ولكن لأنه على يقين من أن الله قال هذا فقد قام بصرف أصحابه عن حراسته وهو على يقين ان أحدا لن يستطيع ايذاءه .. وهذا اليقين دخل قلب العالم الفرنسى فأسلم .. وتذكرنى هذه القصة بأعرابى جاء للنبى صلى الله علية وسلم ومعه قطعة من عظم آدمى مضى عليها فترة طويلة .. ثم تركها امام النبى حتى أصبحت ترابا .. وقال له يا محمد أتدعى ان الله يبعثنى بعد أن أصبح ترابا مثل هذه العظمة .. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم .. نعم يبعثك ويدخلك النار .

ولقد كتبت منذ عدة سنوات كتابا بعنوان «الى التى سألت اين الله .. وفى هذا الكتاب تعرضت لبعض ما يحاول الفكر الملحد ان يضعه فى أذهان الشباب .. ولقد قلت فى مقدمة الكتاب .. ان ما هو فوق قدرة العقل موجود فى هذه الدنيا .. وقلت ان الله سبحانه وتعالى حين خلق الحياة .. خلقها وهو يعلم ان هناك أناسا سيأتون .. ويحاولون الجدل .. مستغلين القوة المحدودة للعقل البشرى بالنسبة لقدرات الله وصفاته سبحانه وتعالى .. وقلت أن الانسان لم يخترع شيئا فى الكون .. بل اكتشف .. فالانسان لم يخترع الغلاف الجوى ليطير فيه .. ولم يخترع الكهرباء ليستخدمها .. ولم يخترع الأثير ليتحدث فتستمع اليه الدنيا كلها فى وقت واحد .. ولم يخترع أشعة الليزر .. أن الانسان لم يصنع غلافا جويا جديدا للأرض .. ولم يخرج بطائراته ومعداته الصناعية ليضيف موجات الأثير الى العالم .. وهو مثلا لم يصنع الظروف الملائمة لحياته فى الأرض .. ولم يصنع غلافا جويا يتناسب مع التنفس والضغط الى آخر هذا .. ولم يصنع شمسا تنير وتغذى الزرع .. وتدفىء الدنيا لتجعل الحياة ممكنة .. ولم يصنع ليلا

ليستريح فيه .. ولم يصنع ماء ليشربه .. ولا هواء ليتنفس به .. ولا دواء ليعالج به نفسه .. بل انه اكتشف هذه الاشياء كلها التى صنعها الله له .. وكان الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يعطى اسرار هذه الحياة الدنيا للعقل البشرى منذ لحظة مولده .. ولكنه اراد أن يعطيها له قطرة قطرة . مصداقا لقوله تعالى :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ..

لماذا اختار الله سبحانه وتعالى أن يعطى العلم الأرضى للعقل البشرى قطرة قطرة .. ذلك أنه أراد أن يثبت لنا بالدليل المادى القاطع .. أن ما فوق قدرة العقل موجود .. فلو أنك قلت لانسان منذ ألف سنة مثلا أنك ستطير الى الفضاء .. أو ستحلق فوق الأرض فى ساعات .. أو ستتكلم فتسمعك الدنيا .. أو ستتحدث فى القمر ستراك الناس على الأرض .. لأتهمك بالجنون .. ولو أن انسانا فى ذلك الوقت أى منذ ألف سنة أعطى جزءا من هذا العلم كان يطير بالطائرة .. ويقفز بالمظلة لينزل حيث يريد .. لأعتقد الناس أنه اله .. لماذا ؟ .. لأن كل هذه الاشياء كانت فوق قدرة العقل البشرى .. ثم ماذا حدث .. دخلت قدرة العقل البشرى بأذن الله .. فاصبحت مسألة عقلية جدا .. يمكن أن يعقلها أى طفل صغير .. بعد أن كانت تستعصى على أكبر العقول فى الماضى .. هل هذه الأشياء كانت غير موجودة .. الكون كما هو .. الغلاف الجوى كما هو .. الأرض كما هى .. المواد الكيماوية الموجودة فى الأرض كما هى . اذن فقد كانت كل هذه الأشياء موجودة .. ولكن استخدامها أو الانتفاع بها كانت فوق قدرة العقل البشرى .. الا أن كونها فوق قدرة العقل البشرى لن يمنع أنها موجودة منذ خلق الأرض اذن فما هو فوق قدرة العقل البشرى موجود بالدليل العلمى ومستمد من قدرة الله سبحانه وتعالى ..

على أننى قبل أن أختم هذا الحديث .. أحب أن أتحدث عن قصتين صغيرتين شهدتهما أثناء وجودى فى أمريكا فى زيارة .. ورأيت عجز العلم والتكنولوجيا أمام قدرة الله سبحانه وتعالى فى أشياء صغيرة .. وأنا لا اتحدث هنا عن خلق الحياة .. فذلك أمر بعيد جدا على العلم .. ولكن الله سبحانه وتعالى حين أعطى الانسان العلم استبقى فى غيبه ثلاثة أشياء .. خلق الحياة .. واستمرار الحياة .. ونهاية الحياة .. هذه العوامل الثلاثة لن يصل اليها العلم ..

وهذا موضوع نقاش لا يتسع له المكان الآن .. ولكن أحد عوامل استمرار الحياة هى اللبن والماء .. والعالم يعانى أزمة فى الألبان ونقصا فى المياه العذبة .. والعلم عاجز ..

القصة الأولى عن اللبن الذى طلب الله سبحانه وتعالى منا أن نلتفت الى خلقه .. وقال سبحانه وتعالى : من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » .. لقد جاءوا باللبن الطبيعى وحللوه الى عناصره كلها .. ثم جاءوا بهذه العناصر صناعيا وخلطوها ومزجوها .. وجاءوا بعشرين فأرا .. عشرة فئران قاموا بتغذيتها على اللبن الطبيعى ... وعشرة فئران أخرى قاموا بتغذيتها باللبن الذى صنعوه من نفس العناصر الموجودة فى اللبن الطبيعى .. العشرة فئران الاولى كبرت وسمنت .. والعشرة فئران الثانية ماتت بعد أسبوع .. لماذا ؟ .. رغم أن كل العناصر الموجودة فى اللبن الطبيعى موجودة فى اللبن الاخر .. تلك هى قدرة الله سبحانه وتعالى .. فبينما يعجز العلم عن أن يسقى طفلا كوب لبن واحد .. يسقى الله ملايين الأطفال ما يحتاجونه من اللبن ..

وما حدث فى اللبن .. حدث فى الماء .. فقد عانت مدينة نيويورك من أزمة شديدة فى الماء حتى أن عمدة المدينة فى ذلك الوقت طلب من أهلها الاقتصاد فى استعمال الماء .. ووقف أجهزة تكييف الهواء .. وجاء بعدد كبير من الغواصين للغوص فى البحيرات أو مصادر المياه التى تشرب منها مدينة نيويورك . وهنا أقترح بعض الناس على العمدة أن يصنع سحابة صناعية تمطر فوق نيويورك وتحل الأزمة .. وهلل العمدة للمشروع وأحضر الطائرات وكل المعدات اللازمة .. وتكلف حوالى نصف مليون دولار .. وبدأت التجربة وفشلت فشلا ذريعا ولم تسقط قطرة ماء واحدة ..

وهكذا عجز العلم فى أن يسقى الانسان كوبا من الماء .. بينما الله سبحانه وتعالى يعطى الماء للبشرية كلها مجانا لتعب فيه عبا .. وهنا يحضرنى قول الله سبحانه وتعالى **« أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » ..**

وهكذا آيتان من القرآن الكريم وقف العلم بكل قواه وقدراته عاجزا أمامهما لا يستطيع حراكا .. ولكن هناك مئات من الايات فى القرآن تتحدى وتحمل اكثر من معجزة .. سواء لتقول

للناس عن أشياء ستحدث في المستقبل منها ماحدث .. ومنها ما سيحدث .. او لتتحداهم في ان يستطيعوا ان يصلوا الى شيء لن يصلوا اليه . ويجب الا نغفل عن هذه الايات ومعانيها .. بل يجب أن نقدمها للشباب .. ولكل من يحاول نشر الالحاد في هذه البلد ليعلموا أن هناك الف دليل في القرآن يرد على الملحدين ويخرسهم .. واستخدام الادلة من القرآن فيه خير رد وأحسن دليل ..

(بقية خصائص القصة القرآنية)

ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسئين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون .. « قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » .

فكان جزاؤهم قول الله تعالى : **« فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين »** .

فرض الله على بنى اسرائيل (التيه) وهو عقاب لم ينزله الله بقوم آخرين ولم ترد حتى الاساطير التى تحتوى عليها ثقافات الأمم القديمة كالهند والصين عقابا كهذا العقاب .

ولما كانت التوراة التى بين ايدى الناس لا تروى قصة بنى اسرائيل بهذا الأسلوب الربانى القرانى بل باسلوب بشرى صرف فان من اهل الكتاب فى العصر الحديث من اغراه هذا بتفسير هذا التاريخ تفسيرا علمانيا ذهبوا فيه الى أقصى الحد فقال العالم اليهودى الذائع الصيت : فرويد ان موسى لم يكن عبرانيا وانما كان مصريا وانه كان تلميذ اخناتون وأن التيه لم يكن سوى رمز لما أصاب موسى عليه السلام بايدى العبرانيين أنفسهم اذ قتلوه عندما دعاهم الى العودة الى الدين القديم وأصروا على الشرك والكفر فلما مات موسى شعر قومه بوحشة شديدة وحيرة مطبقة ولم يهتدوا الى طريق يسلكونه فلاهم قادرون على العودة الى دين العجل ولا هم واجدون من ياخذ بيدهم الى دين السماء وطالت حيرتهم هذه أربعين سنة ولم يكن ذلك سوى التيه .

وليس هذا كله سوى خبط فى الظلام نذكره استكمالا للبحث ولسان الحال يقول ناقل الكفر ليس بكافر .

نسخ المصاحف

بعد عهد الخلفاء الراشدين

ما كاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه يرسل المصاحف الى الأقطار الاسلامية حتى أقبلت عليها الأمة الاسلامية من كل صوب وحدب . وحتى اجتمعت عليها الكلمة فى الشرق والغرب . وحتى نسخت على غرارها الآلاف المؤلفة من المصاحف المقدسة فى كل جيل وقبيل . وكانت خالية من النقط والشكل ، وأخذت يد التحسين تتناول المصاحف بالوان شتى . وضروب متنوعة . فهناك تحسينات مادية ترجع الى النسخ والتجليد والتذهيب ونحو ذلك وهذه فيها بعض التيسير والترغيب والتشويق الى القرآن الكريم .

وهناك تحسينات معنوية وجوهرية ترجع الى تقريب النطق بالحروف . وتمييز الكلمات بوضع النقط والشكل لتحقيق الفروق بين الحروف المتشابهات .

وفى هذا نسوق الحديث .

فضيلة الشيخ احمد على مرعى

والمعروف أن المصحف العثمانى لم يكن منقوطا ولا مشكولا . لابقاء الكلمة محتملة لأن تقرأ بكل ما يمكن من وجوه القراءات الصحيحة المتواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم وضبط المصاحف بالشكل لم يحدث على المشهور الا فى عهد أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان .

ففى عهده اتسعت رقعة الاسلام . واختلط العرب بالعجم . وكادت العجمة تطغى على اللغة الفصحى . وفشا اللحن . وشق على الناس التمييز بين حروف المصحف وكلماته وخشى أمير المؤمنين أن يفضى ذلك الى اللحن والتحريف فى كتاب الله تعالى فعمل هو وأمراء المؤمنين من بعده على تلافى ذلك . وأحدثوا من الوسائل ما يكفل صيانة الكتاب العزيز من اللحن وحفظه من التحريف .

النقط والشكل

للنقط معنيان :

الأول ما يعرض للحرف من حركة او سكون أو شد أو نحو ذلك . ويسمى هذا النقط نقط الاعراب .

الثانى : ما يدل على ذات الحرف ويبين المعجم منه والمهمل . كالنقطة الموضوعة على الباء من أسفل . وعلى الجيم كذلك . والنقطتين على التاء من أعلاها . والثلاث نقط على الثاء من أعلى ، والثلاث نقط الموضوعة على الشين والنقطتين تحت الياء .

فنقطة الباء قد ميزتها عما يشاركها فى رسمها من التاء والثاء والياء ونقطة الجيم قد ميزتها عن الحاء والخاء ويسمى هذا النقط نقط الأعجام .

والشكل هو ما يعرض للحرف من حركات كالفتح والكسر والضم والسكون ونحو ذلك ويرادفه الضبط وعلى هذا يكون المعنى الأول للنقط مساويا لمعنى الشكل والضبط والذى جنح اليه المحققون من العلماء أن المخترع الأول للنقط بمعناه الأول المرادف للشكل والضبط هو أبو الأسود الدؤلى .

فقد ذكر الامام الدانى قال :

كتب معاوية رضى الله عنه الى زياد عامله بالبصرة يطلب عبيد الله ابنه . فلما قدم عليه

كلمه فوجده يلحن . فرده الى زياد . وكتب اليه كتابا يلومه فيه ويقول : أمثل عبيد الله يضيع ، فبعث زياد الى أبى الاسود الدؤلى ، فقال يا أبا الاسود ان الأعاجم قد افسدوا اللغة العربية فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم . ويعربون به كتاب الله تعالى ، فأبى ذلك ابو الاسود وكره اجابة زياد الى ما سأل . فوجه زياد رجلا . فقال له اقعد فى طريق ابىالاسود فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فيه . ففعل ذلك ، فلما مر به أبو الاسود . رفع الرجل صوته فقال « ان الله برىء من المشركين ورسوله » بخفض لام ورسوله فاستعظم ذلك أبو الاسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله . ثم رجع من فوره الى زياد فقال : يا هذا قد اجبتك الى ما سألت . ورايت أن ابدأ باعراب القرآن فابعث الى ثلاثين رجلا .

فأحضرهم زياد . فاختار منهم ابو الاسود عشرة ثم لم يزل يختار منهم حتى اختار رجلا من عبد القيس ، فقال له خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد الذى كتب به فاذا فتحت شفتى فانقط واحدة فوق الحرف . فاذا اضممتها فانقط النقطة الى جانب الحرف ، واذا كسرتهما فاجعل النقطة فى أسفله ، فاذا اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين ، ويريد بالغنة التنوين لانه يخرج من الخيشوم .

فابتدأ بالمصحف حتى اتى على آخره .

وللحديث شكل آخر أورده الامام ابو بكر الانبارى المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية فى كتابه ايضاح الوقف والابتداء بسنده عن الامام عاصم ابن أبى النجود الكوفى أحد القراء السبعة قال ويروى أن أبا الاسود هو الذى طلب من زياد فقد جاء الى زياد بالبصرة وقال انى ارى العرب قد خالطت الاعاجم وتعثرت السنتهم افتأذن لى أن أضع للعرب كلاما يعرفون أو يقيمون به كلامهم ، قال لا ، فجاء رجل الى زياد فقال أصلح الله الأمير . توفى أبانا . وترك بنونا . فقال زياد : توفى أبانا وترك بنونا ؟ ادعو الى أبا الاسود فقال ضع للناس الذى نهيتك أن تضع لهم .

وعلى كل حال كان أبوالاسود الدؤلى صاحب الفضل فى اختراع هذه الطريقة التى من شأنها أن تعلم الناس القراءة الصحيحة لكتاب الله تعالى . لأنه اول من وضع قواعد للنقطالمرادف للشكل وقد كتب هذا النقط بمداد يخالف لون المداد المكتوب به المصحف .

ويؤخذ مما تقدم أن من وضع النقط بمعناه الأول هو ابو الاسود الدؤلى وأنه لم يتعرض لنقط الاعجام وانما تعرض لنقط الاعراب وعنه أخذ العلماء من بعده وأدخلوا عليه بعض التحسينات . وظل الأمر كذلك الى عصرالدولة العباسية . وظهر امام النحو الخليل بن أحمد البصرى فتناول نقط أبى الاسود فحور فيه وعدل صوره وادخل تحسينات كثيرة عليه .

قال الامام الدانى فى كتابه المحكم فى نقط المصاحف : قال ابو الحسن بن كيسان الشكل فى الكتب من عمل الخليل بن أحمد وهو مأخوذ من صور الحروف فالضمة واو صغيرة فوق الحرفلئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة تحت الحرف والفتحة ألف مبطوطة فوق الحرف والشدة راس شين . والسكون رأس خاء . لأن السكون علامة الخفة وبهذا العمل الجليل يمكن القول بأن مشكلة الاعراب قد حلت وصار القارىء فى المصحف الشريف فى مأمن من الوقوع فى الخطأ فى الأداء القرآنى لكن ما زالت أمام القارىء صعوبات وهى التمييز بين الحروف المتشابهة فى الخط والشكل لكنها مختلفة فى النطق كنقط الباء والتاء والثاء والجيم والخاء والدال والزاى الخ . اى تنقيط الحروف وهو المسمى بنقط الاعجام . وهو موضوع الحديث التالى ان شاء الله ، والله الموفق ..

القراءات وتوجيهها من لغة العرب

(الم) قرىء بالسكت على كل حرف من حروفها الثلاثة . والسكت : هو قطع الصوت زمنا يسيرا بدون تنفس تستانف بعده القراءات. وهذا الحكم يسرى على جميع فواتح السور من أحرف الهجاء سواء أكانت مفردة وذلك فى سور « ص ، ق ، ن » أم مثناة وذلك فى سور « طه » طس : النمل ، يس ، حم : غافر ، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، أم ثلاثية وذلك فى سور « الم : البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة و « الر » يونس ، هود ، يوسف ، ابراهيم ، الحجر ، و « طسم : الشعراء والقصص . أم رباعية وذلك فى سور « المص : الأعراف ، المر : الرعد . أم خماسية وذلك فى « كهيعص مريم و « حم عسق الشورى » .

سورة البقرة

فضيلة الشيخ محمود حافظ برانق

وقد وجهت قراءة السكت على هذه الحروف ان هذه الحروف ليست للمعانى كالأدوات للأسماء والأفعال . بل هى مفصولة معنى متصلة مبنى ورسما وليست بمؤتلفة . ولذا وردت مفردة من غير عامل ولا عاطف فسكنت كأسماء الأعداد وحذف حرف العطف لشدة الارتباط والعلم به فهو يجرى مجرى كلام مستقل وفى كل واحد منها سر لله تعالى ، أو كل حرف منها كناية عن اسم الله تعالى .

وقد ذكر الامام أبو البقاء عبد الله بن الحسين فى كتابه « املاء ما من به الرحمن » أن هذه الحروف المقطعة كل واحد منها اسم : فألف اسم يعبر به عن مثل الحرف الذى فى قال . ولام يعبر بها عن الحرف الأخير فى قال . وكذلك ما أشبهها . والدليل على أنها أسماء أن كلا منها يدل على معنى فى نفسه . وهى مبنية لأنك لا تريد أن تخبر عنها بشيىء . وانما يحكى بها ألفاظ الحروف التى جعلت أسماء لها . وقرئت هذه الحروف بترك السكت لاتصالها رسما وعدم ملاحظة هذه المعانى لثبوت الرواية : اذ القراءة سنة متبعة قوله تعالى « لا ريب فيه » .

قرىء بمد « لا » النافية مدا متوسطا وسببه معنوى وهو قصد المبالغة فى النفى . وهكذا فى كل « لا » النافية للجنس فى جميع القرآن وهى المسماة بلا التى للتبرئة . وذلك يشمل أيضا « أن لا ملجأ من الله الا اليه » بالتوبة و « لاشية فيها بالبقرة و « **لا قوة الا بالله** » بالكهف و « لا مرد له من الله » بالشورى وهكذا .

ولا اله الا الله ولا اله الا هو . على وجه الخصوص : فقد استحب بعضهم مد الصوت فى لا اله الا الله . لما فيه من التدبر وفى مسند الفردوس وذكره ابن الجوزى فى النشر « من قال لا اله الا الله ومدبها صوته أسكنه الله دار الجلال دارا سمى بها نفسه فقال ذو الجلال والاكرام ورزقه النظر الى وجهه الكريم .

والجمهور على قصر نحو « لا ريب فيه » على الأصل حيث لم يعتدوا بالسبب المعنوى المذكور .

قوله تعالى « فيه هدى للمتقين » قرىء باشباع كسر الهاء من « فيه » وهكذا فى كل هاء

مكسورة أو مضمومة نحو : عقلوه وهم . قرىء باشباع ضمة الهاء مقدار حركتين بحركة الأصبع وذلك للمبالغة فى بيان الهاء فى كل . حيث انها حرف ضعيف اجتمع فيها الصفات الضعيفة . وقرىء بترك الاشباع تخفيفا أو لكراهة اجتماع المتشابه حيث ان الهاء حرف ضعيف توسط بين متشابهين ساكنين للياءان من نحو : فيه هدى . والواوان من نحو عقلوه وهم . حالة الاشباع فيهما . فكانما بذلك التقى ساكنان لم يفصل بينهما بفاصل .

قوله تعالى **((وما يخدعون الا أنفسهم))** قرىء بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال مضارع خدع على أن المفاعلة من جانب واحد كقول الحاكم ((عاقبت اللص)) وقرىء بضم الياء وفتح الخاء وبعدها الف وكسر الدال : لمناسبة الفعل الأول **((يخادعون الله والذين آمنوا))** وعلى هذه القراءة اما أن تكون المفاعلة من جانبين . فهم يخادعون أنفسهم بما يظنونها من الأباطيل وتمنيهم أنفسهم كذلك . وأما أن تكون المفاعلة من جانب واحد كالقراءة الأولى .

وأما الحرف الأول من سورة البقرة وهو (يخادعون الله والذين آمنوا) وكذا موضع النساء (أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) . فلا خلاف فى قراءته بالضم والألف والكسر لئلا يتوجه الى الله تعالى بالتصريح بهذا الفعل فأخرج مخرج المفاعلة .

قوله تعالى (بما كانوا يكذبون) قرىء بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الذال مخففة من الكذب الذى اتصفوا به باخبار الله تعالى عنهم ذلك . وقرىء بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال من التكذيب . والمفعول محذوف وهم الرسل حيث ان المنافقين كانوا يكذبونهم .

قوله تعالى (قيل لهم) ونحوه من كل فعل ماض ثلاثى كانت عينه ألفا فى الماضى حال بنائه للمعلوم فاذا بنى للمجهول قرىء بكسر أوله واسكان ثانيه أى الياء المنقلبة عن الألف وقرىء باشمام الكسرة الضمة وكيفيتها : مزج حركة الكسرة بالضمة بحيث يبدأ بالضم وينتهى بالكسر .

وينحى بالياء بعدها نحو الواو وذلك فى نحو (قيل ، غيض ، جىء سيق ، حيل سيىء ، سيئت) وهذا اتباع للأثر جمع بين اللغتين .

قوله تعالى (ترجعون) ومثله من كل فعل أوله ياء أو تاء المضارعة اذا كان الرجوع الى آخره نحو اليه ترجعون ويرجع الأمر والى الله ترجع الأمور قرىء بضم التاء والياء وفتح الجيم على البناء للمجهول من رجع المتعدى . وقرىء بفتح الحرف الأول وكسر الجيم على البناء للمعلوم من رجع اللازم . ووجه المبنى للمفعول باسناد الفعل للفاعل الحقيقى على الأصل وهو الله سبحانه وتعالى . ووجه المبنى للمعلوم اسناده للفاعل المجازى .

قوله تعالى (وهو بكل شىء عليم) وكذا كل هاء مضمومة أو مكسورة سبقها حرف عطف نحو وهو بكل شىء عليم . ((ثم هو يوم القيامة)) ((فهو لاقيه)) ((فهى يومئذ)) ثم ((هو)) وبعد اللام فى : لهى الحيوان ((أن يمل هو)) قرئت الهاء فى كل ذلك بتحريكها مضمومة أو مكسورة وهى لغة أهل الحجاز وهى الأصل كما قرئت باسكان الهاء تحقيقا وهى لغة نجد .

والله أعلم

الأصيل والدخيل

فى تفسير القرآن

الدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد

— ٢ —

بينا — فيما سبق — الظروف والملابسات التى تسلل الدخيل فيها الى تفسير القرآن الكريم ، وكيف بدأ هذا التسلل فى عصر مبكر من عصور الاسلام ، وهو عصر الصحابة والتابعين .

ولعل سائلا يسال : كيف لنا ان نميز الاصيل فى التفسير من الدخيل ، وتعيين كل منهما يحتاج الى دليل ؟ ونجيب على ذلك ببيان معنى كل من الأصيل والدخيل ، وتحديد الضوابط الدقيقة لكل منهما ، وذلك لكى نسير فى موضوعنا هذا ، بمشيئة الله تعالى ، من بدايته والى نهايته ، على هدى من قواعد البحث ، ولا نسلك سبل الضالين المتخبطين ، ولكيلا تختل المقاييس ، فيختلط الحابل بالنابل ، ويلتبس الحق بالباطل ، ويشتبه الغث بالسمين .

والآن نريد أن نعرف معنى كل من الأصيل والدخيل لغة واصطلاحا ، أما معناهما فى اللغة فقد قال صاحب لسان العرب : « رجل أصيل : له اصل ، ورأى أصيل : له أصل ، ورجل أصيل : ثابت الرأى عاقل » وقال أيضا : « فلان دخيل فى بنى فلان — اذا كان من غيرهم فيدخل فيهم ، والأنثى دخيل ، وكلمة « دخيل » ادخلت فى كلام العرب وليست منه ، استعملها ابن دريد كثيرا فى الجمهرة » ، وقال صاحب القاموس : « الأصل أسفل الشىء ، والأصيل من له أصل ، والعاقب الثابت الرأى » وقال أيضا : « وهو دخيل فيهم أى من غيرهم ويدخل فيهم ، والدخيل كل كلمة أدخلت فى كلام العرب وليست منه » .

وقال صاحب المصباح المنير : « أصل الشىء أسفله ، وأساس الحائط أصله ، واستأصل الشىء : ثبت أصله وقوى ، ثم كثر حتى قيل : أصل كل شىء ما يستند وجود ذلك الشىء عليه ، فالأب أصل للولد ، والنهر أصل للجدول » ، وقال أيضا : « فلان دخيل بين القوم أى ليس من نسبهم ، بل هو نزيل عليهم ، ومنه قيل : هذا الفرع دخيل فى الباب ، ومعناه : أنه ذكر استطرادا ومناسبة ، ولا يشتمل عليه عقد الباب » .

من هذا كله يتبين لنا — بوضوح — أن الأصيل — لغة — هو الذى له أصل ثابت ، أما الدخيل فهو الوافد الذى تسلل من الخارج ، وليس له أصل فى المحيط الذى تسلل اليه ، ويستعمل كل من الأصيل والدخيل — كما تحدثنا كتب اللغة — فى الأشخاص والألفاظ والمعانى وما أشبه ذلك .

واذا كان ذلك معنى الأصيل والدخيل فى اللغة فما معناهما فى اصطلاح علماء التفسير والدراسات القرآنية ؟

يمكننا أن نقول : ان الأصيل — فى هذا المجال — هو التفسير الذى له أصل ثابت فى الدين ، أو بتعبير آخر : هو التفسير الذى يستمد روحه ومقوماته من كتاب الله تعالى ، أو من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو من أقوال الصحابة والتابعين وما الى ذلك .

أما الدخيل — فى هذا المجال — فهو التفسير الذى لا أصل له فى الدين ، على معنى أنه تسلل الى رحاب القرآن الكريم ، على حين غرة ، وعلى غفلة من الزمن ، بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وهذه المؤثرات — كما أشرنا الى ذلك فيما سبق — ذات جانبين : جانب خارجى ، وجانب داخلى ، فالجانب الخارجى يتمثل فى أعداء الاسلام الحاقدين ، من اليهود والنصارى والمجوس ومن على شاكلتهم ، الذين ارادوا ان يفسدوا الاسلام ، ويشوشوا على تعاليمه ، وينتقموا لأمجادهم الغابرة ، وحضاراتهم المزيفة، بدس خرافاتهم وترهاتهم وأباطيلهم حول القرآن الكريم ، قاصدين — من وراء ذلك — فتنة المسلمين فى دينهم ، وزعزعة نفوسهم فى كتاب ربهم ، وتفتيت وحدة الأمة الاسلامية ، تلك التى ارسى قواعدها رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

أما الجانب الداخلى فيتمثل فى طوائف معينة انتسبت الى الاسلام زورا ، ولكنها فى الحقيقة تمت بصلة وثيقة الى أعداء الاسلام السابقين، ومن هنا أدلت هذه الطوائف بدلوها أيضا فى التشويش على القرآن الكريم ، بنشر الخرافات والاباطيل حوله ، وتفسيره تفسيرا كله تحريف وتخريف ، تمشيا مع المخطط الهدام ، الذى رسمه لهم أعداء الاسلام ، من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم ، للقضاء على الاسلام ، وتحطيم عقائده وتعاليمه فى النفوس ، ولعل أخطر هذه الطوائف — على الاطلاق — طائفة (الباطنية) الذين يفسرون القرآن تفسيرا رمزيا ، ويريدون من وراء ذلك ابطال الشريعة، وهدم الدين من أساسه ، قال الامام ابن الجوزى فى كتابه : (تلبيس ابليس) « الباطنية سموا بذلك لانهم يدعون أن لظواهر القرآن والحديث بواطن تجرى من الظاهر مجرى اللب من القشر ، وأنها بصورتها توهم الجهال صورا جلية ، وهى — عند العقلاء — رموز واشارات الى حقائق خفية ، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار ، والبواطن والأغوار ، وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التى هى تكاليف الشرع ، ومن ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف ، واستراح من اعبائه ، قالوا : وهم المرادون بقوله تعالى : **«ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم»** ومرادهم ان ينزعوا عن العقائد موجب الظواهر ، ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطن على ابطال الشرائع » .

ولا نريد — أيها القارىء العزيز — أن نستبق الأحداث ، فما نزال فى بداية الطريق بالنسبة لبحثنا هذا ، وسنحاول الآن أن نتعرف على الأصيل من التفسير ، وضوابطه الدقيقة ، لكى يسهل علينا بعد ذلك التعرف على الدخيل ، فنقول — والله المستعان — ان مصادر التفسير الأصيلة خمسة : وهى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، واقوال الصحابة والتابعين ، وقواعد اللغة وأسرارها ، والاجتهاد الذى يعتمد على الدليل ، واليك البيان :

القرآن الكريم كمصدر أصيل من مصادر التفسير :

ان القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله — فى كتابه (مقدمة فى أصول التفسير) : « فان قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب أن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل فى مكان فانه قد فسر فى موضع آخر ، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر » .

ولتوضيح هذه العبارة نقول : ان القرآن الكريم يعرض لموضوعات شتى ، وقضايا متعددة ، الا أن هذه الموضوعات وتلك القضايا لم يعرض القرآن لكل منها على حدة ، كما هى عادة الكتب التى يؤلفها الناس ، بل نجد القرآن قد عرض لهذه الموضوعات والقضايا فى أماكن متعددة ، ومواضع كثيرة ، وأوردها متفرقة هنا وهناك فى سوره وآياته ، والحكمة فى ذلك — كما يقول المرحوم الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى كتابه (الاسلام عقيدة وشريعة) عند تعرضه للحديث عن آيات الأحكام المتفرقة فى القرآن — أن لهذه الطريقة ايحاء خاصا ، وهو أن جميع ما فى القرآن — وان اختلفت أماكنه ، وتعددت سوره وأحكامه — فهو وحدة عامة ، لا يصح تفريقه فى العمل ، ولا الأخذ ببعضه دون البعض ، وكأنه وقد سلك هذا المسلك يقول للمكلف — وهو يحدثه عن شئون الأسرة وأحكامها مثلا — لا تهلك أسرتك وشئونها عن مراقبة الله فيما يجب له من صلاة وخشوع ، ولا ريب أن لمثل هذا الايحاء تأثيرا فى المراقبة العامة ، وعدم الاشتغال بشأن عن شأن ، فيكمل للروح تهذيبها ، وللنفس صلاحها ، وللعقل ادراكه ، وللمجتمع صلاحه .

نعود — بعد ذلك — الى ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ، ماذا يعنى بعبارته تلك ؟ انه يقول : ان أصح طرق التفسير هو أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما اختصر فى مكان من القرآن تجد له بسطا فى مكان آخر ، وما أجمل فى موضع تجد له بيانا فى موضع آخر ، وما أطلق فى آية تجده مقيدا فى آية أخرى ، وما ورد عاما فى سورة تجده مخصوصا فى سورة أخرى ، وما ورد من أحكامه فى موضع قد يجىء بيان نسخه فى موضع آخر ، وما جاء من القراءات فقد يحمل على معنى التفسير وهكذا .

ذلك هو ما يعنيه ابن تيمية من عبارته سالفة الذكر ، وتلك — وربى — صيحة أطلقها هذا العالم الجليل فى أواخر القرن السابع الهجرى بالنسبة لتفسير القرآن الكريم ، ولعله — عندما أطلق هذه الصيحة المدوية التى تقول : (ان القرآن يفسر بعضه بعضا) — كان يعانى فى عصره مما نعانى منه فى هذا العصر من اختلاط الحابل بالنابل فى تفسير القرآن الكريم .

ولقد توقفت مليا أمام هذا المنهج الدقيق الذى نادى به ابن تيمية بالنسبة لتفسير القرآن الكريم ، فوجدت أن له جذورا أصيلة فى كتاب الله تعالى ، وان آيات القرآن الكريم تشهد له وتنطق بصحته ، فقد ذكر الله تعالى أنه تكفل ببيان القرآن — فى بداية نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن المعلوم أن البيان كما يكون للألفاظ يكون أيضا للمعانى ، قال تعالى — مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام — « لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه » ، ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بأنه بين لنا الآيات فقال — عز من قائل — : **« قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون »** ، كما أخبر الله تعالى بأنه يبين لنا الايات ، فقال جل شأنه : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » ، وبعد أن بين الله تعالى هذا الكتاب كان من الطبيعى أن يصفه بأنه بيان فى قوله : **« هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين »** كما يصفه بأنه آيات بينات فى قوله : **« ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون »** ، وأيضا يصفه بأنه كتاب مبين فيقول تعالى : **« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »** ، كذلك يصفه بأنه قرآن مبين فيقول سبحانه : **« تلك آيات الكتاب وقرآن مبين »** .

من اجل هذا كله نقول : ان ابن تيمية — رحمه الله — قد أصاب المحز فى قوله : ان أصح طرق التفسير هو أن يفسر القرآن بالقرآن ، وما أجمل كلام الراغب الأصفهانى فى مفرداته حيث يقول : — فى هذا الصدد — « وسمى الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود اظهاره نحو (هذا بيان للناس) ، وسمى ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بيانا نحو قوله : **« ثم ان علينا بيانه »** .

والى اللقاء — أيها القارىء العزيز — فى العدد القادم ان شاء الله تعالى لكى نتابع هذا الموضوع بعناية ، ونستوفيه حقه من الدراسة ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

كلمة :

● الصبر على أداء الواجب درجة رفيعة من درجات الأخلاق الانسانية ..

وأرفع منها ، الصبر على أداء واجب لا يطلبه أحد منك ولا يحاسبك أحد عليه ..

وأرفع من هاتين الدرجتين ، صبر الانسان على واجب يضار بأدائه وينتفع بتركه ..

وتلك ، درجة الأئمة من المصلحين ..

عباس محمود العقاد

الشوق إلى لقاء الله

مادة الشوق تدل على تعلق الشيء بالشيء ، والشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشيء ، والشوق حركة الهوى ، وشاقني حسنها وشوقني : هاجني وهيج شوقي .

وقال السابقون أن الشوق هبوب القلب الى غائب ، أو سفر القلب الى محبوبه : أو اهتياج القلوب الى لقاء المحبوب .

والشوق هو احتراق الأحشاء ، ومنها يتهيج ويتولد ، ويلهب القلوب، ويقطع الأكباد ، وقيل هو لهب ينشأ بين أثناء الحشى ، يسنح عن الفرقة، فاذا وقع اللقاء انطفأ . وقيل الشوق ارتياح القلوب بالوجد ، ومحبة اللقاء بالقرب . والشوق أثر من آثار المحبة ، وحكم من أحكامها ، فانه سفر القلب الى المحبوب فى كل حال .

الدكتور احمد الشرباصى

والشوق الى لقاء الله خلق من اخلاق القرآن الكريم ، وفضيلة من فضائل الاسلام العظيم ، وجانب من هدى الرسول عليه الصلاة والتسليم، ولم ترد مادة « الشوق » بلفظها فى القرآن الكريم ، ولكن العلماء استدلوا على وجود هذه الفضيلة **بقول الله تعالى فى سورة العنكبوت : « من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم » . وقالوا فى تفسير الآية الكريمة: كأن الله تبارك وتعالى — وهو أعلم بمراده — يريد بهذه الآية الكريمة تعزية المشتاقين اليه ، والتسلية لهم ، ومن أراد لقاء الله فهو مشتاق اليه ، وقد ضمن الله لهذا المشتاق وعد اللقاء ، وحدد له أجلا يتحقق عما قريب ، فهو آت لا محالة وكل آت قريب .**

وفى تفسير « لطائف الاشارات » يقول القشيرى عن الآية : من خاف عذاب الله يوم الحساب فسيلقى يوم الحشر الأمان الموعود منا لأهل الخوف اليوم . ومن اقل الثواب يوم البعث فسوف يرى ثواب ما أسلفه من العمل ، ومن زجى عمره فى رجاء لقائنا فسوف نبيح اليه النظر الينا ، وسوف يتخلص من الغيبة والفرقة ، والله هو السميع لأنين المشتاقين ، وهو العليم بحنين المحبين الوالهين .

وقد اشار بعض الشعراء الى اثر تعلل المشتاق برجاء اللقاء فقال :

لولا التعلل بالرجاء لقطعت
نفس المحب صبابة وتشوقا
ولقد يكاد يذوب منه قلبه
مما يقاسى حسرة وتحرقا
حتى اذا روح الرجاء أصابه
سكن الحريق اذا تعلل باللقا

ويقول القرآن الكريم فى سورة الكهف : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

فالعارف بالله كما يقول القشيرى يرجو لقاء الله والنظر اليه ، والعمل الصالح الذى بوجوده يصل الى لقائه هو صبره على لواعج اشتياقه وان يخلص فى عمله .

وقد قال بعض المفسرين : عجلت شوقا اليك ، فستر الشوق بلفظ الرضا .

وعلامة الشوق الى لقاء الله تبارك وتعالى هو فطام الجوارح عن الشبهات . وقيل ان علامة الشوق حب الموت مع الراحة والعافية ، كحال يوسف عليه السلام لما القى فى الجب لم يقل لربه : « توفنى » ولما ادخل السجن لم يقل : « توفنى » ، ولما تم له الأمر والأمن والنعمة قال : **« توفنى مسلما والحقنى بالصالحين » .**

وقد اختلف العلماء فى زوال الشوق باللقاء ، فبعضهم قال : ان الشوق ينطفىء باللقاء والوصول

والقرب ، لأن الشوق قبل الوصـول كان على الخبر والعلم ، وبعد الوصول صار على العيان والشهود ، والشاعر يقول :

وابـرح ما يكون الشـوق يومـا
اذا دنت الخيـام من الخيـام

وقال شاعر آخر :

وقد زعمـوا أن المحب اذا دنـا
يمل وأن القرب يشفى من الوجد
بكل تداوينـا فلم يشـف ما بنـا
على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنـافع
اذا كان من تهواه ليس بذى ود

ويقول أحمد شوقى على لسان قيس بن الملوح مصورا شوقه الى لقاء حبيبته :

اذا طاف قلبى هولها جن شـوقه
كذلك يطفى الغلة المنهل العذب
يحن اذا شطت ويصبوا اذا دنت
فياويح قلبى كم يحن وكم يصـبو

هذا هو القول الأول ، وبعضـهم يقـول ان الشوق يسكن باللقاء ، والاشتياق لا يزول باللقاء، كقول من قال :

ما يرجع الطرف عنه عنـد رؤيته
حتى يعود اليه الطـرف مشتاقا

والشوق كما ذكر ابن القيم ثلاث درجات ، أو ثلاثة أنواع :

١ ــ شوق العابد الى الجنة ، ليامن الخائف، ويفرح الحزين ، ويظفر الآمل .

٢ ــ الشوق الى الله عز وجل ، لأن رؤية الله أطيب ما فى الجنة .

٣ ــ الشوق الذى يضرمه صفو المحبة لله جل جلاله .

ولقد كان سيدنا وقائدنا ورائدنا رسـول الله محمد عليه الصلاة والسلام دائم الشوق الى لقاء الله عز وجل ، لم يسكن شـوقه الى لقائه قط ، وكان من دعائه صلوات الله وسلامه عليه لربه عز شأنه : « أسألك لذة النظر الى وجهك ، والشوق الى لقائك » .

وظل الرسول يشتاق الى لقاء ربه ، ويناجى مولاه : اللهم انى أحببت لقائك فأحبب لقائى . وفى أخر خطبة خطبها فى حياته قال فيهـا : ان الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختـار ذلك العبد ما عند الله .

وروى أنه خطب فقال : ان رجلا خيره ربه بين أن يعيش فى الدنيا ما شاء أن يعيش فيهـا ، يأكل من الدنيا ما شاء ان يأكل منها ، وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه .

ولقد وصف الحديث النبوى أهل الجنة بأنهم أشوق شىء الى رؤية ربهم وسماع كلامه .
ولقد تحدث الصوفية كثيرا ــ على طريقتهم ــ عن الشوق الى لقاء الله عز وجل فقد سئل ــ رويم البغدادى عن الشوق ، فقال : ان تشوقه أثار المحبوب ، وتفنيه مشاهدته .

وقال أبو على الجوزجانى « السـابقون هم المقربون بالعطيات ، والمرتفعون فى المقـامات ، وهم العلماء بالله من بين البرية ، عرفوا الله حق معرفته ، وعبدوه باخلاص العبادة ، وأووا اليه بالشوق والمحبة ، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم : « وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » .

وقال أبو حفص النيسابورى : « من تجرع كأس الشوق يهيم هياما لا يفيق الا عند المشاهدة واللقـاء .

ويقول يحيى بن معاذ : « الهى ، أحلى العطايا فى قلبى رجاءك ، وأعذب الكلام على لسـانى ثناؤك ، وأحب الساعات الى ساعة يكون فيها لقاؤك » .

ويقول عبد الله الأنطاكى : « خلق الله القلوب مساكن للذكر ، فصارت مساكن للشـهوات ، ولا يمحو الشهوات من القلوب الا خوف مزعج ، أو شوق مقلق » .

نسأل الله جل جلاله ان يهبنا الشوق الدائم الى لقائه وان يكتب لنا نعيمه فى ساحة رضوانه، انه نعم المولى ونعم النصير .

تأملات في البيان القرآني

البيان القصصي

ويلاحظ المتأمل فى القصة القرآنية أنها تتسم بسمات تتميز بها عن قصص المخلوقين ، فهى علامات تنبه القارىء الى أنه أمام جنس بيانى منفرد ، لا يسير على أنماط المخلوقين ، ولا يرتبط بقوانينهم الفنية المتقلبة من جيل الى جيل ، ولا يلتزم بقواعدهم البيانية من موطن الى موطن ، بل من فرد — فى الموطن الواحد — الى آخر .

هذه السمات تشير الى أنك أمام لون بيانى آخر غير كل ذلك فهو ثابت على منهج مختار مقرر يستطيع الدارس المتأمل أن يتعرف منه على ما تيسره له ظروفه الحيوية والثقافية والدينية ، كما هو شأن المخلوقين أمام القرآن الكريم ، فالعطاء القرآنى ليس ميسورا لكل قارىء ، ولا متوفرا لكل متأمل ، انما هو يختص من بين الناس ناسا يمنحهم من عطائه بقدر حسن اتصالهم به ، ومعايشتهم له .

وهذه السمات التى تتميز بها القصة القرآنية لا تقف على وجه من وجوه البحث ، ولا تقتصر على جهة من جهات النظر ، فهناك السمات التشريعية ، والسمات الاجتماعية ، والسمات البيانية ، والسمات الفكرية ، الى غير ذلك . وكل متأمل يرى من تلك السمات ما يتفق مع ثقافته هو ويتلاءم مع اتجاهه ، فالمتأدب يلمح قدرا من السمات الفنية والأدبية ، والمشرع يقع على بعض السمات التشريعية والفيلسوف يلفت نظره فى القصة القرآنية سمات فكرية ، والاجتماعى يرى من تلك السمات ما يتناسب مع مشربه الاجتماعى وهكذا ..

الدكتور ابراهيم عوضين

ومن أبرز تلك السمات البيانية للقصة القرآنية فيما نرى :

١ — أن القصة غير مقصودة لذاتها .

فالقصة القرآنية جنس من أجناس البيان يختار بعناية الخالق فى المكان المناسب وبالقدر المناسب والشكل المناسب ، فهى ليست مقصودة لذاتها ولا هى مستقلة عن الأغراض القرآنية الدينية، اى انها ليست مجرد عمل فنى ينحو منحى خاصا فى موضوعه وطريقة عرضه وادارة حوادثه — كما هو الشأن فى القصة الفنية الحرة التى ترمى الى اداء غرض فنى مجرد — انما هى وسيلة بيانية من وسائل القرآن المتعددة لتحقيق هدفه الأصيل .

ان القصة القرآنية — بالنظر الى الأحداث التى تقدمها — قصة تاريخية ، لا تعنى من حقائق التاريخ الا بالقدر الذى يؤدى الدور الأساسى المقصود من البيان القرآنى ، فهى — مع قيامها على أحداث تاريخية — ليست ديوان تاريخ تسرد فيه الوقائع بتفاصيلها ، حيث يطلب منه بيان كامل لكل ما قد كان ، انما هى أضواء تسلط على بعض تلك الأحداث لتعرض أمام المتلقى بعض المواقف الكامنة فى أعماق الزمن بالقدر الذى تكشف منه ما يحقق المقصود اليه من العظات والعبر ، والانذار والاعذار .. الى غير ذلك ..

والقصة القرآنية — بالنظر الى كيفية معالجتها لتلك الأحداث — قصة دينية أخلاقية اجتماعية، تضع بين يدى متلقى البيان القرآنى نماذج من الأمم الغابرة ، يراها فى تحركاتها وتفكيرها وسلوكها تجاه الرسالات أو اتجاه الأحداث أو نحو ذلك، فيقف على جوانب القوة والضعف البشريين، ويتعرف على سر هذه القوة والضعف وينكشف له اثر ذلك فى أسلافه ، اعذارا من الله جل وعلا وانذارا .

ثم هى — بالنظر الى قالبها البيانى الذى تصب فيه أحداثها — قصة أدبية فنية تعتمد على مقومات القوة الفنية فى أرقى درجاتها ، فهى جنس من أجناس البيان القرآنى المعجز الذى يعتمد من أسباب التأثير التعبيرى على كل ما عرفه المخلوق وما سوف يعرفه .

والقرآن الكريم حريص على ان يلفت النظر الى هذه السمة بطريقته التى لا تضارع فى أكثر من موطن ..

يقول عز وجل فى سورة الأعراف :

« تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين » .

فالآية الأولى تشير بمطلعها الى القرى التى سبق الحديث عنها فى مواجهتها لرسل الله (نوح، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب) عليهم الصلاة والسلام ، وتقرر أن ما قدم من تاريخ هذه الأمم انما هو بالقدر الذى يكشف عما واجهوا به دعوات رسلهم .

فالقص — كما نرى — مقصود به تتبع أنباء تلك القرى من زاوية مخصوصة ، أى أنه قصص تاريخى يعتمد — فى الوصول الى غرضه من انذار وتحذير — على وقائع تاريخية ، لكنه ينتقى من هذه الوقائع ما يحقق الهدف ، ولا يشغل المتلقى عنه ، فيقدمه فى القالب الأدبى الفنى المعجز .

والمتأمل فى مطلع الآية الأولى يلاحظ أن الاشارة موجهة الى القرى ، ثم يلاحظ أنها خصصت بعد ذلك .. أى أن القص هنا ليس للقرى بكل ما تغص به من أحداث وأنباء ، وانما القص هنا مقصور على قدر محدود من أنبائها هو الذى يؤدى ما يقصد اليه ..

« نقص عليك من أنبائها .. »

فحرف الجر هنا لم يذكر اعتباطا ، وانما ذكر ليحدد أن المذكور هو مقتطفات من أنبائها . ليست كل أنبائها ، ولا بعض كامل من انبائها ولكنها أنباء من انبائها .

ويقول تبارك وتعالى فى سورة هود :

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب. وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد .ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة .. » .

ومطلع الآية الأولى هنا يشير كذلك ، ولكنه يشير الى الانباء — لا الى القرى — مقررا أن ما يقدم ليس كل أنباء القرى ، ولكنه من أنباء القرى ، نقصه عليك لترى أن ربك لا يظلم احدا، وانما الانسان بنفسه يظلم نفسه ، ويضعها فى موضع المساءلة والمجازاة ، وليعرف المتأمل طريقه الذى ينقذ به نفسه من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ..

اى أن الكتاب الكريم نفسه يقرر أن ما يقص فيه لا يقص لذاته ، ولا يقص باعتباره تاريخا عاما شاملا ، ولكنه زاوية تاريخية مقصودة تحقق هدفا مقصودا فى قالب فنى معجز .

ويقول عز وجل فى سورة هود :

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » .

فالقص هنا لا يرتكز على القرى ، ولا على انباء القرى ، ولكنه يلفت النظر الى عنصر ثالث من عناصر القصة وهم الرسل ، منبها الى أن هذه ليست انباء الرسل مع قومهم ، بل هى مقتطفات من تلك الأنباء ، فقد اختير من انبائهم ما يحقق الغرض من القصة فى هذا المقام ، وهو تثبيت فؤاد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم العظة والذكرى للمؤمنين .

ومثل هذه الانباء لا يتحتم أن تمثل فترة زمنية محددة ، ولا أن تشتمل على حدث معين بكل تفاصيله وأبعاده ، وانما هى باقة مقتطفة من مجموع أنبائهم ، معدة مرتبة بطريقة خاصة لتكون على تلك الهيئة المخصوصة .

فالمقصود من قصص القرآن يختلف باختلاف متلقيه ، فهو للرسول صلى الله عليه وسلم تثبيت وتطمين ، وهو للمؤمنين تذكير وعظة ، وهو للغافلين تحذير ووعيد وانذار واعذار .

ثم نستمع الى قوله تعالى فى سورة يوسف :

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

فنرى توجيها قرآنيا يكشف عن بعض مقاصد القصة القرآنية ، فالقصص — هنا — مسوق ليكون لأولى الالباب عبرة ، وللنبى صلى الله عليه وسلم تقريرا وتصديقا ، وللمؤمنين هدى ورحمة .

وهو اذ يساق للوصول الى تلك الأغراض والمقاصد — ليس اختراعا لاحداث لم تقع ، ولا تخيلا لوقائع لم تحدث ، ولا افتراء لحديث لم يذكر .. انما يقوم على مختارات من أحداث التاريخ البشرى على امتداده ، ليرى فيه انسان اليوم صورته أو ما يمكن أن تكون عليه صورته .

وبهذا تتضح تلك السمة وتتقرر فى صراحة ووضوح لايحتاج الى جدل المجادلين ، ولامناقشات المناقشين اذ يتولى البيان القرآنى نفسه الاعلان عن تلك السمة الملازمة لقصصه حتى يقطع على هؤلاء المدعين افتراءاتهم ، ويرد عليهم كيدهم ، ويفضح تدبيرهم الذى بيتوه بليل حين ادعوا أن القصة القرآنية تقوم على أحداث مخترعة بقصد العظة وأن الأشخاص فى تلك القصص أشخاص فنية لا واقع لها : جىء بها لتكون محكا للأحداث الفنية ، على غرار ما هو معهود لدى المخلوقين من كتاب القصة .

نعم .. ان القرآن الكريم فى آياته ليوضح لنا واحدة من أبرز سمات القصص القرآنى ، ويقرر أن القصص فى القرآن الكريم ليس مقصودا لذاته ، وانما هو — كما أوضحنا — وسيلة من وسائل البيان القرآنى تقوم بدورها البيانى الى جوار الوسائل البيانية الأخرى ، فى اتساق معجز ، لترى مظهرا آخر من مظاهر الاعجاز .

كلمـــة :

● هل أدلكم على طريق الجنة .؟

قالوا : بلى ، يا رسول الله .

قال : اسباغ الوضوء — على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد .

نبى الاسلام

علوم القرآن

قال الله تعــالى :

(ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها ، الم تعلم أن الله على كل شىء قدير) ..

هذه آية من سورة مدنية .. وقال جل شانه :

(واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا : انما أنت مفتر،بل أكثرهم لا يعلمون ، قل : نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين) ..

وهاتان آيتان من سورة مكية ، فيهما النسخ بالمعنى .. وفى الآية المدنية النسخ باللفظ ..

ولابد للمفسر من معرفة الناسخ والمنسوخ .. والا لهلك وأهلك غيره باضلاله اياه .. وقد وقع خلاف حول امكان النسخ ووقوعه ، فأنكره قوم صيانة للقرآن عن وقوع مثل ذلك النوع فيه.وأجازه قوم للتصريح به والاشارة اليه . وقبل الخوض فى تفصيل ذلك ، نرسم فى هذا الباب مسائل :

النسخ وموهم الاختلاف

الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

١ ــ يطلق النسخ فى اللغة على أحد معنيين متقابلين : الازالة . ومنـه : نسخت الشمس الظلة اذا ازالته ..

والمعنى الثانى : الاثبات . يقال : نسخت الكتاب اذا جعلت منه نسخة أخرى أثبته فيها . ومنه قوله تعالى :

(انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) .

أى نكتبه ونسجله ..

وفى معنى الازالة ورد قوله تعالى :

(فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) ..

واذا كان النسخ يرد فى اللغة بمعنى الاثبات فهل يعنى ذلك اثبات المنقول بلفظه ومعناه ؟ .. أو انه يكفى فى الاثبات تحويله من موضع الى موضع : كنسخ المواريث اذا حولت من شخص الى شخص ؟ .. أو يكفى فى الاثبات أن تنتقل المعنى ولو بلفظ آخر ، ويسمى ذلك تبديلا ؟ ..

وعلى أى حال ، فان فى النسخ معنى الازالة بالنسبة للمنسوخ .. ومعنى الاثبات بالنسبة للناسخ .

٢ ــ الحكمة من وجود النسخ : التيسير على الأمة ، فان أحكام الله ادوية نتداوى بها ، وما ينفع المريض اليوم قد لا ينفعه غدا ..

ومن هنا ، ينفصل النسخ عن البداء ــ وهو الظهور بعد الخفاء .. ولما توهم اليهود أن النسخ بداء ، أنكروه وقالوا : البداء محال على الله لأنه لا يخفى عليه شىء . ونحن نسلم لهم استحالة البداء عليه . ولكن اذا علم الطبيب ان الدواء يصلح أياما وسوف يغيره ، فأى بداء فى هـذا ؟ .

٣ ــ اختلف العلماء هل ينسخ القرآن بغير القرآن كالسنة مثلا ؟ .. منع ذلك قوم وقالوا: لا ينسخ القرآن الا القرآن ، لأن الله قال :

(نات بخير منها أو مثلها) ..

والسنة ليست خيرا من القرآن ولا مثلا له ..

وقال المجيزون : السنة ما دامت من عند الله ، جاز النسخ بها للقرآن لأنها وحى يوحى، والمثلية والخيرية بالنسبة للمكلف ورعاية مصلحته ..

والذى أميل اليه ــ جواز نسخ كل منهما بالآخر .. لكن لابد من معضد للناسخ من نوع المنسوخ .. فاذا نسخت السنة القرآن ــ فلابد من معضد لها من القرآن . واذا نسخ القرآن السنة ــ فلابد من معضد له من السنة .

وبهذا قال الشافعى رضى الله عنه ..

ولا يقع النسخ فى الأخبار والا كان كذبا .. وانما يقع فى الأوامر والنواهى فقط ..

وكذلك لا نسخ فى العقائد التى شهدت بصحة اصولها العقول ، لأن العقل لا يناقض نفسه . كما لا نسخ لأصول العبادات والفضائل الأخلاقية والاحكام المؤبدة كقوله صلى الله عليه وسلم :

(الجهاد ماض الى يوم القيامة) ..

٤ ــ النسخ شرعا ــ هو الخطاب الشرعى،

الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب الشرعى المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه ..

فهنا قيود .. **القيد الأول** : ان المنسوخ حكم فيخرج ما ليس بحكم : كالوعد والوعيد . اذ المراد بالحكم الحكم التكليفى .

القيد الثانى : أن يكون شرعيا .. فلا نسخ للبراءة الأصلية لأنها ليست بحكم شرعى . فايجاب الصلاة على المسلم لا يقال : انه نسخ براءة ذمته قبل وجوب الصلاة عليه ..

وكذلك لا نسخ للأحكام اللغوية أو العقلية . لأن النسخ يقع على الحكم الشرعى فقط ..

القيد الثالث : أن يكون الناسخ خطابا شرعيا .. فلا نسخ بالموت أو رفع التكليف بسبب الجنون ، لأن كلا من الموت والجنون ليسا خطابين شرعيين .

القيد الرابع : صلاحية الحكم المنسوخ للعمل به وقت التكليف به . فيخرج بذلك العبث .

القيد الخامس : أن يتأخر الناسخ عن المنسوخ بمدة ، يمكن العمل فيها بالمنسوخ ، والا فان الحكم الذى لم يتمكن العمل به هو والعدم سواء ..

٥ — من العلماء من فرق بين النسخ والانساء فقال : النسخ : رفع الحكم الشرعى بالخطاب الشرعى قبل التمكن من العمل بالحكم الأول : كآية النجوى فى قوله سبحانه :

(يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ، ذلك خير لكم وأطهر .. فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم . أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ، فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) .

فقد شرع الله تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول ، ثم خفف ذلك ، فسمح بمناجاته بعد صلاة ركعات ، وذلك قبل التمكن من العمل بالحكم الأول . ولأن ختام الآية الأولى ظاهره نسخ هذا الحكم وهو قوله :

(فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) ..

وارى ان مثل هذا الذى لم يتمكن من العمل به ، ارى أن رفعه لا يسمى نسخا . اذ النسخ للتيسير ولم تكن هناك صعوبة . ويعد هذا من باب تعداد النعم ..

على أن تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول يمكن حمله على التغير من الوجوب الى الاستحباب . أو تغير من الحكم الملزم لجميع الناس الى حكم لا يطبق الا على القادرين ..

واما الانساء : فهو شرع الحكم من أجل سبب أو الى وقت . ثم يتغير هذا الحكم بتغير السبب والوقت ، كقوله تعالى :

(ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) ..

فالواحد مكلف بالثبات أمام عشرة . ثم نسخ هذا الحكم بسبب الضعف . وتكليف الواحد بالثبات أمام اثنين وذلك قوله :

(الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) .

ونحو قوله سبحانه :

(فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره) ..

فكل حكم علق على سبب أو أقت بوقت وتغير بتغير السبب أو بانتهاء الوقت المحدد له ، يسمى انساء . لأن الله قال :

(ما ننسخ من آية أو ننسها) ..

فالنسخ عند هؤلاء ، فى الحكم الذى لم يتمكن من فعله . والانساء فى الحكم المتغير بتغير السبب والوقت .

والذى أميل اليه ، أن كلا من هاتين الآيتين يحتاجان الى تأمل . فتكليف الواحد أن يثبت أمام عشرة ، سائغ اذا كان بعد انتشار الاسلام واعلاء كلمة أهله ، وأن تكليفه بالثبات أمام اثنين هو المناسب لابتداء دخول الناس فى الاسلام ..

فالآية على هذا يكون حكمها وجوب الثبات أمام اثنين ، ثم وجوب ثبات الواحد أمام العشرة . ولا يسمى مثل ذلك نسخا ، لأن المأمور بالثبات أمام عشرة مأمور بالثبات أمام اثنين .

وقوله : **(ان يكن منكم عشرون)** اشارة الى ما سيكون فى المستقبل .. وأما قوله : (الآن) فاشارة الى الحكم المعمول به فى الحاضر .

وأما الآية الثانية ، فهى من التخصيص لا من النسخ .. فالعفو والصفح — مأمور بهما .. فاذا شرع الله القتال ضد قوم مقاتلين — بقى العفو والصفح مأمور بهما مع غير هؤلاء المقاتلين ..

ويجدر بنا أن نفرق بين النسخ والتخصيص والاستثناء ، لنعلم كم من الآيات أدخلت فى الفسخ وليست منه .

٦ — الفرق بين النسخ والتخصيص والاستثناء — أن النسخ رفع لحكم كان معمولا به ، وابطال العمل به ..

والتخصيص : قصر للعام على بعض افراده بعد أن كان مستغرقا لكل افراده فاذا لاحظنا شمول العام قبل التخصيص ولاحظناه بعد التخصيص تبين لنا أن العام لم يبطل حكمه كله بعد التخصيص . وانما ارتفع الحكم عن المقدار الذى لم يتناوله التخصيص ..

فاذا قلنا : فاز كل مؤمن بالجنة ، والمصلون برضوان الله — قصر الفوز برضوان الله على المصلين من المؤمنين . اما غير المصلين فلم يفوزوا برضوان الله .

البقية ص ٥٠

من دقائق القرآن

« فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

لا مناص لمن كتب على نفسه تتبع اساليب القرآن الكريم فى تكريم المرأة بوصفها زوجا ان يلم بموقف القرآن من قضية تعدد الزوجات التى طال حولها اللجج ممن دأبوا على ان يقفوا من القرآن وتشريعاته موقف الخصومة بحجة انتصارهم للمرأة زاعمين ان فى اباحة تعدد الزوجات ضيرا عليها أو اجحافا بها أو نيلا منها .

الدكتور عبد المنعم سيد حسن

والواقع ان الآية المبيحة لتعدد الزوجات قد نهجت نهجا فريدا فى بيان هذه الاباحة وذلك لأن الباحث فى قوله سبحانه **« وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع »** . قد يتصوران اباحة التزوج بأكثر من واحدة منوطة أو مشروطة بالخوف من عدم الأقساط فى اليتامى وقد حلا لبعض المفسرين أن يفهموا ذلك . ونحا نحوهم الذين يريدون الحد من الأخذ بهذا التشريع فى غير ضرورة ملجئة أو داعية ملحة . والباحث فى أسلوب الآية المبيحة لتعدد الزوجات يدرك بتتبع سبب نزولها أنها جاءت على هذا النحو من التركيب لتشير الى اقرار تعدد الزوجات الذى كان معمولا به قبل الاسلام والوقوف عند هذا التعدد عند أربع فالاية لا تبيح محظورا ولكنها تقرر مباحا ومما ورد فى تفسير هذه الاية وبيان سبب نزولها ما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن عروة ابن الزبير من أنه سأل خالته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن هذه الاية فقالت يا بن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها يشركها فى مالها ويعجبه مالها وجمالها فيريد أن يتزوجها من غير أن يقسط لها فى صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن فى الصداق وأمروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن . قال عروة قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله عز وجل **« ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما »** وعلى هذا يكون الربط **بين الخوف من عدم الاقساط فى اليتامى والأمر** المبيح لنكاح أكثر من واحدة من قبيل التمثيل بفعل شىء موسع فيه حين يخشى الوقوع فى شىء محظور أو مخوف منه وفى ظنى ان ذلك كما لو قال الطبيب للمريض أن خفت أن تتأذى من اكل لحم الحيوان فاطعم ما طاب لك من لحم الطير ولله والآياته المثل الأعلى وليس لعاقل حين يسمع هذا القول أن يفهم . . .

ان أكل لحم الطير مشروط أو مقيد بضرورة بل أن ورود التركيب القرآنى على هذا النحو المعجز ليكاد يرغب فى الأخذ بهذا المبدأ اذا توافرت شروط الأخذ به من العدل والقدرة حيث أمر المخاطبون فى الآية بترك سيىء الى حسن وذلك هو النهج المألوف فى اعراف الناس وأذواقهم حيث اعتاد أولو الألباب أن ينفروا من المكروه أو مجهول المغبة بالتوجيه الى شىء أصلح وأقوم، وقد يسوغ لى ان اتخذ من القياس مطية فأقول فى ضوء هذا الفهم لا يجد الباحث حرجا فى ان يقتدى بهذا التركيب القرآنى فيقول مثلا : **ان خفتم عند زيادة عدد النساء على الرجال انحرافهن أو لحاق الفاقة بهن وتعرضهن لمذلة تكفف الناس فاستنوا فى مجتمعكم بما شرع الله لكم من تعدد الزوجات الى أربع ، واذا جاز لى هذا القياس قلت لا مانع من أن ارى ان يكون تعدد الزوجات سنة من سنن الكفاية يصلح بها آخر المجتمع الاسلامى كما صلح بها أوله .**

ويرى بعض الباحثين فى مضمون الآية المبيحة لتعدد الزوجات أن اباحة هذا التعدد مشروطة بالضرورة بالاضافة الى العدالة ويفسر الآية على رأيه هذا بأن الله قد أذن للمسلمين عند الخوف من عدم الاقساط فى اليتامى أن ينكحوا منهن ما طاب لهم على الا يتجاوزوا أربعا وعلى هذا يكون المراد من النساء فى قوله « فانكحوا ماطاب لكم من النساء » هن اليتيمات اللاتى يخشى المسلمون عدم الاقساط فيهن .

ويرد على هذا الرأى بأمور :

١ — ان تفسير الآية على هذا الوجه يجعل تركيبها ركيكا لا يتفق مع الأساليب السليمة للكلام العربى فلو كان الغرض ما يقوله صاحب هذا الرأى لصيغ الحكم فى صيغة أخرى كأن يقال : **وان خفتم الا تقسطوا فى اليتيمات فانكحوا ما طاب لكم منهن ...** الخ وكلام الله تعالى منزه عن مثل هذه الركاكة .

٢ — انه لم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من صحابته ولا تابعيه وهم أعلم الناس بالقرآن وبأساليب اللغة العربية انه فهم من الآية هذا الفهم الذى يذهب اليه صاحب هذا الرأى بل ان الذى فهموه منها هو ان أولياء اليتيمات كانوا يتحرجون من الزواج بهن وهن فى حجورهم خشية أن تختلط أموالهم بأموالهن فترتفع الكلفة بينهم وبينهن فيؤدى بهم ذلك الى الجور عليهن وظلمهن من حيث لا يشعرون فبين الله تعالى فى هذه الآية انهم اذا خافوا ذلك فليتجنبوا الزواج باليتيمات وليتزوجوا بغيرهن من النساء فغيرهن كثيرات وقد وسع الله المنافذ فى هذا الصدد فأباح الزواج باثنتين وثلاث وأربع ...

وهذا الفهم هو الذى صرحت به عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فى الحديث المشار اليه آنفا .

٣ — انه لم يؤثر عن الرسول عليه السلام ولا عن أحد من صحابته وتابعيه انه اشترط مثل هذه الضرورات لاباحة التعدد .

٤ — ان تفسير الآية على الوجه الذى يذهب اليه صاحب هذا الرأى يتضمن حلا غير سليم للمشكلة التى يزعم ان الآية تتصدى لحلها وذلك ان اقتراح الزواج باليتيمات لا يعد مخرجا سليما لتحرج الأولياء من الاختلاط بهن فقد لا يكون للولى رغبة فى اليتيمة وقد لا تكون هى راغبة فى الزواج به وقد لا تكون صالحة لزواجه بها لسبب ما وقد يكون فى حجره يتيمات لا يجوز الجمع بينهن وقد يكون فى حجره أكثر من أربع يتيمات فاذا كان الزواج باليتيمة مخرجا فى حالة ما فانه لا يكون مخرجا فى آلاف الحالات ولا يمكن لعاقل أن يضع مخرجا كهذا للحرج الذى كان يخشاه الأولياء . ومن ذلك يتضح ان اباحة التعدد لا تتوقف على شىء وراء أمن العدل وعدم الخوف من الجور فلا تتوقف على عقم المرأة ولا مرضها مرضايمنع من تحصن الرجل ولا على كثرة النساء كثرة ينفرط معها عقد العفاف .

قال القرطبى (واتفق كل من يعانى العلوم على أن قوله تعالى) « **وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ... الآية** » ليس له مفهوم اذ قد اجمع المسلمون على أن من لم يخف القسط فى اليتامى له أن ينكح أكثر من واحدة اثنتين أو ثلاثا أو أربعا كمن خاف . فدل على أن الآية نزلت جوابا لمن خاف ذلك وان حكمها أعم من ذلك .

ويرى الأستاذ العقاد الا وجه لمحاولة تعرف السر فى تقييد العدد المباح من الزوجات بأربع دون زيادة قال : ولا نحسب ان الأمر فى تحديد عدد الزوجات بأربع يدعو الى سؤال من أحد يمارس حدود التنصيص فى الشريعة فان التحديد يقتضى الوقوف عند حد متعارف عليه وما من سبب يقتضى أن يكون عدد الكتيبة فى الجيش مائة ولا يكون تسعة وتسعين أو مائة

وواحدا الا جاز لهذا السبب نفسه أن يكون العدد أكثر من ذلك أو أقل من ذلك بغير فارق فى التنفيذ وما من سبب يقتضى أن تكون درجة النجاح فى الامتحان خمسين ولا يقتضى كذلك أن يجعلها ستين أو أربعين وانما يجب الوقوف عند حد معلوم ويقتضى ذلك الحد أن يكون العدد أقرب الى الغرض المطلوب ثم يحاول التصدى لفهم السر فى عدم نقص هذا العدد عن أربع أعنى اباحة الجمع بين اثنتين أو ثلاث فقط ، ويقول وعند حسبان الزيادة الراجحة فى عدد النساء بالنسبة للرجال لا يجدى أن يكون الحد اثنتين وحسب اذ أن الرجال لا يتساوون فى القدرة على أعباء الزواج كيفما كان عدد الزوجات فمنهم من يعييه أن يعول زوجة واحدة ومنهم من لا يعييه أن يعول الكثيرات وليست أقسام الرجال على حسب هذه القدرة معلومة لولاة الأمر المشرفين على صيانة الحدود فلا مناص من حسبان من يستطيع تكاليف الزوجات الثلاث والأربع الى جانب الذى يعييه تكليف الزوجة والزوجتين وهذه موازنة ينتهى عندها الحد المعقول متى كان من الواجب أن تنتهى الى حد معقول .

ثم يرى الا سبيل الى وضع مقاييس تقاس

بها الظروف المبيحة لتعدد الزوجات أو المانعة منه الا حين يخشى المجتمع أن يخل التعدد بكفاية الزوج فى تربية أبنائه أو ينقص من مقدرته على ذلك . فيسوغ للمجتمع عندئذ أن يضع دستورا يمنع الزوج مما يؤدى به الى عدم الكفاية فى الزوج لتربية أبنائه ويتوخى لذلك دستورا يحافظ على حرية الرجال والنساء ولا يخل بحقوقهم فى التراضى على الزواج متى اتفقت رغبتهم عليه وليس من العسير تسويغ ذلك الدستور من جانب المجتمع لأن الأزواج المقصرين يجنون عليه ويحملونه تبعات كل كفالة للابناء يعجز عنها الاباء والأمهات .

بيد أنى أتلقى بالحذر تسويفه للمجتمع وضع دستور على النحو الذى تحدث عنه فى النص المذكور آنفا لأنه يهدف فيما أحسب الى منع تعدد الزوجات فى بعض الظروف ويجوز وضع دستور يقضى بذلك ولو اصطلح المجتمع على دستور كهذا وكانت له صفة الالزام بقوة القانون والدولة لكان فى ذلك تحريم بما أحل الله فالله تعالى يقول ((يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)) ولكان فى هذا الدستور تضييق على الموسرين الذين لا يضر تعدد الزوجات بكفايتهم وأرى عند خشية المجتمع من نقص كفاية الأزواج فى تربية أبنائهم لأى سبب من الأسباب أن تقوم التوعية مقام التقنين ويحل التوجيه محل الالزام حتى لا يضيق على مطيق ولا يمنع قادر .

وللحديث بقية أرجو متابعتها .

بقية مقال (النسخ وموهم الاختلاف)

فأنت ترى ان التخصيص والنسخ ، قد يلتقيان فى بعض الصور وقد ينفرد النسخ بصورة لا يصح أن يقال فيها بالتخصيص ، وهى : اذا بطل الحكم بالكلية .

وأما الاستثناء — فانه رفع لحكم كان سيدخل لولا الاستثناء . فليس بينه وبين النسخ علاقة ..

٧ — من القرآن ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته كقوله :

(وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) ..

فانه منسوخ بالنسبة للمحاسبة على ما فى داخل النفس .. وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم :

(ان الله تجاوز لأمتى عما وسوست به صدورها ما لم تفعل أو تكلم) ..

ويعضده قوله سبحانه :

(لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ..

ومنه ما نسخت تلاوته وبقى حكمه ، ومثاله: (الشيخ والشيخة اذا زنيا ، فارجموهما ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم) .

كان ذلك مما يتلى ، ثم نسخ وبقى حكمه ، وهو رجم الزانيين المحصنين .

وفى هذا الذى قالوه نظر .. لأن عدم وجوده فى التلاوة التى مات عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجعلنا نصرف النظر عن كونه قرآنا . ونعتبر حكم الرجم ثابتا بالسنة . فاذا أضفناه لقول الله : **(الزانية والزانى ، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)** كان مخصصا لهذا العام . فنجلد الزانى الأعزب بالقرآن ، ونرجم المحصن بالسنة .. ويكون هذا من باب نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .

ومن الناس من جعل من القرآن قسما ثالثا وهو : نسخ الحكم والتلاوة معا ، ومثلوا له بما روى : (كان فيما نزل عشر رضعات مشبعات يحرمن ، ثم نسخ بخمس رضعات مشبعات يحرمن) .

وهذا أيضا مما نزل وكان يتلى ..

ومثل هذه الأقوال تلحق بالسنن ، ويفسر كلام الراوى بما يليق به .. فالسنة وحى يمكن أن توصف بالنزول . والقول بأن هذا مما كان يتلوه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات عنه وهو يتلى ، قول تأباه الفطر والعقول ..

وصلى الله على سيدنا محمد .

القصص في القرآن الكريم

يقول المولى الكريم ((نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن)) .

فالقرآن العظيم : ليس بكتاب حكايات وروايات : انما هو كتاب جد وعظات : يسوقها البارى جل شأنه : ليتعظ بما فيها القارىء والسامع ، ويعمل بما توحيه اليه : من جليل الخلق ، وعظيم الأدب ، ورفيع المكارم .

هذا : ويحق للسائل أن يتساءل : لم كانت قصة يوسف عليه السلام من أحسن القصص ؟

قصة يوسف

عليه السلام

الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب

وللاجابة على ذلك نقول : لأن أغلب القصص فى القرآن : يحمل بين طياته الوعيد ، والعذاب والاغراق ، والخسف ، أما قصة يوسف عليه السلام فهى رغم ما اشتملت عليه مما يبعث الهم ، والأسى ، والحزن ، فان عاقبتها جميعا حميدة .

فقد رماه أخوته فى الجب . ومن شأن ذلك التحطيم أو الموت . فكانت عاقبة القائه : نجاته من التلف والهلاك .

ولولا القاؤه فى الجب : لما أخذه السيارة ، فباعوه عبدا ، وبثمن بخس .

ومن عادة العبد المباع : أن يقع فى الذل والخسف .

فكانت عاقبة العبد المباع بأبخس الأثمان : أن صار سيدا : بل صار ملكا : تدين له العباد والبلاد .

((وراودته التى هو فى بيتها)) ، سيدة القصر : وامرأة العزيز ((عن نفسه)) وقد كان عرضة للوقوع ـ رغم أنفه ـ فى المعصية .

فعصمه الله تعالى منها ، وأنجاه من الوقوع فيها ، وكتبت له بها حسنة وأدخلوه السجن : ذليلا ، فخرج منه عزيزا مكرما .

وفى القصة أيضا ما فيها : من نزول المحن والشدائد ، ثم ابدالها بأنواع من المنن والألطاف .

كما ان فيها من الأسرار : انه لا دافع لما قضاه الله تعالى . ولا مانع من قدره .

وانه تعالى : اذا قضى لانسان بخير ومكرمة ورفعة : لو اجتمع أهل الأرض والسموات على منعه ودفعه : لما استطاعوا ذلك **((ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) .**

وان الأمر فى يوسف عليه السلام : كان وفق ما قدره الله تعالى له من خير : لا وفق ما بيته له اخوته وأعداؤه من كيد وشر .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم ((اذا قيل : من الكريم ؟ فقولوا : الكريم ابن الكريم ، ابن الكريم : يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم ، عليهم السلام)) .

هذا : وأخوة يوسف : لو لم يحسدوه : لما القوه فى الجب .

ولو لم يلقوه فى الجب : لما أخذته السيارة .

ولو لم تأخذه السيارة : لما التقى بعزيز مصر .

ولو لم يتفرس عزيز مصر فى يوسف الأمانة والصدق : لما أمنه على بيته وأهله .

ولو لم يأمنه على بيته وأهله : لما راودته امرأة العزيز .

ولو لم تراوده امرأة العزيز : لما ظهرت عفته ونزاهته .

ولو لم تفشل امرأة العزيز فى اغوائه : لما ألقى به فى السجن .

ولو لم يدخل السجن : لما التقى به صاحباه .

ولو لم يلتقى به صاحباه : لما عرفه ساقى الملك .

ولو لم يعرفه ساقى الملك : لما حدث الساقى الملك ببراعة يوسف فى تأويل الرؤى .

ولو لم يدعه الملك لتأويل رؤياه : لما آمن بصدقه : ومزيد علمه ، ولما استأمنه على خزائن ملكه .

ولو لم يتبوأ هذا المنصب : لما التقى باخوته : وأنجاهم مما وقعوا فيه : من مجاعة جائحة : ولما التقى بأبويه : ورفعهما على العرش .

فالقصة — وحالها كما ذكرنا — من أحسن القصص : اذ أن ظاهرها محرق ، وباطنها مشرق . وبدايتها شر وخسر ، ونهايتها فوز وخير .

وفى القصة أيضا ما فيها من العبر :

فلا يجوز للوالد : أن يفرق بين بنيه فى الحب والقرب : فيثير بينهم الحسد ، والبغضاء .

ولا يجوز للمرء : أن يدخل فى بيته شابا وسيما ، ويخلى بينه وبين امرأته . فهذا ليس من صفات ذوى المروآت والأخلاق الفاضلة .

هذا : وقد ابتلى كثير من فضلاء البشر — من الأنبياء — وهم خيرة الخيرة ابتلوا بأبناء غير صلحاء : بلغ بهم العصيان حد الكفر والعياذ بالله . فمنهم ابن نوح عليه السلام : اذ قال لأبيه : « يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء » .

وهذا يعقوب — وقد ابتلى من أبنائه بما ابتلى — ولو أنهم لم يصلوا الى حد الكفر : كابن نوح — بل بلغوا حد العصيان بما أتوه من أعمال : لا تليق بأمثالهم .

وكانوا بما قدموه : من حقد ، وحسد ، وبغض لأخيهم : هم المعتدين على أبيهم ، لا هو عليهم: بتفضيل يوسف فى الحب :

وكانوا هم الظالمين لأبيهم : بغير ذنب جناه ، او اثم اقترفه .

دعاء المصطفين :

قال صلى الله تعالى عليه وسلم « لما ألقى يوسف فى الجب : أتاه جبريل عليه السلام .

فقال : يا غلام من ألقاك فى هذا الجب ؟ قال : اخوتى . قال : ولم ؟ قال لمودة أبى اياى حسدونى . قال جبريل : أتريد الخروج من هنا؟ قال : ذاك الى اله يعقوب ان شاء فعل .

قال جبريل : قل اللهم انى أسألك باسمك المكنون المخزون : يا بديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والاكرام : أن تغفر لى وترحمنى ، وأن تجعل من أمرى فرجا ومخرجا ، وأن ترزقنى من حيث أحتسب ، ومن حيث لا أحتسب .

فقال يوسف : فجعل الله تعالى له من أمره فرجا ومخرجا ، ورزقه النجاة من حيث يحتسب، ورزقه ملك مصر : من حيث لا يحتسب .

وإن كنتم في ريب من البعث

الحج ٥

الدكتور احمد حسنين القفل

في المقال السابق ، ناقشنا الخلق من التراب وتطرقنا الى موضوع الأرض والماء والزرع فى مجال اثبات ظاهرة البعث والآن نكمل بقيه الحديث .

ثالثا : مراحل خلق الانسان :

اذا كان القارىء الكريم قد أحيط علما بما يقوم به النبات من امتصاص جذوره لعناصر التربة المذابة فى الماء وبما يتم من تمثيل ضوئى (يخضورى) بواسطة أجزاء النبات الخضراء وخاصة الأوراق ومن تحويل لهذه العناصر الميتة (جماد) من التربة وثانى أكسيد الكربون الى مادة حية (بروتوبلازم) يبنى بها النبات أنسجته الحية ، اذا كان القارىء قد ألم بكل هذا وعلم أن فى ذلك دليلا ناهضا على البعث ، فان ما يحدث عند تغذية الجنين فى رحم الأم ثم بعد ذلك فى تغذية الوليد من مهده وحتى لحده . هو شبيه بتغذية النبات مع اختلاف فى عناصر التغذية وفيما يلى ايضاح لذلك .

١ — فبالنسبة للجنين فى رحم الأم يمكن أن نناقش المسألة على الوجه التالى :

يقول المولى تبارك وتعالى :

« نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم انى شئتم » ٢٢٣ — البقرة .

والحقيقة أن استخدام لفظ « حرث » فى الآية الكريمة ليس مجازيا بقدر ما هو حقيقة ذلك لأن رحم الأم هو بمثابة الأرض الطيبة المهيأة لانبات الزرع . والفرق هو أن الزرع النابت فى الأرض يكون معرضا للعوادى المختلفة التى تتصل بالمناخ (عواصف ، حرارة ، رطوبة .. الخ) أو الحيوانات التى تعتدى عليه (آفات حشرية ، آكلات عشب .. الخ) لكن شاءت حكمة الله أن يتواجد الجنين فى الانسان — وكذلك الثدييات الأخرى — فى قرار مكين الى اجل معلوم . يقول الحق تبارك وتعالى :

« الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين . الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون» ٢٠ — ٢٣ — المرسلات .

« ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى » ٥ — الحج .

والمعروف علميا أن النطفة (الحيوان المنوى) لا يمكنها وحدها أن تبدأ خلق الانسان بل لابد لها من أن تلتقى وتندمج مع خلية أخرى هى البيضة ومصدرها مبيض المرأة ومن المستحيل أن تكون النطفة وحدها خلقا تبدأ به حياة الفرد، حتى أن الله — وهو الله — يسخر من الذين ينسبون اليه الولد (الابن) مبينا سبحانه أن هذا لا يمكن أن يكون الا بوجود زوجة (صاحبة) يقول سبحانه :

« أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم » ١٠١ — الأنعام

« وانه تعالى جد ربنا ، ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » ٣ — الجن .

ومع هذه الحقيقة ، فان القرآن الكريم يشير دائما الى بداية خلق الانسان من النطفة ، دون أى اشارة الى البيضة مع أن كلا منهما شريك فى تكوين الخلية الأولى (اللاقحة) التى يبدأ بها الجنين : يقول سبحانه :

« خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين » ٤ — النحل .

« أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا » ٣٧ — الكهف .

« ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » ١٣ — المؤمنون .

« أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » ٧٧ — يس .

« وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة اذا تمنى » ٤٦ — النجم .

« ألم يك نطفة من منى يمنى » ٣٧ — القيامة.
« انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه » ٢ — الانسان .

« من نطفة خلقه فقدره » ١٩ — عبس .

والتركيز على النطفة كما يتضح من الآيات الكريمة السابقة له سبب وجيه ، وهو أن البيضة — ولو أنها شريك فى التكوين كما أسلفنا — الا أنها تحتاج دائما الى اشتراك النطفة والاندماج معها بحيث لو فشلت البيضة فى الوصول الى هذا الهدف لتلاشت وأصبحت وكأنها لم تكن ، فكأن النطفة اذن هى الأساس (ولادة سيدنا عيسى عليه السلام معجزة لا تخضع للقانون) .

والنطفة خلية (نصف خلية من الوجهة الوراثية) حية ، وليست ميتة كما يشير الى ذلك كثير من المفسرين . ولو كانت ميتة لما تم الخلق وتكوين الجنين . ولنبدأ بعد هذه المقدمة قصة الجنين :

١ — تبدأ القصة بما يسميه العلماء « الاخصاب » ومعناه وصول النطفة (الحيوان المنوى) الى البيضة ودخولها فيها — رأسها دون ذيلها — واندماج نواتها فى نواة البيضة وبذلك تتكون الخلية الأولى التى تعرف علميا باللاقحة (البيضة المخصبة أو الزيجوت) وهى التى يبدأ بها الجنين تكوينه .

للمرأة مبيضان يحتويان على بضع مئات من البيضات ، لكن العادة أن تتضح « بيضة واحدة » فقط من أحد المبيضين — الا فى حالة التوائم غير النموذجية — فتنتقل من المبيض الى بداية قناة المبيض (قناة فالوب) وهناك تستطيع أن تبقى حية لنحو يومين تنتظر فى اثنائهما وصول حيوان منوى واحد (فقط) ليتم به الاخصاب . وفى العادة تتم هذه الظاهرة — والتى تعرف بالتبويض — قبل نحو أسبوعين من بداية الدورة الشهرية .

وللرجل خصيتان يكونان السائل المنوى ، وعند المباشرة (اجتماع الرجل بزوجه) يقذف بكمية من السائل المنوى تحتوى على البلايين من الحيوانات المنوية (فى الرجل السليم) تستقر ابتداء فى مهبل الأنثى . وعلى الحيوانات المنوية منذ قذفت أن تسارع لكى تصل الى حيث توجد البيضة فى مقدمة قناة المبيض أى أن عليها أن تقطع مسافة تعد بالنسبة لها طويلة جدا — من المهبل وخلال الرحم ثم معظم طول قناة المبيض — ويقدرها البعض بنحو سبعة آلاف ضعف طول الحيوان المنوى أو اكثر . ولهذا فان البلايين الموجودة فى المهبل لا يصل منها الى البيضة (حين توجد) الا نحو مائة نطفة فقط يبدأ واحد منها فقط — فى العادة — فى اجتياز جدار البيضة مخلفا ذينه وراءه ، ويساعده على اختراق البيضة قوة اندفاعه فوق ما جهزه به الله من مواد كيمائية (انزيمات) تساعده كثيرا فى الولوج الى داخل البيضة — تتلاشى الحيوانات المنوية الأخرى — وعندئذ يتم الاخصاب فتتكون اللاقحة . اذا لم توجد البيضة فليس فى قدرة الحيوان المنوى أن يعيش فى الجهاز التناسلى للأنثى اكثر من نحو يومين ، اذا لم تتواجد البيضة فى غضونهما فانه يتلاشى ولا يتأتى الحمل اذن .

البيضة صغيرة الحجم فلا يزيد قطرها على بضع ميكرونات ، فهى أصغر كثيرا من اى نقطة تسجلها بقلمك على ورقة بيضاء والنطفة أقل بكثير جدا من البيضة فهى أقل من جزء من الف منها . ومن هنا لا يكون تكوين الحيوانات المنوية بالملايين أو البلايين مجهدا للرجل السليم، كما أن تكوين البيضات بأعداد قليلة لا يجهد الأنثى أيضا .

٢ — ما أن يتم الاخصاب وتتكون اللاقحة حتى تبدأ هذه فى الانقسام متحركة فى نفس الوقت خلال قناة المبيض لتصل الى الرحم فى اليوم الرابع تقريبا من بداية الاخصاب . وحين تصل الرحم فانها توالى انزلاقها على جداره الداخلى لنحو يومين آخرين ثم لا تلبث أن تنغرس فى هذا الجدار وتتشبث به بقوة — ومن هنا سميت بالعلقة لعلوقها بجدار الرحم بقوة — وما اشبه العلقة فى هذا الوضع بالبذرة تنغرس فى الأرض الطيبة فتنمو . تتغذى العلقة فى هذه الفترة على السوائل المحيطة بها فى جدار الرحم أو فى حيزه .

تأخذ العلقة بعد ذلك فى النمو والتطور ويكتمل نمو الجنين تباعا ، حتى ليبلغ طوله فى نهاية الشهر الأول من الحمل نحو سنتيمتر واحد ويبلغ حجمه نحو نصف حجم البندقة (المضغة؟) لكن العلقة — الجنين البدائى — فى أثناء تطورها شهرا بعد شهر تعد نفسها لتكون مخلوقا مستقلا عن الأم ، رغم كونها تعتمد عليها أساسا فى الغذاء والحماية . ولكن كيف يكون ذلك ؟

ألمحنا أن العلقة تستمد غذاءها من السوائل المحيطة بها والتى يهيئوها الرحم لهذه الغاية وكلما تقدم العمر بالجنين يعمل على أن يحيط نفسه بأغلفة ثلاثة واقية له تحميه وتمنع عنه آثار الصدمات التى يتعرض لها نتيجة لحجزها سوائل ينتفع بها ، كما أن هذه الاغشية تتيح له درجة الحرارة المناسبة وتسهل له حرية الحركة . يقول المولى تبارك وتعالى :

« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » ٦ — الزمر .

والأغشية الجنينية هى الرهل Amnion والسلى الثانى Chovion والغشاء المنبارى Allentois . ويتحد الغشاء المنبارى مع السلى الثانى ويتصل الأخير اتصالا وثيقا بالغشاء المخاطى المبطن للرحم مكونا خملات اصبعية الشكل تدخل فى ثنيات الرحم وتعرف مجموعة هذه الأغشية بالمشيمة Placenta التى تتكون من جزئين : مشيمة جنينية — تتصل بالحبل السرى فى الجنين — ومشيمة الأم فى جدار الرحم ولغناهما معا بالأوعية الدموية يسهل تبادل المواد الغذائية والاخراجية بين الأم والجنين دون اختلاط دمهما .

وخلاصة ما سبق أن الجنين يتكون له ما يعرف بالحبل السرى وهو بمثابة الساق فى النبات ذلك لأن هذا الحبل يصل ما بين جسم الجنين ذاته — الذى ترك جدار الرحم واستقر فى أغشية فى حيز الرحم الذى يزداد حجمه تباعا بزيادة نمو الجنين — وما بين المشيمة وما هذه الا قرص فى نهاية الحبل السرى . ويخرج من هذه المشيمة (المشيمة الجنينية) بروزات كثيرة — هى بمثابة جذور النبات — تنغمس فى جدار الرحم المقابل (المشيمة الأم) والتى تصبح بمثابة الأرض الطيبة . وبهذا التركيب المحبوك الدقيق يستطيع الجنين عن طريق (جذوره) فى المشيمة أن يحصل على كل متطلباته من الغذاء الذى يكون ذاتيا فى بلازما الدم للام — نتيجة لهضمها لمواد غذائها وامتصاصه وسريانه فى الدم على نحو ما سنبين فيما بعد — والذى ينقل عن طريق الحبل السرى الى جسم الجنين فيبنى بذلك انسجته ويتأتى عن ذلك نموه .

وهنا أيضا تتحول المواد الميتة — من دم الأم — الى مواد حية فى جسم الجنين . وينهض ذلك دليلا على البعث . أما المواد الاخراجية فى جسم الجنين فتمشى أو تسرى بطريقة عكسية من جسم الجنين الى الحبل السرى الى المشيمة لتنساب فى دم الأم التى تتخلص منها بدورها عن طريق غددها الاخراجية .

وما يجب أن نلفت اليه نظر القارىء الكريم هو أن تغذية الجنين وطرد نفاياته يتمان كما لو كان الجنين كيانا مستقلا عن الأم رغم ارتباطه الشديد بها . واذا كنا قد ألمحنا الى دورى المشيمة والحبل السرى فى هذا الصدد فان التغذية عن طريق الرحم تستدعى بعض الايضاح .

يقول سبحانه :

« الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شىء عنده بمقدار » ٨ — الرعد .

والمعنى أن جدار الرحم فى الأنثى البالغة وبعد انتهاء فترة الطمث (الحيض) مباشرة يأخذ فى الزيادة فيسمك تباعا اذ تتكاثر الخلايا المبطنة له (الشبج الطلائى الداخلى) ويتوارد اليه الدم حتى ليقوم بتخزين الكثير منه فى فجوات تجعله بذلك نسيجا أسفنجيا . ويتم كل ذلك استعدادا لحمل منتظر . فاذا لم يتم الحمل — فشلت عملية الاخصاب — انهار كل هذا البناء (غاض الرحم) ونزل الدم غزيرا مع الخلايا المبطنة للرحم فى صورة الطمث المعروف وتتكرر هذه العملية شهرا بعد شهر فى صورة ما يعرف « بالعادة الشهرية » عند النساء اذا لم يتم الحمل . أما حين يتم الحمل فان الطمث يمتنع ذلك لأن جدار الرحم المهيأ على هذا النحو والذى انغرست فيه العلقة أولا ثم بعد ذلك بروزات المشيمة المتصلة بالجنين ، أصبح فى امكانه عن طريق الدم المتوارد اليه أن يهيىء الفرصة المناسبة لأن تمتص بروزات (جذور ؟) المشيمة ما يحتاج اليه الجنين الذى لا تختلط دورته الدموية أبدا مع دورة أمه بهذا التنسيق الالهى البديع المتقن .

بعد حدوث الحمل يزداد حيز الرحم شهرا بعد شهر نتيجة لنمو الجنين وتحويل المواد الغذائية الميتة — من دم الأم — فى جسمه الى انسجة حية — ويلاحظ :

● فى نهاية الشهر الأول يكتمل نمو الجنين ويبلغ طوله نحو سنتيمتر وحجمه نحو حجم نصف البندقة ويتكون حبله السرى البدائى ويبدأ

نبض القلب فى خلال الأسبوع الأخير من الشهر الأول ويدور الدم فى جسمه دورة منفصلة تماما عن دورة الأم .

● يأخذ الجنين ملامحه الأساسية فى خلال الشهر الثانى من الحمل ويزيد طوله الى اربعة سنتيمترات ووزنه الى ثلث الأوقية .

● يستطيع الجنين أن يتحرك فى الشهر الثالث وهو دون الأوقية وزنا لكن الأم لا تحس بحركة الجنين الا فى نهاية الشهر الرابع حين يصل طوله الى نصف طوله عند الولادة .

● يصل طول الجنين فى الشهر الخامس الى نحو قدم ووزنه الى نحو رطل وتزداد كل مكوناته وضوحا . واذا كانت حركة الجنين تشعر بها الأم فى نهاية الشهر الرابع فانها تزداد بها شعورا فى الشهور التالية ويقال ان هذه الحركة تكون نشاطا بعد نوم .

● قد يولد الجنين فى الشهر السادس او السابع لكنه فى العادة يكمل حياته الجنينية حتى الشهر التاسع حين يصل الى الحجم والوزن الطبيعيين (لقد تحولت اللاقحة وهى الخلية الأولى التى بدأ بها الجنين الى نحو مائتى مليون خلية وتضاعف وزنها الى أكثر من ستة بلايين مرة) . ومن ثم يخرج الجنين الى الحياة الدنيا بانقباضات الرحم وتفتق الأغشية الجنينية .

● تلعب المشيمة دورا كبيرا وهاما فى حياة الجنين فهى الواسطة التى بها يحمل الغذاء الى الجنين وعن طريقها يتخلص الجنين من اى مواده الاخراجية كما أنها المصدر الأساسى للهرمونات اللازمة للحامل خلال فترة الحمل وهذه الهرمونات تلعب دورها فى اعداد الأجهزة اللازمة لانتاج لبن الرضاعة مستقبلا . وتلعب المشيمة دورا أساسيا فى تحديد التغيرات الهرمونية التى تنهى الحمل وتبدأ عملية الولادة. كما تنتج المشيمة أجساما مضادة لحماية الجنين من العدوى .

وبعد أن يولد الجنين يتغذى على اللبن فترة ثم يتغذى بعد ذلك على مواد أخرى هى تلك التى يتغذى عليها الناس طبيعيا . واذا كان النبات يبنى جسمه الحى من المواد الذاتية فى التربة ومن غاز ثانى اكسيد الكربون فى الجو كما أوضحنا سابقا ، فماذا عن الانسان ؟

—

يحصل الانسان على غذائه — بعكس النبات — من مواد عضوية أساسا هى المواد النشوية والمواد الدهنية والمواد البروتينية (نباتية او حيوانية) مع أملاح وماء وكل هذه مواد ميتة وبعد عملية الهضم اى تحويلها الى مواد صالحة لأن يفيد منها الجسم — فى الجهاز الهضمى — فانها تمتص لتنتقل بعد ذلك الى الجهاز الدورى — وهى لا زالت ميتة — فتدور فى هذا الجهاز لتصل الى مشارف خلايا الجسم مهيئة بذلك الفرصة لكل خلية لأن تنتقى ما يناسبها وفى الخلايا تتحول المواد الميتة الى مواد حية تبنى بها الخلايا نفسها وتنقسم تباعا ليحصل النمو. فالغدد اللبنية مثلا تبنى نفسها من المواد التى تجرى فى الدم لتكون قادرة على افراز اللبن (الميت) الذى يكون غذاء الرضيع بعد ولادته والمواد الميتة فى الدم هى ايضا التى تجمعت فى الرحم حول بروزات المشيمة الجنينية لتأخذ منها متطلبات الجنين من الغذاء .. وهكذا .

آمل أن يكون قد اتضح للقارىء الكريم الآن الدليل على البعث فى صورة تحويل المواد الميتة من التربة والجو الى أنسجة نباتية حية ، ثم مواد الغذاء الميتة التى يحصل عليها الانسان غذاء لتبنى أنسجته الحية وأنسجة الجنين بالاضافة . ومن حكمة الله تعالى أن جعل النبات قوام غذاء الحيوان بما فيه الانسان . وجعلهما متكاملان لتسير دورة الحياة فنفايات الحيوانات قد يستخدمها النبات غذاء ، وما يبنيه النبات يتخذه الحيوان طعاما . وهذه دورة فى الحياة تحتاج لشرح طويل .

رابعا : قوله تعالى : **ذلك بان الله هو الحق :**

الآن وقد فهمنا ما يحدث عند تغذية النبات من قدرة جذوره على امتصاص المواد المذابة بالماء فى التربة ، ومن قدرة أجزائه الخضراء على التمثيل الضوئى (اليخضورى) لثانى أكسيد الكربون من الجو ومن تحويل كل هذه المواد الميتة جميعها الى أنسجة حية وكذلك من قدرة الجنين وتهيئته للحصول على ما يبنى به جسم الحى عن طريق حصوله على المواد الميتة من دم الأم ثم من قدرة الانسان ذكرا أو أنثى منذ مهده وحتى لحده من تحويل المواد الغذائية الميتة التى يتعاطاها عن طريق فمه فيهضمها ثم يمتصها ثم يديرها فى دمه لتتحول بعد ذلك الى أنسجة حية ، الآن وقد فهمنا كل ذلك وادركنا كيف ينهض كل هذا دليلا على البعث ، بعد ذلك كله يقول لنا مولانا سبحانه « **ذلك بان الله هو الحق** » .

والمعنى ان الذى يستطيع ان يفعل ذلك بالنسبة للأحياء من نبات وحيوان يكون هو

المعبود الحق ، فبارادة الله وصنعه وقدرته قد تحول الجماد الى حى . ولكى نزيد الأمر وضوحا ، فان الخلية النباتية أو الخلية الحيوانية هى وحدها المصنع الالهى الوحيد الذى خلقه الله على هذا النحو وكيفه بكل الامكانات التى يستطيع بها أن تحول المادة الميتة الى مواد حية بداخلها (البروتوبلازم أو مادة الحياة) ولا يوجد — ولن يوجد — مصنع من عمل البشر يستطيع اطلاقا ان يؤدى هذه المهمة بهذه الصورة الفريدة والفذة والمعجزة .

لقد حاول العلماء ولازالوا يحاولون امكان استخدام اليخضور (المادة الخضراء فى النبات) لتحضير مواد من ثانى أكسيد الكربون على النمط الذى يسير به التفاعل فى الخلية التى بها هذه المادة (البلاستيدات الخضراء) . والحصول على اليخضور سهل لكنه اذا فصل وابتعد عن الخلية — مكان نشاطه الوحيد — فانه يفقد عمله ، ومن هنا كان فشل العلماء فى استخدام مادة اليخضور فى تركيب مواد عضوية ، ولو قد نجحوا — وهذا موضع شك كبير — لحلت مشكلة الغذاء فى العالم ولأمكن اقامة مصانع بشرية تصنع الغذاء من الجو (ثانى أكسيد الكربون) وهذا ما أظن انه لن يحدث أبدا .

ومما سبق نستطيع أن ندرك تماما قول الحق تبارك وتعالى **« ذلك بان الله هو الحق »** اى أن الله سبحانه وتعالى — ولا أحد غيره — هو الذى يستمد جنوده فى مصانعه الالهية (خلايا النبات والحيوان) ليمكنها من تحويل المواد الميتة الى مواد حية . فهى قدرة فائقة يختص بها الله وحده دون غيره وهذا هو الحق الذى يجب أن نعترف به صاغرين ونخر له سجدا مخبتين .

ومن عجب ، أن القارىء للآية الكريمة (الخامسة من سورة الحج) يجد أن الله بعد ان ذكر اطوار خلق الانسان انتقل فجأة وفى نفس الآية الى الماء والأرض والزرع ، وذلك فى معرض التدليل على البعث وبذلك جمع الله فى هذا الصدد الأحياء جميعها — الحيوانات والنباتات — ليبين لنا معشر الناس أن النبات ان كان يتغذى على ميت فيحيا فى جسمه والحيوان ان كان هو الآخر يتغذى على ميت فيحيا فى جسمه — على نحو ما أوضحنا سالفا — الا أن هناك شيئا آخر وهو أن ما يبنيه النبات فى جسمه هو قوام غذاء الانسان والحيوان بل ان نفاية النبات (الأكسيجين فى تنفسه ليلا) هى أكسير الحياة بالنسبة للحيوانات كما أن نفايات الحيوانات — مواد اخراجها من ثانى أكسيد الكربون وغيره — يستخدمها النبات غذاء وهكذا تمشى عجلة الحياة بين نبات وحيوان يكمل أحدهما الآخر ، وحكمة الله هى التى اقتضت ذلك ، ذلك بأنه هو الحق، الذى لا معقب لحكمه ، ولا راد لارادته ، وتلك هى الحقيقة التى لا تستقيم الحياة بدونها فالله وحده هو القادر على اخراج الحى من الميت والميت من الحى على نحو ما أسلفنا فى نبات وحيوان ، ولا أحد غيره يستطيع ذلك . يقول سبحانه :

« يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون» ١٩ — الروم .

« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم أحسن عملا» ٢ — الملك .

وللحديث بقية نناقش فيه ان شاء الله قوله تعالى :

« وانه يحيى الموتى وانه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور» .

قلعة الصناعة العربية نالت منتجاتها العديدة شهرة عالمية
١٩٧٨

انتاج

غزل القطن	٣٨٠٠٠	طن
منسوجات قطنية	١٦٢	مليون متر
أقمشة وبرية	٥٨٠	طن
غزل الصوف	١٨٠٠	طن
منسوجات صوفية	٣,٥	مليون متر
بطاطين صوفية	٧٠٠٠٠	قطعة
ملابس جاهزة	٧	مليون قطعة
قطن طبي	١٨٧٥	طن

العمالة

عدد العاملين
٣٤٠٠٠ عامل
الأجور
٢٢ مليون جنيه

المبيعات

محلي
٤٨ مليون جنيه
تصدير
٣٠ مليون جنيه
جملة
٧٨ مليون جنيه

شركة مصر للغزل والنسج بالمحلة الكبرى

التشريع الإسلامي

الحدود

وحكمة تشريعها وأثر تطبيقها

فضيلة الشيخ محمد خاطر

لقد انتهينا فى مقالنا السابق من بيان معظم الضرورات الخمس وكيف حافظت أحكام الشريعة الغراء عليها — وسنبين فى هذا المقال ما بقى من الضرورات الخمس وهى المحافظة على العقل وكيف قامت أحكام الشريعة بذلك مع بيان الغاية من العقاب .

المحافظة على العقل :

لقد كرم الله الانسان بعقله وبه فضله على باقى مخلوقاته وبه تعبده فى الأرض وكانت التكاليف الشرعية اذ جعل مناط التكليف العقل فبه يفكر ويعقل ويعرف النافع من الضار والخير من الشر فاذا ما اعتدى على هذا العقل بسكر يخامره ويغيبه أصبح وجوده كعدمه ، اذ أن المجنون يرى البعيد قريبا والقريب بعيدا ويذهل عن الواقع الذى يعيش فيه ويتخيل ما ليس واقعا ولذلك أمر الله بالمحافظة على العقل الذى اختص به الانسان وحرم الاعتداء عليه بما يضره من تناول المسكرات أو المخدرات وذلك لأن الانسان اذا ما أصيب بآفة فى عقله أصبح عبئا على المجتمع ومصدر شر وأذى على الجماعة .

ومن أجل صيانة هذه الضرورات : « الدين والنفس والعرض والعقل والمال » وفى سبيل تحقيق مقاصدها والمحافظة عليها شرع الله سبحانه وتعالى العقوبات الرادعة المتعددة من حدود وقصاص وتعزيرات حتى يكون الزجر والردع لكل من تسول له نفسه أو تحدثه بالاعتداء على هذه الأسس ولتبقى فى مأمن من عبث العابثين وطيش الطائشين .

وفى بيان ان هذه الأمور الخمسة قد جاءت كل الشرائع للمحافظة عليها وقامت العقوبات لحمايتها .

يقول حجة الاسلام الغزالى : « ان جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق ، وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم لكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعرضهم وعقلهم ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة .

وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع فى رتبة الضرورات ، فهى أقوى المراتب فى المصالح ومثاله قضاء الشرع بقتل الكافر المضل ، وعقوبة المبتدع الداعى لبدعته فان هذا يفوت على الخلق دينهم وقضاؤه بايجاب القصاص اذ به يحفظ النفوس . وايجاب حد الشرب اذ به حفظ العقول التى هى ملاك التكليف — وايجاب حد الزنى اذ به يحصل حفظ النسب والأنساب . وايجاب حد السرقة اذ به يحصل الأموال التى هى معايش لهم وهم مضطرون اليها .

وتحريم تفويت هذه الأمور الخمسة والزجر عنها يستحيل الا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من الشرائع التى أريد بها اصلاح الخلق ، ولذا لم تختلف الشرائع فى تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب المسكر (المستصفى) .

وعلى ضوء ما أوضحناه يمكننا ان نتبين الغاية من العقاب فى الشريعة الاسلامية ...

الغاية من العقاب :

على أساس ما فصلناه من أسس حرصت عليها أحكام الشريعة الغراء للحفاظ على الضرورات الخمس يتجلى لنا الغاية من العقاب فى الفقه الاسلامى فلقد شرع الله العقاب على

الجريمة لمنع الناس من اقترافها وذلك لأن النهى عن الفعل أو الأمر باتيانه لا يكفى وحده لحمل الناس على الفعل أو الانتهاء عنه — ولولا العقاب لما أثمرت الأوامر والنواهى ثمرتها المرجوة .

ولذلك اعتبرت أحكام الشريعة بعض الأفعال جرائم وعاقبت عليها لحماية الفضيلة وحفظ مصالح الجماعة لتقوم على الأخلاق الفاضلة .

فالغاية من العقاب أمران :

أحدهما : حماية الفضيلة وحماية المجتمع من ان تتحكم الرذيلة فيه .

والثانى : المنفعة العامة او المصلحة وما من حكم فى الشريعة الا وفيه مصلحة للناس ، ولذا يقول الله جل شأنه : **« يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين »** .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » .

فالعقوبات فى الشريعة الغراء وقد شرعت لحماية الفضيلة وللمصلحة العامة للجماعة لا ينظر فيها أبدا الى ما قد يكون فى ظاهره مصلحة خاصة فردية لا تقرها أحكام الشريعة فالعقوبة فى ذاتها أذى ينزل بالجانى زجرا له ، فهى من الناحية الذاتية ضرر فى ظاهرها فقتل رجل قاتل هو أذى له ونقص من افراد الأمة اذ قد فقدت من اعتدى عليه ومن اقتص منه

وهكذا نجد كل عقوبة هى فى ذاتها أذى لمن وقع عليه العقاب ، لكن قواعد المصلحة والمفسدة تحتم انزال العقاب به لأنه صار مصدر أذى للأمة ولكل من يتصل به ، فلو ترك القاتل من غير عقاب لاسترسل فى قتل الأبرياء ولم يجد من يزجره ويمنعه من الاقدام على ذلك وهو يستحق العقاب .

١ — لأنه معتد على الأمة والجماعة وعلى حق الحياة الذى أوجب الاسلام احترامه اذ يقول الله جل شأنه بعد سياق قصة قتل قابيل لأخيه هابيل : **« من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »** .

٢ — وفى ترك هذا الجانى دون انزال العقوبة به تعريض الجميع للأذى ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : **« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب »** . ومثل الشرع فى توقيع هذه العقوبة على الجانى كمثل الطبيب يقطع بعض أعضاء الجسم ليسلم سائره .

ويقول فى ذلك عز الدين بن عبد السلام فى القواعد الكبرى ، « ربما كانت أسباب المصالح مفاسد فيؤمر بها أو تباح لا لكونها مفاسد بل لكونها مؤدية الى المصالح وذلك كقطع الأيدى المتآكلة حفظا للأرواح وكالمخاطرة بالأرواح فى الجهاد ، وكذلك العقوبات الشرعية كلها ليست مطلوبة لكونها مفاسد بل لكون المصلحة هى المقصودة من شرعيتها كقطع يد السارق وقتل الجناة ورجم الزناة وجلدهم ...

ويبين من ذلك أن العقوبات سميت مصالح لا لذاتها ولكن باعتبار ما يترتب عليها من مصلحة فالعقوبة اذن شرعت لدفع المفاسد ودفع الفساد فى ذاته مصلحة ، ودفع الضرر مقدم على جلب المنفعة .

واذا كان الأمر كذلك وقد بان مما أوضحناه الغاية من العقاب ، كان لابد أن نعرض الى بيان الجرائم التى تقررت عقوباتها وحددت فى الحدود الشرعية ليرى كيف عولج الجرم بما يقضى عليه وكيف كانت صيانة الحقوق بأنواعها حق الله وحقوق المجتمع عامة وحق العبد .

وسيتجلى مما سنعرضه من عقوبات الشريعة الاسلامية وما وضع بشأنها من قواعد للاثبات تحقق العدالة وتدرأ الشبهات بالمقارنة بالعقوبات التى أنتجتها القوانين الوضعية فى قصورها ونظرتها الفردية وعجزها عن استئصال الداء . سيتجلى مقدار سمو التشريع السماوى وشموله ذلك لأن أصول العقاب فى الفقه الاسلامى هى من عند الله العليم الخبير . أما العقوبات الوضعية فهى من صنع البشر والغاية فى الناحيتين مختلفة .

والى لقاء فى حديثنا التالى ان شاء الله نبين فيه الحدود بايجاز وما وضع من شروط وقيود لاثباتها ..

في أصول الفقه

البيان

الدكتور محمد سعاد جلال

١ ــ تعريف البيان :

البيان يراد به لغة الاظهار ويستعمل فى الظهور ويقال : بين الأمر بيانا أوضحه وأظهره ، ويقال بأن الأمر ، وبان الهلال : معناه وضح وانكشف وفعله يكون ثلاثيا ولا يكون حينئذ الا لازما رباعيا ويكون حينئذ لازما ومتعديا يقال بين الأمر أوضحه وأظهره وتقول العرب بين الصبح لذى عينين معناه بان وظهر وهو مثل يضرب لوضوح الحقيقة القاطع من اللجاج .

(ويرى الحقيقة رجحان دلالته على الاظهار دون الظهور لكثرة استعماله فيه ، وقلة استعماله فى الظهور ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى **((فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه))** ومعناه القراءة والحفظ الفحص عن معانيه ، فان علينا بيانه أى اظهار أحكامه ، وشرائعه من بعد فالآية بينة الدلالة على أن المراد بالبيان الأظهار لا الظهور وبقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ **((ان من البيان لسحرا ، وان من الشعر لحكمة))** فليس لكلمة البيان هنا معنى الا الاعراب عما فى النفس ، واظهار ما فيها بالألفاظ الرشيقة والعبارات البليغة المؤثرة التى تستهوى السامع وتؤثر فى نفسه فتميل به للاقتناع بكلام المتكلم من غير معارضة ولا تلبث كما يفعل مثل ذلك السحر بنفوس الذين يراد صرفهم بفعله الى غرض معين للساحر ، فقد أريد بكلمة البيان هنا الاظهار دون الظهور ، كما رأيت (وبناء عليه فقد عرفوا البيان على أساس المصطلح الأصولى ، بأنه « اظهار المراد كما عرفه بذلك » صدر الشريعة أو بأنه اظهار المراد بعد سبق كلام له تعلق به فى الجملة كما عرفه « السعد » عامدا لتناوله النسخ عند من يعده بيان تبديل على ما سنقف عليه من بعد وعرفه الشافعية بناء على أن البيان عندهم هو الظهور لا الاظهار بأنه ظهور المراد للمخاطب والعلم بالأمر الذى حصل له عند الخطاب (ونظر بعض الأصوليين فى تفسير البيان نظرا أوسع فقالوا : ان البيان يتعلق بثلاثة أشياء ، بفعل صاحب البيان الذى يقوم ببيان الأمر الذى يريد بيانه ، والوسيلة أو الدليل الذى يستخدمه المبين لتحصيل العلم بالأمر المبين فى نفس المخاطب ، وبالعلم الحاصل عن الدليل بالأمر المبين فى نفس المخاطب ، فيطلق البيان على الأمر الثانى ، وهو الدليل الذى نصبه المبين لتحصيل العلم فى نفس المخاطب بما خوطب به ويعرف ــ أنه الدليل الموصل بصحيح النظر فيه الى اكتساب العلم بما هو دليل عليه وهو مذهب عامة الفقهاء المتكلمين ويطلق على الأمر الثالث ، ويعرف حينئذ بما عرفه به أبوبكر الدقاق وابو عبد الله البصرى بأنه « العلم الذى تبين به المعلوم » فكان البيان والتبيين عنده بمعنى واحد ، وهو الظهور وقد اختار الحنفية ــ كما قلنا ــ من هذه الأطراف الطرف الأول وهو « الاظهار » أو اخراج الشىء من حيز الاشكال الى التجلى ، واستدلوا له من الوجهة الأصولية لا بمعنى الاظهار ، يلزمه القول بأن كثيرا من الاحكام الشرعية لا تجب على من لا يتأمل فى النصوص كما لا يجب الايمان بالله على من لم يتأمل دلائل وجوده فى الانفس والآفاق ، ما لم

تبين لهم ، لأن البيان ، هو الظهور ، وحيث قلنا أن البيان هو الظهور ، ولا تكليف بما هو واجب الا بعد البيان ، وهؤلاء — وان لم يتأملوا فى الدلائل — لم يظهر عندهم مضمون الخطاب الموجه اليهم فقد ارتفع عنهم وجوب ما لم يتأملوا دلائله من أحكام الشريعة والايمان بالله ، وذلك فاسد بلا شك ، قال شمس الأئمة : قد كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم مأمورا بالبيان للناس ، قال تعالى « لتبين للناس ما نزل اليهم » وقد علمنا أنه بين لكل من وقع له العلم ببيانه فأقر ، ومن لم يقع له العلم قاصر ، ولو كان البيان عبارة عن العلم الواقع للمبين له لما كان هو متمما للبيان فى حق الناس كلهم ، وأما المبين فقد يطلق ويراد به ما كان من الخطاب المبتدأ المستغنى بنفسه عن البيان ، وقد يراد به ما كان محتاجا الى البيان ، وقد ورد عليه بيانه ، وذلك كلفظ المجمل ، اذا بين المراد منه ، والعلم بعد التخصيص والمطلق بعد التقييد ، والفعل اذا اقترن به ما يدل على الوجه الذى قصد منه .

٢ — البيان كما يكون بالقول يكون بالفعل :

ذهب أكثر العلماء الى تجويز حصول البيان بالفعل ، كما هو حاصل بالقول :

ما عدا قلة شاذة ، ودليل ذلك من النقل والعقل : وأما النقل فقوله : — صلى الله عليه وسلم — « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، وقوله : « خذوا عنى مناسككم » وجه الدلالة فيه : انه أحال السامعين فى بيانه افعال الصلاة والحج منه — صلى الله عليه وسلم — ومشاهدة تفاصيلها ، اكثر بيانا لها من القول المبين لها ، لان الفعل المعاين ادل على وجوده فيها من الاخبار عنه بذلك ، فان رؤية زيد فى الدار مثلا ادل على وجوده فيها من الاخبار عنه بذلك ، واذا كان الفعل أكثر دلالة من القول فى الابانة عن المقصود المراد تعريفه وقد صلح القول بيانا بالاجماع ، فلأن يصلح الفعل بيانا أولى ، وقد اعترض على هذا التقرير بأمرين : احدهما ان قوله : عليه السلام — « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، وقوله : « خذوا عنى مناسككم » — انما هو تعريف بالقول ، لا بالفعل ، واجيب عنه بأن البيان بهذين النصين ، لم يخرج عن كونه بيانا بالفعل كما تقرر ، لان مدلولهما لايتضمن ذات البيان وانما يتضمن دعوة المخاطبين الى تلقى البيان عن حقيقة افعال الصلاة ، والحج من افعاله — صلى الله عليه وسلم — فى مزاولتها ، وثانيهما — ان البيان بالفعل يستغرق وقتا أكثر مما يستغرق البيان بالقول ويلزم من استعمال البيان بالفعل دون القول حينئذ تأخير البيان مع امكان حصوله بما هو أسرع فى تحصيله وهو القول ، وهذا الاعتراض يتفصل فى دعوين أحدهما : أن البيان بالقول ، وذكر كل فعل مما يراد بيانه بهيأته وصفته وما يتعلق به ابعد عن التشبث بالذهن ، وربما احتاج فى تكريره لتحصيل المبين له ، الى ازمنة كثيرة ، اكثر من زمان وقوع الفعل على ما يشهد به العرف ، والعادة ، وأن سلمنا أن زمان التعريف بالفعل اطول من زمان التعريف بالقول ، فليس فى ذلك ما يدل على منع صلاحية الفعل للتعريف ، والخلاف انما هو فى ذلك لا فى المقارنة بينهما لمعرفة ما هو الأسرع بيانا منهما ، وثانيهما : أن البيان بالفعل دون القول بتقدير ان البيان بالفعل أبطأ — يؤدى الى تأخير البيان، فهذه الدعوى أيضا — لاتفيد مطلوب السائل فان التأخير المذكور — اما أن يكون تأخيرا عن وقت الخطاب ، فذلك صحيح عقد اكثر العلماء ، واما أن يكون تأخيرا عن وقت الحاجة فلا مانع منه اذا كان لفائدة : وقد بينا فائدة البيان بالفعل من حيث كان اكثر دلالة على المقصود من القول .

٣ — أقسام البيان :

أقسام البيان خمسة : — بيان «التقرير» وبيان التفسير وبيان التغيير وبيان الضرورة ، وبيان التبديل ، وهو النسخ وهذا التقسيم هو الذى جرى عليه الامام اليزدوى وتابعه عليه صدر الشريعة وقد اعتبر فيه النسخ من أقسام البيان وسماه بيان تبديل . وخالفه فى ذلك السرخسى وصاحب مسلم الثبوت ، فلم يجعلا النسخ من أقسام البيان : قال السرخسى : حد البيان غير حد النسخ ، لان البيان اظهار حكم الحادثة عند وجوده ابتداء والنسخ رفع الحكم بعد الثبوت فلم يكن بيانا ، وقال : صاحب مسلم الثبوت ، وشارحه : والنسخ خارج عن البيان لأنه رفع بعد تحقيق . ومفاد الكلام انما كان التحقيق فى الجملة ، ولم يتبدل ، وانما لم يبق ، والبقاء ليس من مدلولات الكلام ، وهذا الذى يذهب اليه السرخسى ، وصاحب مسلم الثبوت ، أقرب الى فهمى لان المتبادر من كلمة البيان انها توضيح لخفاء ما ، لشىء قائم تتشوق النفس لتمام علمه، أما النسخ فلم يوضح خفاء كان طلبه ملحوظا للنفس لأن الاصل فى وضع الاحكام الاستقرار، لا الرفع ، فاذا نسخ الحكم فان الناسخ يكون قد وضح خفاء كان متعلقا بمدة الحكم لا تستشرف النفس لعلمه ، لا أنه وضح منه خافيا كانت الحاجة الراهنة تؤذنا لطلب توضيحه وبناء عليه — فلا أرى صحة اعتبار النسخ قسما من اقسام البيان ، واقسامه أربعة فقط .

حكم تعارض البينتين

ان تعارض بينتان وأمكن الجمع بينهما جمع ولا تسقط واحدة منهما – والتعارض يعنى أن تشتمل كل من البينتين على ما ينافى الأخرى كما لو ادعى عليه بأن له عليه أردب قمح وأقام عليه به بينة ثم ادعى عليه بأردبين وأقام عليه أخرى . وادعى بأنه أسلمه ثوبا فى مائة أردب حنطة ببينة ثم ادعى انه أسلمه ثوبين فى مائة . ثم أنكر الخصم وادعى أنه تعاقد معه على ثوبين فى المائة مما يؤخذ من الأصل والخرس لصحة التعارض والا فلو قال فى المثال على ما هو عليه لجرى على التفصيل المتقدم المأخوذ من باب الاقرار وليس فيه تعارض البينتين أو قامت عليه بينة بأنه أعتق عبده فلانا وأخرى بأنه طلق زوجته :واذا لم يمكن الجمع بينهما وجب الترجيح ببيان السبب للملك . فاذا شهدت بينة بأن هذا ملك لزيد وأطلقت وشهدت أخرى بأنه ملك عمرو وبينت سبب الملك كنسج ونتاج بأن قالت نسجه أو كتبه أو ورثه أو نسج عنده فانها تقدم على من أطلقت لزيادتها ببيان سبب الملك أو بسبب مزيد أى زيادة عدالة فى أحدهما فتقدم على الأخرى لا بمزيد عدد ولو كثر ما لم تفد الكثرة العلم – هذا مع العلم بأن الترجيح بما مر انما يكون فى الأموال وما آل اليها خاصة وهو ما يثبت الحق فيه بالشاهد واليمين على المذهب وأما غيرها مما لا يثبت الا بعدلين كالنكاح والطلاق والعتق والحدود فلا يقع الترجيح فى شىء من ذلك بزيادة العدالة لأنها بمنزلة الشاهد الواحد وهو لا يفيد فى غير الأموال .

الدكتور محمد عبد المنعم خميس

ولذا كان يحلف مقيمها فى الأموال معها على الراجح – قال ابن عرفة قال بعض القرويين – اختلف اذا كانت احدى البينتين أعدل هل يلحق صاحب الأعدل ففى المدونة أن يحلف . وقيل زيادة العدالة بمنزلة شاهدين فيثبت الترجيح بها فى كل شىء . ورجح بشاهدين من جانب على شاهد ويمين من آخر أو على شاهد رجح امرأتين ورجح بوضع اليد بأن يكون المدعى به من عقار أو عرض فى حوز أحدهما مع تساوى البينتين فالحوز من المرجحات عند التساوى ولذا قال ان لم ترجح بينة مقابلة بمرجح من المرجحات والا قدمت ونزع من ذى اليد من قضى له به وهو ذو اليد عند عدم الترجيح ومقابلة عند ترجيح بينة بمرجح فهو مفرع على منطوق بيد ومفهوم ان لم ترجح . ورجح بالملك على الحوز فمن شهدت بالملك قدمت على من شهدت بالحوز ولو تقدم تاريخ الحوز على تاريخ الملك لأن الحوز قد يكون عن ملك وغيره . ورجح بنقل عن أصل على مستصحبه له فاذا شهدت بينة لزيد أن هذه السلعة له لكونه نسجها أو كتبها أو اصطادها أو بناها . وشهدت أخرى أنها لعمرو واشتراها من زيد أو ورثها منه أو وهبها له قدمت بينة النقل على بينة الاستصحاب واعتمد بينة الملك اى الشاهدة به لحى او ميت على أمور ثلاثة فلا يصح ان تشهد بملك شىء لانسان الا اذا اعتمدت على ثلاثة أمور :

الأول – أن تعتمد على حصول التصرف من واضع اليد على ذلك الشىء من ركوب أو سكن أو لبس أو نحو ذلك .

الثانى – أن تعتمد على حوز طال لذلك الشىء كعشرة أشهر فأكثر لا أقل .

الثالث – أن يعتمد على عدم منازع .

ويضيف البعض الى هذه الشروط : **الرابع : مع نسبة الى واضع اليد وان لم تصرح بشىء من هذه الأربعة فى شهادتهما** . ويشترط فى صحة شهادتهما الملك ايضا أن تقول فى شهادتهما ولم يخرج عن ملكه فى علمنا – وقالت فى شهادتها عند الحاكم « ولم يخرج عن ملكه فى علمنا بناقل شرعى » – فان قطعوا بأنها لم تخرج عن ملكه بطلت شهادتهم فان أطلقوا ففى بطلانها خلاف فعلم ان شروط صحة الشهادة بالملك خمسة – الاعتماد على واحد من الأربعة المتقدمة وان لم يذكروها فى الشهادة .

والخامس – عدم علمهم بالخروج على يد ذلك للمتصرف مع ذكرهم له فى ادائها.

والآخرة خير وأبقى

هذا هو القول الحق ، اذ ما قيمة حياة تقاس أبعادها بالأيام والسنين، بل وبالساعات واللحظات ، وتدرك أغوارها بالجهد الفردى المحدود والعمل الدنيوى الباطل ؟ وهى فانية لا ريب فيها ؟

والدنيا هكذا ، لا قيمة لها الا اذا اقترنت بالعمل للآخرة ، فالانسان لم يخلق لعشرين سنة فقط ، أوستين ، أو مائة ، يقضيها فى لهو وعبث ، وانصراف الى اللذائذ الفانية ، والشهوات الوقتية التى غالبا ما تعقب الحسرة والندامة ، والألم الباقى والخالد فى الدنيا والآخرة فلم يخلق الانسان كى يقتنى مئات العمائر دون أن يرى حقا للمجتمع فيها ، أو يحصلها من غير حلها ، كذلك لم يخلق للدور والقصور ولا للأموال والأولاد ، دون أن يبتغى فى ذلك كله وجه الله .

الدكتور ابراهيم هلال

لأن الله القادر الخالق الرازق المحيى المميت لا يمكن أن يخلق انسانا لهذا ، ولذلك قال : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ، الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) سبأ .

وقال : (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) ـ الحديد : أى عذاب شديد لمن حصلها من غير حلها أو منع حق الله والمجتمع فيها ، ومغفرة من الله ورضوان لمن حصلها من حلها ، وادى حق الله والناس فيها .

وتكون العاقبة الوخيمة فى الدنيا أيضا اذا رتع الناس فيها كالأنعام كما قال تعالى : (ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) الحجر : وكما قال : (قل ان كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، واخوانكم ، وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها : وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى ياتى الله بامره، والله لا يهدى القوم الفاسقين) التوبة .

وعادة تكون هذه أحوال الكافرين الذين قال الله فيهم : (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) محمد . (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) آل عمران .

حياة الناس فى الدنيا مهما طالت فهى قصيرة جدا ، والحياة الطويلة الأمد ، هى ما بعد الموت فى القبر ، ثم ما بعد البعث . وهذه حياة اكيدة وهى المنظور اليها فى خلق الانسان .

والفترة القصيرة التى يعيشها الانسان فى الدنيا هى التى جعلت مقدمة لتلك الحياة الطويلة ، والحاكمة عليها ، وبها يجنى الانسان فى الآخرة ما قدمت يداه . هذا هو المعقول ، وهو الذى وراء خلق الانسان ووراء موته (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا ، وانكم الينا لا ترجعون) المؤمنون . ؟ ولذلك يقول المفرط فى حياته ، حين يموت وحين يبعث : (يا ليتنى قدمت لحياتى) وتكون عاقبته : (فيومئذ لايعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) . وأما من آمن وعمل صالحا فيقال له : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى ، وادخلى جنتى) الفجر .

فحياة الانسان فى الواقع تبدأ من يوم أن يولد،

وليست لها نهاية الا نهاية الأجل الدنيوى واذن ففترة الدنيا فى حياة الانسان موصولة بفترة الآخرة كلاهما مكمل للآخر ما زرعه فى دنياه حصده فى أخراه ، ومن فاته الجزاء فى الدنيا ، فله الجزاء فى الآخرة ان خيرا فخير ، وان شرا فشر : **(ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) الاسراء ، (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون) .**

فلا يغتر بالدنيا الا قصير النظر ضيق الفكر معدوم الدين ، كما قال الكافرون من قبل (ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر) فرد الله عليهم بقوله : (وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون) .

هذا هو الانسان وهذه هى حياته ، فلا يعقل أن يترك ، يطغى فى حياته ويظلم ويجور ويمنع الحق أهله ، ثم لا يجد الجزاء الوفاق على ذلك ، وتضيع على هؤلاء المظلومين حقوقهم ، فالله القادر عادل لا يحابى ، وليس عنده هذا الشخص بأولى من ذاك الا بالعمل الصالح ، ولذلك قال : **(وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم)** محمد : وقال **(ان يشأ يذهبكم ، ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز)** فاطر **وما دام الأمر كذلك ، وما دام هذا هو الحق كما قال تعالى (خلق السموات والأرض بالحق) ، وقال : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار؟) فهذا هو بعد الحياة الآخرة : بذلك صارت هى الحياة . كمال قال تعالى (وان الدار الآخرة لهى الحيوان ، لو كانوا يعلمون) العنكبوت ، أى لهى الحياة الحقيقية لقوم يعقلون ، ويتفكرون** فيعلمون الحق ويعلمون أن الله هو العلى الكبير ، وأن الله عزيز ذو انتقام .

ولهذا يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين لنا واقع الانسان بين حياته وبين آخرته فيقول : (ان العبد بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لا يدرى ما لله فاعل فيه ، وأجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ، ومن الحياة قبل الموت ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، فوالله ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار ، الا الجنة أو النار) .

ولهذا أيضا يحذرنا القرآن الكريم بهذا القول العظيم ، ومصورا تلك الحياة الدنيا وقيمتها وأن قيمتها ليست الا فى أن ننال بها الآخرة فيقول : **(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) ويقول : (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ؟ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم : وضربنا لكم الأمثال)** سورة ابراهيم :

وهنا يظهر رحمة الله على عباده المؤمنين فينبههم قبل فوات الأوان ويقول لرسوله صلى الله عليه وسلم : **(قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) .** فانظر أيها المسلم الى الآخرة دائما تصلح لك الدنيا ، وتصلح لك الآخرة ، ولتكن دائما مع الله ورسوله ومع هذا التنزيل من رب العالمين : **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) .**

الدعوة والدعاة

يشرف على تحرير هذا الباب

- منصور الرفاعى عبيد
- فؤاد هيبه
- على عيسى

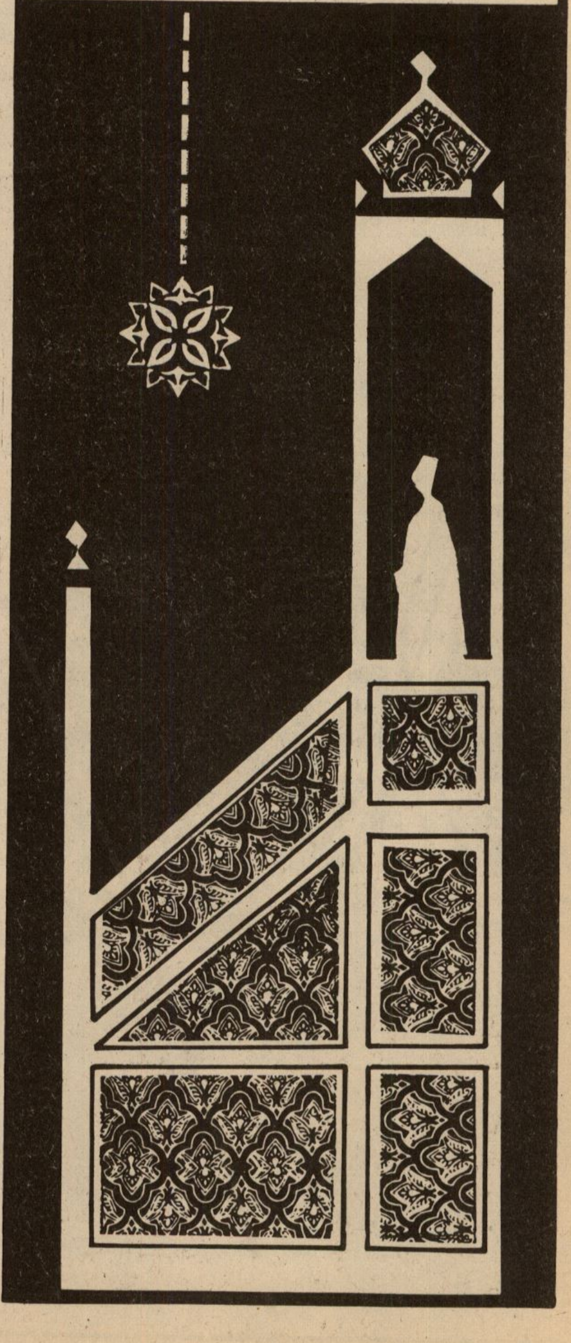

حديث إلى الأئمة

الحلال : هو المباح الذى انحلت عنه عقدة الحذر وأذن الشارع فى فعله .

الحرام : هو الأمر الذى نهى الشارع عن فعله نهيا جازما بحيث يتعرض من خالف النهى لعقوبة الله فى الآخرة وقد يتعرض لعقوبة شرعية فى الدنيا كحد السرقة وحد الزنا وحد القتل وشرب الخمر وما شاكل ذلك .

المكروه : هو ما نهى الشارع عن فعله لكنه لم يتشدد فى النهى عنه وهو أقل من الحرام فى رتبته وليس على مرتكبه عقوبة كعقوبة الحرام غير أن التمادى فيه والاستهتار به من شأنه أن يجرىء صاحبه على الحرام .

وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه .. » والاسلام قد حدد السلطة التى تملك التحليل والتحريم فهى حق الله تبارك وتعالى فلا يملك أى شخص أن يحرم تحريما دينيا على عباد الله .. لأن السلطة انتزعت من أيدى الخلق أيا كانت درجتهم فالعلماء أو الرهبان أو الكهان لا يملكون اباحة شىء حرمه الله كما لا يملكون تحريم شىء حلله الله والله تبارك وتعالى قد بين فى كتابه وعلى لسان رسوله الحلال والحرام والدين الاسلامى من مميزاته اليسر فالتشديد ليس من طبيعة الاسلام

منهج الإسلام في تربية الشباب

عالمية الإسلام

كان العالم فى حاجة ماسة الى دين ينظم شئونه ويصلح من أحواله ويسلك بالانسانية كلها فى مسلك الحق والعدل والخير والمساواة ذلك لأن الانسانية تناست دعوة الرسل السابقين الذين بعثهم الله هداة للبشرية ومشيئة الله سبحانه اقتضت أن يبعث الى كل أمة رسولا يصحح عقائدهم ويقوم ما أعوج من أخلاقهم قال تعالى « وان من أمة الا خلا فيها نذير » وحتى لا يكون لأحد من الناس حجة على الله يوم القيامة عند الحساب فى يوم الجزاء على ما قدمه كل فرد لأنه « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

ولقد كانت دعوة كل نبى من السابقين دعوة محلية وكان كل نبى اقليمى الدعوة لم يؤمر بتبليغها خارج حدود بيئته . ولهذا كان بعض الأنبياء يجتمعون مع بعضهم فى زمان واحد لأن رسالتهم محلية ودعوتهم بيئية ولكل نبى مكان معين وقوم مخصوصون .

فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد

ومضت الانسانية فترة لم يبعث الله اليهم رسولا فسادت موجة من الفساد والافساد انحرفت العقائد فترك الناس عبادة الخالق وعبدوا المخلوق بل زينت لهم شياطين الجن والانس الانحرافات العقائدية فعبدوا الشمس وسجدوا للقمر وقدسوا الحيوان والأحجار وعبدوا النار ونبذوا دعوات الرسل وراء ظهورهم والقوا ما جاؤهم به من عند الله بعيدا عن واقع المجتمع واستبدلوا بنظام التآلف نظام التباغض وتقطعت أواصر المودة وضاعت القيم الأخلاقية فكان القوى يأكل الضعيف والظالم يستبد بالمظلوم . أمام هذا الاضطراب العقائدى والاجتماعى كان العالم فى حاجة ماسة الى دين ينظم أمره ومنهاج يصلح شأنه ودين يأخذ بيد الانسانية لتتبوأ مكانها تحت الشمس تعمر الأرض وتصلح الحياة لتتحقق خلافة الله للانسان فى الأرض .

فى هذا الجو الخانق المضطرب وتلك الحالة الملتهبة التى لا يطمئن الانسان فيها على نفسه ولا يضمن الاستقرار لأسرته شاءت مشيئة الله أن ينقذ البشرية من هذه الحالة التى ظهر فيها الفساد فى البر والبحر وان يبعث النبى صاحب الدعوة العالمية والمنهج العظيم ليأخذ بيد الانسانية الحائرة ويصل بها الى بر الأمان والنجاة . اختار الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة العظيمة . قال تعالى « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وقال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) .

والمنهج الذى جاء به نبى الله والرسول الخاتم سيدنا محمد يهدف فى مضمونه الى اسعاد الجنس البشرى والسمو به والارتقاء بالانسانية فى مضمار التقدم والحضارة حتى تتمتع بنعم الله وتأكل من رزقه وخيره تسعى فى مناكب الأرض وتتجه الى الله بعملها وتوحده وتفرده بالعبادة وتعمل بشرعه ومنهاجه الذى أوحاه الله الى أنبيائه ورسله حيث جمع الشرائع السابقة فى شريعة الاسلام والكتب السماوية فى القرآن الكريم . والاسلام الذى جاء به هذا النبى العظيم وحمل لواءه حيث كلف بتبليغه الى الناس هو شرع الله الأبدى وكلمته السارية فى الوجود حمله الأنبياء السابقون ووصى كل نبى أتباعه وابناءه وأحفاده ان يتمسكوا بالاسلام ويعملوا على نشره ويموتوا على هديه حكى القرآن ذلك

فقال « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » والايمان بالله والاعتراف بربوبيته هو الفطرة الثابتة فى أعماق الانسان وهى أكرم ما فيه من خصائص فالأجدر بالانسانية الراشدة أن تجتمع على تلك الخصائص الثابتة التى يهتف بها الوجدان الانسانى وتنطق بها الفطرة النقية فأولى بالبشرية أن تجتمع على تلك المبادىء وهذه القيم وتصحح عقائدها حتى تصل نفسها بالله ربا خالقا قادرا ، وبالانسانية أخوة ومحبة وبرا ورشدا وهذا هو الاسلام الذى أتمه الله نعمة علينا .

قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) . هذا الدين الذى هو خاتم الأديان السماوية من سلك طريقا غيره واتبع أى نهج سواه لن يقبل منه ما قدم من عمل قال تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » ان الانسانية اذا تجمعت على الايمان بالله والاعتراف بربوبيته والاعتراف برسالة سيدنا محمد عندئذ تكون من حزب الله الراشد الناجح الفالح الفائز ، ذلك لأن فى الأرض حزبين لا ثالث لهما . حزب الله وحزب الشيطان . أما حزب الله فهو الذى يحمل راية التوحيد ويدعو الى حسن الصلة بالله وحسن العلاقة بالناس يحدده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن « فالاسلام الذى هو البرنامج لهذا الحزب . عبادة ومعاملة . علاقة بالخالق ومحبة للمخلوق فى هذا المعنى يقول رسول الله محمد « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وهذا الحزب يدعو الى الحق والحق دائما فى صراع مع الشر ولابد لدعوة الحق أن تنتصر اذا أخلص القائمون على الدعوة اليه قال تعالى « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا» وهذا الحزب هو الفالح الغالب « الا ان حزب الله هم المفلحون » . أما حزب الشيطان فهو الذى يحمل راية الحقد والكراهية ويزكى التنابذ والتفرق ويعمل على ازكاء روح العصبية والتعصب المقوت ويوقد نار العداوة والحرب بين الفرد والجماعة . هذا الحزب لا يهدأ له بال الا على تدمير الحضارة البشرية واراقة الدماء . هذا الحزب برنامجه « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم » واذا قيل لاحد أعضائه لا تفسد فى الأرض يقول انا مصلح بينما هو فاسد مفسد . قائد هذا الحزب هو الشيطان الذى يقول الله فى شانه « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » .

لهذا بعث الله محمدا بدعوة عالمية ليؤيد حزب الله حتى تسعد الدنيا فى جو يعمها بالخير والسلام والأمن والاستقرار قال تعالى « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » . وسيدنا محمد الذى كلف بحمل رسالة الاسلام وأمر أن يبلغها الى الناس أجمعين لو كان رجلا اقليميا وأراد أن يؤسس لنفسه امبراطورية سياسية وأن يكون هو الزعيم المرموق على قريش والقبائل المتحالفة معها لاستطاع ذلك بسهولة خاصة وأن أهل مكة عرضوا عليه هذا العرض فقالوا فى بدء الدعوة على لسان عقبة بن ربيعه « ان كنت تريد رئاسة علينا عقدنا الويتنا لك فكنت راسا علينا ما بقيت . الا أن هذا النبى العظيم لم يكن طالب زعامة ولا رئاسة بل هو مكلف من قبل السماء بدعوة الحق ليبلغها الى الناس أجمعين . قال تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ودعوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ليست بدعا فى الدعوات وانما هى دعوة النبيين السابقين وامتداد لرسالتهم وان كان هو خاتمهم فهو صلى الله عليه وسلم مصدق للكتب السماوية مؤمن بكل الأنبياء الذين حملوا مشاعل الهداية الى الأمم السابقة قال تعالى « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » فلو أن محمدا ابتدع رسالة من عند نفسه لكان قد سكت عن ذكر النبيين السابقين الا أن ذكرهم على لسانه بالاكبار والتعظيم يدل على أن رسالته عالمية شملت دعوتهم جميعا متممة لرسالتهم المحلية متضمنة لمبادىء دعواتهم وفى هذا السياق يقول الحق سبحانه « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » .

وعلى هذا الأساس بدأ النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الانسانية كلها لا يفرق بين جنس وجنس ولا يخص قبيلة دون قبيلة بل دعا الناس أجمعين . كانت دعوته « يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » ولقد طبق ذلك عمليا فى حياته فكان من خواص أصحابه .. أبو بكر العربى وصهيب الرومى . وبلال الحبشى . وسلمان الفارسى . جميع أحباش الأرض حوله بلا تمييز بل هو الذى أسند وزارة الاعلام عندما تم تنظيم المجتمع المدنى — الى بلال الحبشى فكان هو الذى يؤذن للناس اعلاما لهم بدخول الوقت . وزوج سيدتنا زينب بنت جحش الهاشمية العظيمة العربية الأصيلة لزيد بن حارثة

وهو عبد رقيق وأراد بذلك أن يمحو العصبية العمياء ويطبق المساواة بين الناس وأن يزيل من الأذهان التفاخر بالأحساب والأنساب والأجداد وفى هذا المجال **قال صوت الحق « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن من عامة المصلحين الذين يأتون البيوت من ظهورها أو يتسللون اليها من نوافذها ولم يأت لينسخ باطلا بباطل . ولكن جاء النبى صلى الله عليه وسلم بدعوة الهية ومنهاج ربانى « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم » ولقد أخذ ينشر دعوته بين الناس فى وضوح ودون مواربة أو خفاء وكان شعاره « يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا » .**

ان الاسلام تتمة لبناء عمل فيه أيدى الأنبياء جميعا الذين أقاموا صرح العدل والاخاء فى دنيا الناس وعلى تلك المبادىء وهذه الأسس قامت الدعوة المحمدية عالمية المضمون واضحة المعانى لا تكره أحد على الدخول فيها ولا تفرض تعاليمها بالقوة قال تعالى **« لا اكراه فى الدين »** ان دين الله الذى ارتضاه للعالمين تمكينا لخلافتهم فى الأرض وتيسيرا لضرورتهم التى عليها يتعايشون ووفاء بحقوقهم ورعاية لشئونهم وحماية لوحدتهم وتكريما لانسانيتهم واشاعة للحق والعدل فيما بينهم هو للانسانية بالتساوى ليس وقفا على قبيلة أو منطقة معينة قال تعالى **« يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم »** فعلى الانسانية ان تجتمع من حوله وتأخذ بمنهاجه لتضىء حياتها بمصباح السعادة وراحة البال والهدوء والاستقرار وهذا زادها فى التقدم والارتقاء ونحن اليوم وأمامنا تلك التحديات المادية التى تتجاذب أطراف العالم شرقا وغربا جلبت لسكان الأرض الشقاء والدمار والخوف وعدم الاستقرار ذلك لأن خصائص الروح غابت عن دنيا الناس والصلة بالله قلت وذهب الايمان بصفائه ونقائه من دنيا الناس . وخلاص الانسانية اليوم هو فى العودة الى الاسلام الذى هو دعوة عالمية غير محدودة المكان والزمان انها ان عادت اليه تجد فى صفاء مبادئه ما يتلاءم مع مسيرتها الراشدة وما يصلح شأنها وما ترمى اليه من حضارة وما أشبه اليوم بالبارحة الا أنه لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولا رسالة سماوية بعد الاسلام ولا كتاب بعد القرآن وكما سعدت الانسانية بالأمس فى ظل الاسلام وتعاليمه ستسعد اليوم ان رجعت اليه وطبقت شريعته والتزمت بمنهاجه قال تعالى **« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ..**

بقية مقال « حديث الى الأئمة »

للمراة لهذا كان الواجب علينا معشر الدعاة ان نوضح للناس ونبين الحكم فى هذه القضية التى زجوا بها الى عقول شبابنا ليشغلوهم عما يراد لهم وما يخطط أمامهم وينشغلوا بهذه الأمور عن القضايا الأساسية .. ان الاسلام اليوم فى حاجة الى يقظة اتباعه وصحوة معتنقيه ليكونوا على بينة بالأمر وأن يرددوا ما علمنا اياه القرآن الكريم **« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين »** ان الرفق واللين من طبيعة الاسلام فلنعالج تلك القضايا وما شاكلها بالفهم العميق والرأى الصريح والاستدلال على ما نقول من قول الله وقول رسوله الكريم وما اتفق عليه الصحابة وما اجتهد فيه علماء الأمة أو نقيس هذا على شىء شبيه له فيه نص صريح أو رأى قاطع .

ان الأمة لا تستطيع أن تتبوأ مكانها فى دنيا الناس الا اذا حرست قيمها وعقائدها وأصلت ذلك فى نفس الناشئة من أبنائها والمسجد هو مصحة العقول والمستشفى العظيم الذى يقدم العلاج للنفوس ويصف الدواء الناجع لمرضى الأخلاق ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهد أصحابه بالموعظة الحسنة والتوجيه السديد والنصح المتواصل بين الحين والحين وبالرفق والاقناع حتى لا تمل النفوس وتنفر القلوب وتبتعد عن هذا الرحاب الطاهر والجو الروحانى العميق .

ونحن الآن فى حاجة الى ان نسير على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نصحه ووعظه قلة فى الكلام وكثير من الافعال لنكون للناس قدوة.

ان موضوع المصافحة والسلام بين الرجل والمراة الاجنبية أمر علينا أن نحسمه وأن نضع له الراى من فوق المنبر مسترشدين بثلاثة أمور من كتاب ربنا :

الأمر الاول :

فى سورة النساء عند قول الله **« أو لامستم النساء »** — عند نواقض الوضوء ويراجع فى هذا ما قاله الأئمة المجتهدون فى هذا الشأن .

الأمر الثانى : عند قول الله فى سورة هود **« أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين »**

الأمر الثالث : فى سورة الممتحنة عند مبايعة النبى صلى الله عليه وسلم للنساء يراجع أسباب النزول والتفسير لكل هذا حتى تكون الفتوى واضحة وكل زميل يوضح الأمر فى بيئته لتهتدى النفوس بعد وضوح الأمر .

الحياء من الإيمان

الحياء خلق اسلامى رفيع وصفة من أعظم الصفات وفضيلة من أسمى الفضائل . رفع الرسول من شأنه وأعلى من قيمته وبين أن الخير كل الخير والفلاح والنجاح فى التحلى به والاتصاف بخلقه .فتارة يجعله الدين كله فيقول حينما سئل عن الحياء من الدين فقال: «بل هو الدين كله» ، وقال الرسول الكريم « الحياء خير كله » وفى رواية « الحياء لا يأتى الا بخير » وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار يعظ أخاه فى الحياء وكأنه يعاتبه على كثرة حيائه .فقال « دعه فان الحياء من الايمان » من هذه الأحاديث الصحيحة نعلم أن الحياء من الأخلاق الاسلامية والصفات النبوية التى يجب أن يتحلى بها المسلم .

فما هو ذلكم الحياء الذى رفع الرسول منزلته حتى جعله الدين كله وجعله من أكرم الأخلاق الاسلامية .

فضيلة الشيخ محمد ابراهيم ماضى

هو خلق تتصف به النفوس الكبيرة فيكفها عما لا يليق ولا ينبغى بالانسان الكريم رجلا أو امرأة أن يقول أو يفعل ما لا ينبغى . وهو الوازع الدينى الذى يقف بين الانسان ونوازع الشر فى نفسه . فلا تكون عنده جراة على انتهاك المحارم وارتكاب الجرائم والاعتداء على كرامات الناس والاساءة الى مشاعرهم . وقد أوصى الاسلام ابناءه بالتحلى به لأنه خلق هذا الدين وأمارته الايمان . فقال صلى الله عليه وسلم « لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء » .

والهدف من التحلى هو تزكية النفوس وتقويم الأخلاق وتهذيب الأعمال . فالحيى من الرجال والنساء لا يقدم على عمل حتى يحاسب نفسه أمحسن هو أم مسيىء . وهو مع ذلك مترفع عن الدنايا لا يضيع أوقاته فى سفاسف الأمور ولا يستغرق فى اللهو واللعب والملذات لأنه يكون حينئذ عالة على مجتمعه ولا يعد من الأحياء . قال الشاعر العربى :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الأحياء

وقد قرن الرسول بين الحياء وبين الايمان وجعل كلا منهما متوقفا على صاحبه فقال صلى الله عليه وسلم « **الحياء والايمان قرناء جميعا فاذا رفع أحدهما رفع الآخر** » لأن الانسان اذا فقد حياءه تسوء حالته ويضعف دينه وينحط الى درك الحيوانية فينتفى عنه الايمان وينغمس فى الفسوق والعصيان ويصبح فى عداد المنافقين والفساق الذين لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم . يقول صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل اذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا مقيتا ممقتا فاذا لم تلقه الا مقيتا ممقتا بغيضا مبغضا نزعت منه الأمانة فاذا نزعت منه الأمانة لم تلقه الا خائنا مخونا فاذا لم تلقه الا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة فاذا نزعت منه الرحمة لم تلقه الا رجيما معلنا فاذا لم تلقه الا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الاسلام » .

وقد يخلط بعض الناس بين الحياء وهو من اكرم الأخلاق الاسلامية واحبها عند الله وبين الجبن وضعف الشخصية وهو من احط الصفات واحقرها وابغضها لدى الله . وهذا خطأ محض تأباه العقول السليمة ولا تقره الأذواق الكريمة . اذ أن الحيى من الناس من أقوى الرجال شكيمة واشدهم بأسا فى الدفاع عن الحق والذود عن الحرمات . حرمة الدين والعرض والوطن . فلا يخشى فى الله لومة لائم ولا يحجزه حاجز ولا يمنعه مانع عن قول الحق والمجاهرة به اذا طرا له ما يعكر صفوه أو يعوق سيره لأن الاسلام يربى ابناءه على احترام الحقيقة والجهر بها مهما تحمل صاحبها فى سبيلها من أذى ما دام فى ذلك ارضاء لله عز وجل . وقد قال سيدنا أبو ذر الغفارى رضى الله عنه :« أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير . أوصانى ان اقول الحق ولو كان مرا . والا أخشى فى الله لومة لائم » .

والمجتمع الذى يحب الحقيقة وينزل على قوانينها هو المجتمع الجدير بالسيادة والعزة والنصر فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واسداء النصح لكل مسلم هو من صميم الدين وقد قال

صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة . قلنا لمن يا رسول الله . قال . لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم » فالجهر بالحق والانتصاب للدفاع عنه من صميم الحياء الذى هو خلق هذا الدين . وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يحقرن أحدكم نفسه . قالوا وكيف يحقر الانسان نفسه يا رسول الله . قال : يرى أن لله عليه ثقالا فلا يقوم به فيقول الله له يوم القيامة ما منعك أن تقول فى كذا وكذا فيقول يا رب مخافة الناس فيقول الله عز وجل فاياى كنت أحق ان تخشى » .

أما ضعيف الشخصية فهو الجبان الذى يؤثر السلامة العاجلة فلا يغضب لعرض ينتهك او كرامة تهدر او وطن يذل أو حرمة تهان أو حق يغتصب لأنه يتوهم أن اظهار غضبه لهذه الحرمات يعرضه للخطر . والمتصفون بهذا الخلق الذميم هم السفلة من الناس فلا يبالون اذا قالوا أو فعلوا أصابوا الحق أم جانبوه أرضوا ربهم أم اسخطوه اساؤا الى مشاعر المجتمع ام أحسنوا . همهم الأول والأخير هو استجابة نوازع الشر فى نفوسهم . فهم قوم أنانيون لا يتألمون ولا يغضبون الا لأنفسهم . أما المجتمع فلا يحفلون به ولا يقيمون له وزنا ولا يعنيهم أمره أو شأنه . فشتان بين الحياء وضعف الشخصية فأصحاب الحياء هم الشجعان فى ميدان الحق وهم الذادة عن الحرمات . فقد كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها . ولكنه مع ذلك كان أشد غضبا من البركان فى ثورته اذا انتهكت حرمات الله . وكان أشجع الناس فى ميدان الدفاع من الحق والذود عن الحرمات ولو كان فى ذلك سخط الناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم **« من أرضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن أسخط الله برضى الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس .. أما ضعاف النفوس فهم المنافقون وهم أجبن من الجبن اذا دعى داعى الحق أو أذن مؤذن الجهاد . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول « الحياء من الايمان والايمان فى الجنة والبذاءة فى الجفاء والجفاء فى النار ..**

والحياء الذى هو خلق الاسلام وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام على ثلاثة أوجه :

الأول : الحياء من الله لانه صاحب النعم وواهب الآلاء كلها . ويتحقق هذا النوع بالخوف من الله ومراقبته فى الأمور كلها وامتثال أوامره واتقاء محارمه والبعد عن كل ما لا يرضيه . عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « استحيوا من الله حق الحياء . قلنا . انا نستحى من الله يا رسول الله والحمد لله . قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الاخرة على الأولى . فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء . فقد بين الرسول فى هذا الحديث جمل الفضائل التى يجب أن يتحلى بها من استحيا من الله حق الحياء وذلك بحفظ الأذن عن الاستماع الى الغيبة والنميمة وغيرهما من سائر المنكرات والقبائح والموبقات وغض البصر عن النظر الى المحرمات امتثالا لقوله تعالى : **« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ... الاية » .**

وكما يكون الحياء بحفظ الأذن وغض البصر واستعمالهما فيما أمر الله به يكون ايضا بحفظ اللسان عن الخوض فى أعراض الناس حتى لايكب المرء فى النار بسبب حصائد اللسان . وقد قال الرسول الكريم..«وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم » .

ولقد سئل أبو سعيد الخراز عن معنى الحياء من الله فقال . الحياء من الله يكون فى ثلاث خصال :

الأولى : دوام احسان الله تعالى اليك مع اساءتك وتفريطك .

الثانية : أن تعلم انك بعين الله عز وجل فى منقلبك ومثواك .

الثالثة : ذكرك لوقوفك بين يدى الله عز وجل ومساءلته اياك عن الصغيرة والكبيرة .

ويكون الحياء ايضا بكف النفس عن أكل أموال الناس بالباطل وعن الانغماس فى الشهوات انغماسا يبعد بها عن درجة الانسانية الفاضلة . وفوق ذلك فالحياء يذكر صاحبه بالموت ومن تذكر الموت صغرت فى عينه الدنيا ومتاعها وزينتها فلم يخدع بها ولم يحافظ عليها محافظة تدعوه الى التهاون فى الكرامة ومن أجل ذلك كان الحياء من الايمان بل هو الايمان كله . وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يبكى فقال ما يبكيك يا رسول الله فقال الرسول الكريم .. اتانى جبريل عليه السلام فاخبرنى أن الله يستحى من شيخ شاب فى الاسلام ان يعذبه افلا يستحيى الشيخ وقد شاب فى الاسلام أن يعصى ربه » وقال بعض الحكماء (من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه) وقال آخر (حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه) وقال الشاعر الحكيم

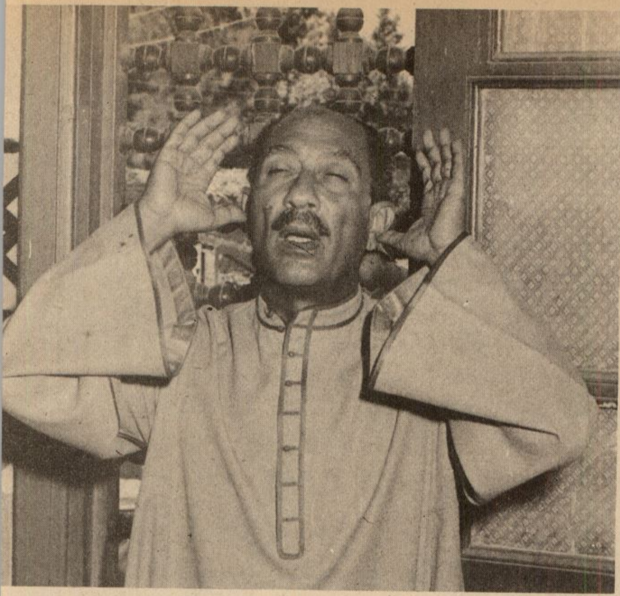

دعاء

اللهم انا نسالك ياغفور يارحيم ان تفتح لادعيتنا أبواب الاجابة .
يامن اذا سأله المضطر اجابه : يا من يقول للشىء كن فيكون .
اللهم اغفر لنا ذنوبنا وآتنا أفضل ما تؤتى عبادك الصالحين .
اللهم وفقنا للهدى واعصمنا من أسباب الجهل والردى وسلمنا من آفات النفوس فانها شر العدوى ، واجعلنا ممن أقبلت عليه فاعرض عمن سواك وخذ بأيدينا اليك وارحم تضرعنا بين يديك .
اللهم متعنا بالنظر الى وجهك الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اذا لم تخش عاقبة الليالى
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير
ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقى اللحاء

ولحاء العود قشره . وخلاصة الحياء من الله، لا يفتقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك . قال صلى الله عليه وسلم .. استح من الله استحياؤك من ذوى الهيبة من قومك » .

الثانى : حياء الانسان من الناس . ويكون بكف الأذى عنهم وترك المجاهرة بالقبيح وانزال الناس منازلهم وأن يعرف لهم حقهم فيؤتى كل ذى فضل فضله وأن يوقر الكبير ويرحم الصغير قال صلى الله عليه وسلم « ان من تقوى الله اتقاء الناس » .

الثالث : حياء الانسان من نفسه ويكون بالعفة والا يعمل الانسان فى السر عملا يستحى منه فى العلانية .

والتخلق بخلق الحياء يتطلب تربية خاصة صالحة فى البيت وفى المدرسة وفى الشركات والمؤسسات وفى المصالح والوزارات .

اما التخلق بخلق الحياء فى المنزل فواجب الأسرة بأن تربى أولادها على القدوة الصالحة والتوجيه السليم . فالوالدان هما المرآة الصافية والصورة الصادقة المشرقة التى يرى فيها الطفل نفسه . فليحذر الوالدان أن يراهما الأولاد على حالة تخالف تعاليم الدين أو تنافى الخلق الكريم لأن النشء عجينة مرنة فى يد المربين ان شاءوا جعلوا منهم ملائكة بررة أو شياطين مردة . وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

واما التخلق بخلق الحياء فى المدرسة فيكون بالأسوة الحسنة والنشأة الكريمة ودراسة تاريخ من عرفوا بالحياء والأدب الجم وما قدموه للانسانية من خير ومقارنة ذلك بما جناه السفهاء على أممهم من شر .

واما التخلق بخلق الحياء فى الشركات والمؤسسات وفى المصالح الحكومية والوزارات فيتحقق بشعور كل مواطن أن للمجتمع عليه حقوقا يجب اداؤها فيتقن أعماله ويراقب ربه ولا يضيع وقته فى سفاسف الأمور من قول أو فعل وان يجعل من ضميره رقيبا على نفسه .

وبهذا تستقيم الأمور ويعود للأمة مجدها وعزها فلن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .

التصوف والفلسفه الإسلامية

الصوفية فى إلهامهم

شهود المحبة

يعتز السادة الصوفية بمحبة الله تعالى ، وليس للمحبين مأرب فى الدنيا والآخرة الا رضاء محبوبهم ، وقد عبروا عن محبة العبد لربه سبحانه بعبارات شتى ومنها قولهم : هى الميل الدائم بالقلب الهائم ، وقولهم : هى ايثار المحبوب على جميع المصحوب ، وقولهم : هى موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب . ويقول سيدى أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه فى تعريف المحبة : هى استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك ، ويقول سيدى أبو على الروذبارى رضى الله عنه : المحبة هى الموافقة ، ويقول سيدى أبو عبدالله القرشى رضى الله عنه : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء .

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

وللمحبة آثارها وشواهدها فى المحبين ، ولهم فى ذلك كلام كثير ولكنه ينم عن مذاقاتهم العالية التى فاضت بها قلوبهم الطاهرة فعبرت عنها السنتهم ليكون لنا من فيضها شراب سائغ ، تستشفى به قلوبنا ، فاذا صحت هامت فى محبة الله كما هاموا ، واسرعنا الخطا فى الطاعات كما أسرعوا ، وجاهدنا فى الله حق جهاده ، واتقيناه سبحانه حق تقاته ، فأحبنا عز وجل كما أحببناه ، وهدانا الى سواء السبيل كما هداهم. **وفى صحيح البخارى رضى الله عنه : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ولئن استنصرنى لأنصرنه ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدله منه » . وهذا الحديث الشريف يدلنا على أن المؤمنين الأتقياء الأوفياء مؤيدون بعون الله ورعايته ، ويشهد لذلك قوله تعالى فى سورة الحج (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .**

وجاء فى رسالة سيدى الامام القشيرى رضى الله عنه : قال قوم : محبة الله تعالى للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل ، فيعود معنى محبته له على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم . وقوم قالوا : محبته للعبد من صفات فعله ، فهو احسان مخصوص يلقى الله (بفتح الهاء) العبد (بضم الدال) به ، وحالة مخصوصة يرقيه اليها . اقول وقد قال تعالى فى سورة المائدة **(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)** وهو قول كريم يدلنا على أنه سبحانه شاء أن يكون فى عباده قوم يحبهم ويحبونه وهم أهل الاسلام وهو الدين الذى لا يقبل الله من عبده سواه كما قال سبحانه فى سورة آل عمران **(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)** وقوله تعالى فى السورة ذاتها **(ان الدين عند الله الاسلام)** . غير ان اهل الاسلام من المؤمنين وان علوا قدرا بالايمان الا انهم يتفاضلون فى الدرجات بحسب تقواهم كما قال سبحانه **(ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** فجاءت الآية بصيغة أفعل التفضيل كاشفة لتفاوت الدرجات لتفاوت درجة التقوى ، ويؤيد ذلك قوله تعالى فى سورة فاطر **(ثم أورثنا**

الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فالظالم هو المقصر فى العمل بالقرآن ، والمقتصد الذى يعمل به غالب الأوقات والسابق بالخيرات هو الذى يعمل به ويضم الى العمل به تعليم المؤمنين وارشادهم الى العمل الجاد والجهاد الصادق ، وقد حكى سبحانه ما يدعو به عباد الرحمن ربهم فقال تعالى فى سورة الفرقان على لسانهم **(واجعلنا للمتقين اماما)** .

ومما نقل سيدى الامام الجليل ابو الحسن الشاذلى عن شيخه رضى الله عنهما قوله : وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ، واصل جامع لأنواع المسرات ، وحصون ذلك كله أربعة : صدق الورع ، وحسن النية ، واخلاص العمل ، وصحبة العلم ، ولا تتم لك هذه الجملة الا بصحبة أخ صالح ، أو شيخ ناصح . والسادة الصوفية يقولون : كيف يفلح من لم يخالط مفلحا . كما يقولون : كان الصحابة رضى الله عنهم ينتفعون برؤيته صلى الله عليه وسلم حتى قال أنس رضى الله عنه : ما نفضنا التراب من دفنه صلى الله عليه وسلم حتى وجدنا النقص فى قلوبنا . ويستند السادة الصوفية فى أخذ المزيد عن شيخه الى قوله تعالى فى سورة لقمان **(واتبع سبيل من أناب الى)** فى سورة الاعراف.

ويعقب سيدى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى — فى رسالة نسب الخرقة — على قول الله تعالى فى سورة الأعراف **(يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون)** فيقول فيما قال كثيرا من روائعه رضى الله عنه :

فالضرورى من اللباس الظاهر ما ستر السوءات ، وهو لباس التقوى من الوقاية ، والرياش ما يزيد على ذلك مما تقع به الزينة التى هى زينة الله التى أخرج لعباده من خزائن غيوبه ، وجعلها خالصة للمؤمنين فى الحياة الدنيا ويوم القيامة فلا يحاسبون عليها ، واذا لبسوها وتزينوا بها من غير هذه النية ، ولا هذا الحضور ، ولبسوها فخرا وخيلاء ، فتلك زينة الحياة الدنيا ، فالثوب واحد ، ويختلف الحكم عليه باختلاف المقاصد ، ثم يستطرد سيدى الشيخ الأكبر قائلا : ثم أنزل فى قلوب العباد لباس التقوى ، وهو خير لباس ، وهو على صورة لباس الظاهر سواء ، فمنه لباس ضرورى يوارى سوأة الباطن وهو تقوى المحارم مطلقا ، ومنه ما هو مثل الريش فى الظاهر ، وهو لباس مكارم الأخلاق ، مثل نوافل العبادات ، كالصفح والاصلاح ، وان كان الشارع قد اباح لك اخذ حقك ولكن تركه يزين به الرجل فى باطنه ، فهى زينة الله فى الباطن ، وهو كل لباس ندبك الله اليه ، فقد تحقق لباس الباطن أنه على صورة الظاهر شرعا ، وكما يختلف الظاهر بالمقاصد والنيات ، كذلك يختلف لباس الباطن بالنيات والمقاصد .

ويضيف مزيدا من البيان فيقول طيب الله ثراه : **فتستر سوأة الكذب بلباس الصدق ، وتستر سوأة الخيانة بلباس الأمانة ، وسوأة الغدر بلباس الوفاء ، وسوأة الرياء بخرقة الاخلاص ، وسوأة سفاسف الأخلاق بخرقة مكارم الأخلاق ، وسوأة المذام بخرقة المحامد ، وكل خلق دنى بخرقة كل خلق سنى ، والتوكل على الأكوان بالتوكل على الله ، وكفر النعمة بشكر المنعم ، ثم تزين بزينة الله من ملابس الأخلاق المحمودة .**

مثل الصمت عما لا يعنيك ، وغض البصر عما لا يحل النظر اليه ، وتفقد الجوارح بالورع، وترك سوء الظن بالناس ، وتصفح ما مضت به الأيام من أفعالك وما سطرته أقلام الكتبة الكرام عليك ، والقناعة بالموجود ، وعدم التشوف الى طلب المزيد الا من أفعال الخير — وتفقد أخلاق النفس ، ومعاهدة الاستغفار ، وقراءة القرآن ، والوقوف مع الآداب النبوية ، وتعرف أخلاق الصالحين ، والمنافسة فى الدين ، وصلة الرحم ، وتعاهد الجيران بالرفق ، وبذل العرض وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك بقوله : « الا يستطيع أحدكم أن يكون كأبى ضمضم ؟ كان اذا أصبح يقول : **اللهم انى تصدقت بعرضى على عبادك »** — اى انه مسامح من يغتابه ويتكلم فى شأنه زورا وبهتانا — .

واضاف سيدى الامام محيى الدين يقول بعد ذلك رضى الله عنه :

وسخاوة النفس وهو أن يبذلها فى قضاء حوائج الخلق ، وصنائع المعروف مع الصديق والعدو ، والتواضع ، ولين الجانب ، واحتمال الأذى ، والتغافل عن زلل الاخوان ، وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة ، ومن تقدم من الأكابر ، وترك مجالسة الغافلين ، الا أن يذكرهم أو يذكر الله فيهم ، والكف عن الخوض فى الاعتراض على آيات الله ، وترك الطعن على الملوك والمذنبين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وترك الغضب الا عند انتهاك محارم الله ، وترك الحقد والغل من الصدور ، والصفح عن المسىء ، وهو الا تغضب لنفسك ،

واقالة عثرات أهل المروءات ذوى الهنات ، والابقاء على أهل الستر ، وتعظيم العلماء وأهل الدين ، واكرام ذى الشيبة ، واكرام كريم القوم ، كانوا من كانوا ، من مسلم أو كافر ، كل ذلك على الحد المشروع مما يجوز لك أن تكرم به ذلك الشخص ، وحسن الأدب مع الله تعالى ، ومع كل أحد من حى أو ميت ، وحاضر وغائب ، ورد الغيبة عن عرض المسلم .

واياك والتصنع والتشدق ، فان كثرة الكلام يؤدى الى سقطه ، وتوقير الكبير ، والرفق بالضعيف ، والرحمة بالصغير ، وتفقد المحتاجين ومواساتهم بالبر والصلة ، وميسور القول ، والهداية ، وقرى الضيف ، وافشاء السلام ، والتحبب الى الناس على الحد المشروع .

ولا تكن لعانا ولا طعانا ولا عيابا ولا سخابا ، والنصيحة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ولا تنتظر الدوائر بأحد ، ولا تسب أحدا من عباد الله على التعيين من حى ولا ميت ، فان الحى لا تعرف ان كان كافرا بما يختم له ، وان كان مؤمنا بما يختم له ، ولا تعير أحدا من أهل الشهوات بشهواتهم ، ولا ترد الرياسة على أحد ، واياك أن تترك الناس أن يبولوا فى أذنك بنقل ما يسوءك عنك وعن غيرك .

ولتحب المؤمنين كلهم مسيئهم اليك ومحسنهم ، لحبهم الله ورسوله ، ولا تبغضهم لبغضهم اياك أو من كان غير الله ورسوله . فبهذا أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فى رؤيا رأيتها فى حق شخص وقع فى بعض شيوخى فأبغضته ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقال لى : لم أبغضت فلانا ؟ فقلت له : لبغضه ووقوعه فى شيخى ، فقال عليه الصلاة والسلام : الست **تعلم أنه يحب الله ويحبنى ؟ فقلت له : بلى ، قال : فلم لا تحبه بحبه اياى ؟ وأبغضته لبغضه شيخك ؟ فقلت له : يا رسول الله ، من الساعة فما أحسنك من معلم ، لقد نبهتنى على أمر كنت عن مثله غافلا .**

ولا تفرح بما ينتشر فى العامة من ذكرك بما تحمد وان كنت عليه ، فانك لا تدرى هل يبقى عليك أو يسلب عنك ، ولا تتميز بين المؤمنين بخلق غريب محمود يعرف منك ، الا ان كنت ممن يقتدى به ، ولا تظهر الخشوع فى ظاهرك بجمع أكتافك واطراقك الى الأرض ، الا أن تكون فى باطنك كذلك ، ولا تحب التكاثر من الدنيا . ولا تبال بجهل من جهل قدرك ، بل لا ينبغى أن يكون لنفسك عندك قدر ، ولا ترغب لانصات الناس لكلامك ، ولا تجزع من الجواب بما لا يسرك فى حقك ، واصبر للحق ومع الحق، **(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .**

وانصف من نفسك ، ولا تطلب الانصاف من احد فى حقك ، وسلم على المؤمنين ابتداء ، ورد السلام على من سلم عليك ، واياك والطعن على الأغنياء اذا بخلوا ، وعلى ابناء الدنيا اذا تنافسوا فيها ، ولا تطمع فيما فى أيديهم ، وادع للملوك وولاة الأمر ، ولا تدع عليهم وان جاروا، وجاهد نفسك وهواك ، فانه أكبر أعدائك ، ولا تكثر الجلوس فى الأسواق ولا المشى فيها ، وكف ضررك عن ائمة الدين ، وعليك بالامساك عن الخوض فى الأموات ، فانهم قد أفضوا الى ما قدموا ، وترك المراءات فى القرآن والقدر ، وترك مجالسة أهل الأهواء والبدع القادحة فى الدين .

وعليك باخراج الحرص والحسد والعجب من قلبك ، وعليك بالدخول فى الجماعة ، فان الذئب لا يأكل الا القاصية ، واياك والعجلة فى أمرك الا فى خمس : الصلاة لأول وقتها ، والحج عند وجود الاستطاعة ، وتقديم الطعام للضيف قبل الكلام ، وتجهيز الميت ، وتجهيز البكر اذا أدركت (ويضاف اليها أيضا التوبة وأداء الدين اذا حل أجله) وبذل المجهود فى نصح عباد الله من مسلم وكافر ومشرك ، وقطع أسباب الغفلة، والمحافظة على اقامة الصلوات ، وتحسين نشأتها ، والقيام على النفس بالمحاسبة ، والخروج من الجهل لطلب العلم ، وأن تستوصى بطالب العلم خيرا ، والندم على التفريط فى استعمال الخير ، والتجافى عن الشهوات ودار الغرور ، واعتقاد مقت النفس فى كل خاطر مذموم (لأن النفس فى اعتقاد أهل الله كل خاطر مذموم) ورد المظالم ، واصلاح الطعمة ، والسعى فى اصلاح ذات البين ، فان الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة ، واسقاط الريب ، والحذر الدائم ، والخشية .

والهم فى الله ، والحب والبغض فى الله ، والمودة فى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموالاة الصالحين ، وكثرة البكاء ، والتضرع الى الله تعالى ، والابتهال ليلا ونهارا، والهرب من طريق الراحات ، والتذلل فى كل حال الى الله تعالى ، ومراقبة الكمد وتنغيص العيش بالفكر فيما يتعين عليك من شكر المنعم فيما أنعم به عليك ، والقصد الى الله تعالى فى

كل حال ، والتعاون على البر والتقوى ، واجابة الداعي ، ونصرة المظلوم ، واجابة الصارخ ، واغاثة الملهوف ، وتفريج الكرب عن المكروب ، وصوم النهار ، وقيام الليل وان كان بالتهجد فهو أولى ، وذكر الموت ، وتعاهد زيارة القبور ، وألا تقول وأنت فيها هجرا .

والصلاة على الجنائز واتباعها ، ان كنت ماشيا فأمامها ، وان كنت راكبا فمن خلفها ، ومسح رءوس اليتامى ، وعيادة المرضى ، وبذل الصدقات ، ومحبة أهل الخير ، ودوام الذكر ، والمراقبة ومحاسبة النفس على أفعالها الظاهرة والباطنة ، والأنس بكلام الله ، وأخذ الحكمة من كلام كل متكلم ، بل من نظرك فى كل منظور ، والصبر على أحكام الله فانك بعينه كما قال لك **(واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا)** والايثار لأمر الله ، والتعرض لكل سبب يقرب الى الله تعالى ، واستفراغ الطاقة فى محاب الله ومراضيه ، والرضا بالقضاء ، وتلقى ما يرد من الله تعالى بالفرح ، وموالاة الحق بأن تكون معه ، فان الله مع عباده أينما كانوا ، ودر مع الحق حيث دار ، والتبرى من الباطل ، والصبر فى مواطن الامتحان ، والزهد فى الحلال ، والاشتغال بالأهم فى الوقت ، وطلب الجنة بالشوق اليها لكونها محل رؤية الحق تعالى ، ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار ، ومحادثة المساكين ، والقعود معهم فى محال فقرهم ، ومعونة من يطالبك حاله باعانته ، وسلامة الصدر ، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، وخدمة الفقراء ، وأن تكون مع الناس على نفسك ، فانك اذا كنت عليها فأنت لها ، والسرور بصلاح الأمة ، والغم بفسادها ، وتقديم من قدمه الله ورسوله ، وتأخير من أخره الله ورسوله ، فيما قدمه وفيما أخره .

فاذا لبست هذه الملابس صح لك أن تقعد فى صدور المجالس عند الله تعالى ، وتكون من أهل الصفوف الأولى . فهذه ملابس أهل التقوى التى هى خير لباس ، فاجهد أن تكون هذه ملابسك ، أو أكثرها ، فعليه الجماعة ، وعليه البس شقيق البلخى حاتم الأصم وأمثاله ، ولم يكن به صمم ، وانما كلمته امرأة ، فخرج منها صوت — يعنى ضرطت — فخجلت من الشيخ ، فقال لها وهى تحدثه : ارفعى صوتك جدا ، يظهر انه لا يسمع ، فزال خجلها ، وقالت : ما سمعنى ، فسمى لذلك حاتم الأصم . فعلى مثل هذه الأخلاق درجوا ، وهى لباسهم وحليهم، وعليها لبست والبست من ألبسته ولله الحمد على ذلك . أقول : ويعنى سيدى الامام محيى الدين بعبارته الأخيرة هذه أنه رضى الله عنه تخلق بالأخلاق الكريمة التى رباه عليها شيوخه ودعا اليها فى نصائحه المتقدمة ، وأخذها عنه وتحلى بها تلاميذه الآخذون عنه طريق المحبوبين المحبين ، رضى الله عنهم أجمعين ، ولا يفوتنا ان الله تعالى حين أثنى على أحب أحبابه وأصفى أصفيائه وسيد رسله وأنبيائه صلى الله عليه وسلم قال له فى صيغة التأكيد **(وانك لعلى خلق عظيم)** وهو خلق القرآن الكريم فقد سئلت سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت وأبدعت : كان خلقه القرآن ، أى انه صلى الله عليه وسلم ائتمر بأوامر القرآن وأمر بها أمته وانتهى بنواهى القرآن ونهى عنها أمته ، فصار وهو على قمة الأخلاق ظاهرا وباطنا غامرا للمهتدين . وقد قال تعالى : **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم »** .

والسادة الصوفية يقولون فى التمسك بالأخلاق الكريمة التى يحب الله تعالى ورسوله أن يتحلى بها عباده المؤمنون المتقون : التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى التصوف . ومعلوم أنهم عرفوا التصوف فقالوا فى تعريفه : التصوف هو ايثار الله تعالى على ما سواه طلبا لرضاه .

وذلك التعريف يدلنا على أن السادة الصوفية هم أصدق أهل المحبة بين المؤمنين . ومعلوم أن المؤمنين وان اشتركوا جميعا فى محبة الله تعالى عن ايمان بوحدانيته الا أنهم يتفاضلون فى درجات التقوى وبالتالى فى درجات المحبة .

وعند قوله تعالى فى سورة المؤمن (وهى أيضا تسمى سورة غافر) : **(رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق)** يقول سيدى الامام القشيرى فى لطائف الاشارات :

رافع الدرجات للعصاة بالنجاة ، وللمطيعين بالمثوبات ، وللأصفياء والأولياء بالكرامات ، ولذوى الحاجات بالكفايات ، وللعارفين بتنقيبهم عن جميع أنواع الارادات .

ويقال : درجات المطيعين بظواهرهم فى الجنة ، ودرجات العارفين بقلوبهم فى الدنيا ، فيرفع درجاتهم عن النظر الى الكونين دون المساكنة اليهما . وأما المحبون فيرفع درجاتهم عن أن يطلبوا فى الدنيا والعقبى شيئا غير محبوبهم .

(يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) يقول سيدى الامام القشيرى رضى الله

عنه : روح بها ضياء أبدانهم وهو سلطان العقل ، وروح بها ضياء قلوبهم ، وهو شفاء علومهم ، وروح بها ضياء أرواحهم — والذى هو للروح روح (بفتح الراء وسكون الواو) بقاؤهم بالله .

ويقال : روح هو روح الهام ، وروح هو روح اعلام ، وروح هو روح اكرام .

ويقال : روح النبوة ، وروح الرسالة ، وروح الولاية ، وروح المعرفة .

وبمناسبة ما يقوله سيدى الامام القشيرى : وأما المحبون فيرفع درجاتهم عن أن يطلبوا فى الدنيا والعقبى شيئا غير محبوبهم ، تقول السيدة المحبة الوالهة الشهيرة سيدتنا رابعة العدوية رضى الله عنها مخاطبة ربها عز وجل :

كلهم عابدوك من خوف نار
ويرون النجاة حظا جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان ويحظوا
بقصور ويشربوا السلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار حظ
أنا لا أبتغى بحبى بديلا

وكانت رضى الله عنها تقول كذلك :

ليس قصدى من الجنان نعيما
غير أنى أحبها لأراكا

وتقول سيدتى عائشة بنت سيدى الامام جعفر الصادق رضى الله عنهما :

وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لأطوفن على أهلها وأقول : وحدته فعذبنى أى انها متمسكة بتوحيد الله ولو أدخلها النار لأنها تحبه بلا علة حبا خالصا لوجهه الكريم . ويقول سيدى عمر بن الفارض سلطان العاشقين رضى الله عنه :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا
وارحم حشى بهوى لظاك تسعرا
واذا سألتك أن أراك حقيقة
فاسمح ولا تجعل جوابى لن ترى

فهو يطلب أن يرى ربه فيمن قال تعالى فى درجاتهم الرفيعة يوم القيامة **(وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)** ويرجو ألا يقول له ما قال لسيدنا موسى عليه السلام حين كلمه ربه فطلب الرؤية فى الدنيا بقوله : **(رب أرنى أنظر اليك)** فأجابه سبحانه **(لن ترانى)** وبين له جل وعلا انه لم يمنعه من الرؤية بخلا عليه بل رأفة به فقال سبحانه : **(لن ترانى ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين . قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) .**

ولا أكتم السادة القراء الأعزاء انى ما قرات هذه القصة مرة فى كتاب الله الكريم الا ازددت اعجابا واكبارا لسيدنا موسى عليه السلام لهيامه البالغ فى الله تعالى ، فقد خصه سبحانه بكلامه المباشر فلم يكتف بلذة الخطاب المقدس الذى سمعه من كل جهاته بلا حجاب ، بل ازداد بالسماع حبا ، وطلب الرؤية قربا ، وكان فى طلبه هذا صبا وأى صب ، ومجذوبا ، وأى جذب ، ويقول السادة الصوفية انه عليه السلام سكر من لذيذ الخطاب فطلب الرؤية وهو سكران ، ويضيفون قائلين : ألم تر أن الله تعالى لم يعاتبه بحرف بل علق سبحانه الرؤية على استقرار الجبل ، وكان فى الامكان أن يستقر الجبل لو أقره الله ، وهم يقولون كذلك انه عليه السلام بعد أن أفاق لم يعارض ما أراده الله من عدم الرؤية ، فلم يقل مثلا ، تجليت بأنوارك القدسية على الجبل الذى رآك فاندك من جلالك وهيبتك، فكان فى الامكان أن تتجلى على برؤيتك كما تجليت بها على الجبل ، لكنه عليه السلام سبح ربه وتاب بعد أن أفاق من صعقته ودلنا على ذلك ما حكاه الله عنه بقوله الكريم **(فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين)** فسلاه سبحانه بابراز ما أنعم به عليه بقوله تعالى **(يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) .**

ولا شك أن سيدنا موسى انما طلب الرؤية ليسكن بها شوقه الثائر الى محبوبه الذى ليس كمثله شىء . واذا كان آدمى يقول لبشر مثله فى شوقه اليه :

واستنشق الأرواح من نحو أرضكم
لعلى أراكم أو أرى من يراكمو
فأنتم حياتى ان حييت وان أمت
فياحبذا لو مت عبد هواكمو

فكيف برسول كريم من أولى العزم الكبار كسيدنا موسى عليه وعليهم جميعا صلوات الله وسلامه — لا يتطلع لرؤية ربه الأعلى ليبل الشوق الى لقائه وينال بها سعادة لا تعد لها سعادة ووصلة لا تعدلها وصلة .

العلم والإيمان

الشهيد يوسف السباعى

الشهيد يوسف السباعى

كان مصرع يوسف السباعى شهيدا بيد الغدر واللؤم والخيانة جريمة منكرة ضد الانسانية .. فما كان يوسف السباعى فى حياته العامة .. وفى عمله للأمة .. وفيما بينه وبين الناس .. الا معنى من معانى الانسانية .. وهو المعنى الذى يرتبط بضميره ووجدانه .. وتنبعث من قلبه وروحه .. ثم هو المعنى الذى يفسر به كل ما فى المجتمع وما عند الناس .. ويفهم به كل حقائق الحياة والناس ، ويكافح لابرازه حقيقة يلتقى عليها الناس فى كل الأمم والشعوب .. وتلك كانت رسالته فى أدبه وفنه .. وتفانيه فى عمله وكفاحه .. ودعوته التى عاش بها أيامه فى دنيا الناس ..

←

الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

كان يوسف السباعى عبقرى النفس .. وعبقرية النفس هى قوة الشعور بالواجب .. والايمان بالعدل والحق . ومناهضة الباطل .. وهى قلب ينبض بالخير دائما .. ونفس تفيض بالحب والصفاء .. وروح تتسامى عن الصغائر وكان عبقرى الذهن .. خصب العاطفة والاحساس .. يحور فى ذلك الى طبع فطرى .. وذكاء موروث .. ونبوغ متفوق .. افتدى به مولدا ومنبتا ونشأة منذ بداية الطريق .. وهكذا اجتمعت له عبقرية النفس .. وعبقرية الذهن والدرس .. وهما ما اجتمعتا فى شخص الا كان نموذجا انسانيا متفوقا .. لا تجده ابدا الا متوازن العواطف متزن السلوك .. فياضا بالمودة والرحمة لا تستقر نفسه ولا ترتاح الا بالاعطاء .. وتلك كانت شخصية يوسف السباعى فيما عرف الناس عنه .. وفيما خفى عن الناس منه .. وفيما يجب أن نذكره له ..

من النبع الانسانى ونبضه كان أدب يوسف السباعى وفنه فى القصة والرواية .. كان يتلمس النفس الانسانية فى كل ما يكتب .. وكان يتحرى فهم هذه النفس فى حقيقتها .. وفى واقعها الانسانى .. وكان فهمه الأصيل أن الشر عارض فى حياة الناس .. وأمر طارىء على النفس الانسانية فى فطرتها الخيرة .. ولهذا نجد فى قصصه ورواياته عطفا انسانيا لا يمل .. ودعوة الى الخير والتفاؤل .. وهذا هو السر فى انك لا تجد يوسف السباعى بأدبه وفنه الروائى محصورا فى مدرسة من تلك المدارس القصصية التى اقاموا لها الحدود والمعالم .. وانما هو كما قلت يكتب من النبع الانسانى وفيضه .. وبهذا كانت الانسانية الشاملة فى أعماقها الحقيقية وفى مظاهرها الظاهرة .. وفى اتجاهاتها الخاصة والعامة .. وفى جنباتها المتلائمة والمتنافرة .. وهو بهذا يرينا انفسنا على حقيقتها .. وما كانت أذهاننا الا معرفتنا لأنفسنا .. وتلك هى غاية الأدب والفن .. وتلك هى رسالة كل أديب وفنان أصيل ..

ومن النبع الانسانى وفيضه كانت نظرة يوسف السباعى الى كل انسان فى الحياة .. لا فرق فى ذلك بين انسان من طبقة وطبقة .. ولا بين أمة وأمة .. ولا فرق عنده بين أسود وأبيض .. وأحمر وأصفر .. كل ما يهمه هو أن تكون للانسان حقيقته الانسانية .. ولا يضنيه الا أن يكون الانسان مخذولا عن هذه الحقيقة أو مهزوما دونها .. والى جانب هذا الانسان لابد أن يقف .. وأن يكون عونه بكل ما فيه من جهد وحب وانسانية ..

هذا الشعور بالواجب الانسانى هو الذى كان يتسلط على يوسف السباعى فى كل ما يكتب .. وفى كل ما يعمل .. وبهذا الشعور بالواجب الانسانى كانت عاطفته لا تستقر أبدا الا بأن يعطى وأن يمنح من ذات نفسه .. ولهذا كان يهمه جدا أن يتبنى الأدباء الناشئين .. وان يدفعهم على الطريق .. وأن يهيىء لهم من أسباب الظهور والنجاح ما استطاع .. وكان يقول له أنه بهذا يريد أن يجنب هؤلاء الشبان من أصحاب المواهب ما عاناه فى نشأته الأدبية من قسوة ومرارة وصبر على الشوك والفناء .. وكأنهم أبناؤه يرعاهم بالموده والرحمة .. وكثيرا ما كان يجد يوسف من هؤلاء الشبان التمرد أو العقوق .. ولكنه يصر على أن يحتويهم بانسانيته .. ويقول ان الفن فى كل صوره وأساليبه انسانى .. ولابد أن يعيش فى كل ما هو انسانى .. وكل ما هو نبيل وجميل ..

وبهذه النزعة الانسانية وجد يوسف السباعى روحه وقلبه وعقله وعواطفه .. وفكره ..

ووجدانه .. فى الكفاح والنضال لحرية الشعوب المغلوبة على أمرها .. والمخذولة فى انسانيتها والمهزومة من قوى البغى والاستعمار والطغيان عن بلوغ حقيقتها الانسانية .. ومكانتها بين الأمم والشعوب .. ومن هنا كان كفاحه طوال ربع قرن فى منظمة تضامن الشعوب الأفريقية والآسيوية .. وكان صوتا جهيرا فى المرافعة عن هذه الشعوب حتى تأخذ حقوقها الانسانية .. وما يجب لها من كرامة انسانية .. حتى سقط شهيدا على منبر هذه الدعوة وفى ميدانها .. صريعا بيد الغدر واللؤم والخيانة .. ويعمل أولئك المارقين الذين كانوا بعملهم الاجرامى الشرير .. وصمة ملعونة من الانسانية على امتداد الزمن ومرور السنين ..

لم يكن مصرع يوسف فجيعة أسرة .. أو فجيعة أمة .. ولكنها فجيعة الانسانية التى عاش بها وعاش لها .. وما كل يوم تلد الحياة انسانا .. ولا ترزق الدنيا هذا الانسان الذى أكتملت فيه كل معانى الانسانية .. ولا أجتمع له هذا التلاؤم بين فكره وعقله .. وبين سلوكه وخلقه .. ان البطون ضنينة بهذا النموذج الانسانى الكامل .. ولكنها سخية بالألوف الذين لا صفة لهم فى الحياة أكثر من صفة الوجود ..

لقد كانت بشاشة الانسانية تفيض بكل معانى الحب والخير والمودة والمعروف فى وجه يوسف السباعى المتهلل دائما بالبشر .. والمنفتح دائما بالسماحة .. والمفتر دائما بالابتسامة .. وفى الكلمة الحلوة يسرها اليك فى حب وامل وتعاطف وتفاؤل .. وفى عمل لا يزرع به الشوك .. ولكنه يحصده من طريقك .. وينحيه عنك وأن ادمى أصابعك .. هكذا شأنه فى نشأته .. وهو فى

(البقيه ص ٩٠)

في ظلال الإسلام

الأستاذ عبد العظيم منصور

لمحات لا تعدو أن تكون مجرد جزئيات من رصيد تجربة أحكام الاسلام فى واقع الحياة أسوقها فى صورة متفرقات ، نحن والبشرية كلها أحوج ما تكون الى التذكير بها لعلها تنهض من الوهدة التى تردت فيها من أجل حياة حرة كريمة.

جاء الاسلام ليسقط من حسابه سالف العادات وسابق الموروثات ، ويحطم المصالح المادية الجامحة الغلابة التى لا ترعى حقا ولا تراعى حرمة ، ويبعد من ميزانه الاحساب والانساب ، ليزن الناس بموازين أعمالهم ومعرفتهم .

جاء الاسلام ليجرم ويصم ويدين المواريث غير الأخلاقية التى كانت تلتقى عليها طوائف من البشر يتجمعون من أجلها ، ويتفرقون عند افتقادها .

جاء الاسلام ليحطم احتشادات السلطة ويلغى منطق القوة ، الذى كان أساس التعامل بين الأقوياء والضعفاء ، بين السادة والعبيد ، بين الحكام والمحكومين ، بين الأغنياء والفقراء : بين الأنظمة المتصارعة والمتطاحنة ، وبين القبائل المتنازعة والمتناحرة .

جاء الاسلام ليناجى الانسانية ويخاطب الضمير البشرى فى كل مكان ، ويؤكد للناس أن البشرية من أسلافها الى أعقابها لها نسب واحد ، ولها اله واحد ، أكرمهم عند الله أتقاهم ، وأفضلهم عند الله أسبقهم للخيرات .

جاء الاسلام لاحياء معدلات الرجولة فى الانسان ، ويرتفع بها الى معدلات البطولة فطالب الانسان أن يعيش فى دائرة الواجب دائما ، وفيما هو فوق الواجب عن طريق التطوع الذاتى ليجعل للحياة قيمة ومعنى .

جاء الاسلام ليقرر أن هناك طريقا واحدا يصل الى الله .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » الأنعام .

وأن هناك نظاما واحدا يجب ان تكون له السيادة فى الأرض مع استعداد هذا النظام لبسط جناحيه على كل تجربة بشرية رائدة فيها مصلحة الانسانية ولا تتعارض مع أصوله وأحكامه .

« أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » المائدة .

وأن هناك شريعة واحدة هى الشريعة الخالدة والباقية ، فلا شريعة بعدها ولا تحلل من أحكامها تحت اى شعار ، أو بسبب اية حيلة أو اى تدبير .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » الجاثية .

وأن هناك حقا واحدا وما عداه هو الباطل ، وأن الهدى هدى الله ، وما عداه هو الضلال .

« فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون » يونس .

جاء الاسلام ليثل عرش الشيطان ، ويقيم عرش الضمير داخل النفس الانسانية ، يتابع تصرفاتها ، ويحبط تطلعاتها الى ما ليس من حقها ، ويقهرها بردها عن مطامعها واشواقها حتى تستقر على طاعة الله ، المطلع على الضمائر ، العالم بالسرائر الرقيب على أعمال العباد ، القائم على كل نفس بما كسبت .

جاء الاسلام ليقرر سلطان الله فى الأرض المتمثل فى شرائعه وأحكامه ونظامه ، المقامة على قاعدة الألوهية الواحدة ، التى تكلف بناؤها فى ضمائر الجماعة المسلمة الفترة المكية كلها من عمر الدعوة الى الاسلام ، حتى تمكنت واستغرقت شعاب النفس كلها ، وأصبحت العقيدة الاسلامية تضرب بجذورها فى أعماق الأعماق ، منها الانطلاق واليها وحدها المرجع والمآب .

وامتدت فروعها وأغصانها لتتناول الحياة كلها ، وتنظم شئون البشر الدينية والدنيوية كلها كبيرها وصغيرها ، فى عالم الشهادة البارز فى الحياة ، وفى عالم الغيب المكنون ، فى المعاملات المادية وفى أعماق الضمائر ودنيا النوايا والسرائر ، حتى تستطيع البشرية فى أطوارها المختلفة فى تقدمها تهذب العقيدة من أسرافها على نفسها ، وفى تخلفها تدفعها العقيدة الى استشعار كرامتها وتحقيق عزتها ، فتتلمس البشرية طريقها ، وتجد أمنها واستقرارها .

ولست هنا بصدد الحديث عما جاء الاسلام من أجل الوفاء به ، ولكننى أردت الاشارة الى جزئيات استحالت مع كل ما جاء به الاسلام الى شخصيات ووقائع ونماذج عملية رأتها البشرية وشهدتها وتركت آثارها فى واقع الحياة وفى أطوار التاريخ ، الأمر الذى كان ولا زال وسيظل أعظم أحداث التاريخ على الاطلاق ، أقول أردت الاشارة اليها لتكون ماثلة أمام الحاكم وهو يعمل على بعث العقيدة الاسلامية معتمدا على رصيد تجربة اسلامية شاملة وعميقة لأنها من عند الله عاشت فى ضمائر المسلمين أفرادا وجماعات ودولا كما عاشت فى حياتهم فى صورة عقيدة وخلق ونظام وعبادة وسلوك تحت الراية الوحيدة وهى راية **« لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله »** .

نحن فى عالم تتزاحم فيه المعتقدات ، وتختلف فيه الوجهات ، وتتنابذ فيه الأنظمة ، وتكثر فيه التحديات ، ويظهر فيه التشيع وتبرز العصبيات ، وتتصاعد الصراعات وتتعاظم التجمعات والتكتلات ، وتختل القيم والموازين والتصورات فتسقط هنا مرة وتتردى هناك مرات ، وتتمزق الأخلاق فتتصاعد الزفرات ، وتستعلى القوة فيطغى الأقوياء ، ويستكين ويتوارى الضعفاء من فرط ما حل ويحل بهم من امتهانات ، ومن وراء كل ذلك تقف البشرية كلها على حافة الهاوية لا بسبب افلاسها المادى ، فقد أحرزت نجاحا ماديا خطيرا ، واتساعا عمرانيا هائلا ، وتقدما علميا شاملا ، ولكن بسبب افلاسها فى عالم القيم التى يمكن أن تنمو الحياة الانسانية فى ظلالها نموا سليما ، وترتقى ترقيا صحيحا .

ان البشرية الآن أحوج ما تكون الى قيم روحية وأخلاقية ، ومعانى انسانية ، تهذب من ديانتها المادية ، وتردها عن الاندفاع القاسى وراء شهواتها أيا كانت أشكالها وألوانها ، وتشعرها بمعانى الانسانية التى يجب أن تسود بين البشر ، وتتخلى بها عن طبائع القهر والغلبة والاستبداد التى أصبحت العلامة المميزة والسمة البارزة فى التعامل بين الأمم والشعوب ، وفى العلاقات بين القوى المتصارعة ، على مستوى الأفراد ، وعلى مستوى الطبقات وعلى مستوى الأنظمة المتصارعة والمتطاحنة التى تعاورت على البشرية فى الماضى ، وتتقاسم البشرية اليوم ، ولن تجد البشرية كما سبق لها أن وجدت وجربت تلك القيم والأخلاق والسلوك الحميد الا تحت راية الاسلام.

نحن المسلمين فى أرجاء الدنيا اليوم فى حاجة الى رقابة الدين بشرائعه وتعاليمه وسننه وأحكامه وتوجيهاته وأخلاقياته من أداء الأمانة والحكم بالعدل وأداء الحقوق وذلك على كل تصرفاتنا وسلوكنا وأخلاقنا ومعاملاتنا بعد أن انسحب الدين من واقع الحياة ، من ضمير الفرد ومن ضمير الجماعة ، تحت دعاوى المرجفين والمنافقين والذين فى قلوبهم مرض ، يريدون بذلك فصل الدين عن الدنيا ، وبمعنى آخر فصل الدين عن السياسة عن جهل مطبق ، أو عن قصد خبيث .

ولو علم هؤلاء أن السياسة هى تدبير أمور أمة ، واسلامنا لم يشرعه الله الا لاخراج خير أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، تقيم العدل ، وتدفع الظلم ، وتحقق الأمن ، وتنشر السلام ، وتوفر الرخاء ، وتدعم الأخلاق ، وتربط الأرض بالسماء وترفع لواء الرحمة على مستوى الفرد والأسرة والدولة والملك وعلى مستوى الانسانية كلها .

ولقد رأت البشرية زمام قيادتها وقد تسلمته عصبة مؤمنة من الرجال الذين كان كل فرد منهم معجزة جليلة لسيد البشرية وزعيمها وقائدها محمد صلى الله عليه وسلم ، ايمانا وعقيدة ، وعملا وخلقا ، وتربية وتهذيبا ، وتزكية نفس وسمو سيرة ، وكمالا واعتدالا ، ولو تمثل الاسلام بشرا لما زاد على أن يكون كأحدهم .

وكانوا — ردا على هؤلاء المرجفين — أمثلة كاملة واقيسة تامة للدين والدنيا والجمع بينهما ، فكانوا أئمة يصلون بالناس ، وقضاة يفصلون فى قضاياهم ويحكمون بينهم بالعدل والعلم ، وآمنة أوفياء على الأموال والأعمال ، وقوادا يقودون الجيوش الزاحفة المنتصرة ، وأمراء يباشرون ادارة البلاد ، ويشرفون على تدبير أمور الدولة ، واقامة حدود الله ، وبالجملة كان الواحد منهم فى آن واحد تقيا زاهدا ، وبطلا مجاهدا ، وقاضيا فهما ، وفقيها مجتهدا ، وأميرا حازما ،

وسياسيا محنكا ، فكان الدين والسياسة يتمثلان فى شخص واحد هو شخص الخليفة وامير المؤمنين ، ومن حوله المؤمنون الاتقياء الأصفياء الانقياء العلماء ، لا يقطع أمرا دونهم ، ولا يرى رأيا من غير أن يرجع اليهم ، وهكذا قامت الدولة الاسلامية تجمع بين السلطان الدينى والدنيوى ، فلا عداء بين الروح والمادة ولا صراع بين الدين والسياسة ، ولا تفريق بين الدين والدنيا ، ولا تجاذب بين المصالح والمبادىء ، ولا تزاحم بين الأغراض والأخلاق ، ولا تناحر بين الطبقات، ولا تنافس فى الشهوات .

اشارة عابرة سقتها ، لأقول اننا فى حاجة الى رقابة الدين على كل شئوننا ، وأقول لمن يدعى لهوى فى نفسه ، وخبث فى طبعه ، بضرورة فصل الدين عن الدنيا ، ما قاله الله تبارك وتعالى :
« كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا » الكهف .

نحن المسلمين والعالم من حولنا فى حاجة الى التخلص من الاثرة البغيضة والأنانية الساقطة وقد سبق للاسلام ان اقتلع جرثومتها القاتلة من النفس الانسانية ، ليحل محلها الايثار والتضحية والفداء فى السلم والحرب على السواء .

نحن فى حاجة الى التحرر من الخوف أيا كان حجم ونوع ما يخشى ويخاف عليه ، فلا خوف على الرزق ، ولا خوف على المركز ، ولا خوف على المكانة ، ولا خوف على الحياة ، فلا خوف عموما على أية قيمة دنيوية مادية أو معنوية . ولو تناول الموت الحياة ، ما دام ذلك فى سبيل الله .

ان الانسان على مستوى العالم العربى والاسلامى ، وعلى مستوى البشرية كلها ، أيا كان مركزه ومكانته المادية أو المعنوية فى اشد الحاجة الى تحقيق معنى العزة والكرامة فى نفسه ، ولن تتحقق له عزته ، وتتوفر له كرامته الا اذا أمكن تعريفه بكلمة « التوحيد » بعد أن اهتزت حقيقة « الاله » فى نفس الانسان ، بانصرافه الى قيم الحياة المادية والمعنوية ، يسعى اليها ، ويجعلها مبلغ علمه ومنتهى أمله ، فاستذلته واستعبدته من دون الله سواء اكان هو المالك لها أو غيره الحائز لها ، فخرج عن أن يكون عبدا خالصا لله ، لأنه استسلم وانقاد لما عداه من أموال ورجال ، وهذه هى عبودية الرجال ، وتلك هى عبودية المال .

لذا فان تحقيق عزة الانسان وكرامته تقتضى تعريفه بكلمة « التوحيد » يمتلىء بها قلبه ويشهد بها لسانه ، وتصدقها جوارحه طائعة منقادة سالكة سبل ربها ذلك ، غير ناكبة عنها ، ولا باغية سواها بدلا ، فاذا شهد بها الانسان عارفا بمعناها ، وحقيقتها نفيا واثباتا ، متصفا بموجبها، دائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادتها ، قائما بحقوقها ، ومراعيا اياها حق رعايتها تحققت له عزته وكرامته ، وهو ما يحتاجه الانسان اليوم المسلم وغير المسلم .

ان البشرية اليوم فى أمس الحاجة الى استشعار معانى الانسانية التى يجب أن تسود العلاقات بين البشر أفرادا وجماعات ، أمما وشعوبا ودولا ، بعد أن دب الشقاق بين الأفراد والجماعات والأمم والدول والأجيال ، فانقلبت قوى البشر المادية والمعنوية وسائل للتدمير والتخريب والشقاء ، بدلا من أن تكون وسائل عمران ، وأسباب خير وسعادة لبنى الانسان .

ان راحة البشرية وأمنها ، لن يكون الا فى ظلال الاسلام ، ولن يقوم منهج الله فى الأرض الا اذا احتضن الحكام المسلمون الدعوة اليه واقامته ، واحياء أمة مسلمة تكون القائدة والرائدة على الطريق الى الله وصدق الله العظيم حيث يقول:

« أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » آل عمران .

(بقية مقال الشهيد يوسف السباعى)

غمار الحلبة يكافح ثم بعد أن استوى .. فكرا ناضجا .. وقصاصا بارعا .. وكاتبا مرموقا .. وشخصا له مكان فى الصدارة وذلك دليل الأصالة وعنوان الطبع الفطرى الأصيل ..

اذا كان يوسف السباعى قد سقط شهيدا برصاص الغدر والخيانة والنذالة .. واذا كان قد فارقنا بجسمه .. وغابت عنا بشاشته .. فانه حى فى ضمير الانسانية .. خالد فى وجداننا لن تموت أبدا تلك المعانى الانسانية التى رسمها واقام معالمها على طريق الحياة .. والانسانية أبقى واخلد من كيان نفسها ، هكذا كان يقول يوسف السباعى .. وتلك كانت عقيدة والده من قبله .

سيذهب الذين اغتالوا يوسف ملعونين بكل لسان .. ومن كل انسان ..

وسيبقى يوسف السباعى .. حيا بعمله ، وبفكره ، وبانسانيته .. شهيدا صديقا فى الخالدين .

مكانة القيادة من دعوات الإصلاح

كل دعوة اصلاحية ، تهدف الى تكريم الانسان ، وتأكيد حريته ، وتحقيق انسانيته . والانسان مكرم من الله بصفته انسانا ، حسبما قال تعالى : (ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

واذا استقرأنا التاريخ وجدنا أن كل دعوة اصلاحية ، أو ثورة تصحيحية انما تقوم على يد قائد ، وهبه الله سداد الرأى ، واشراق البصيرة : والشجاعة الفائقة التى تدفعه الى التضحية بكل شىء ، ولو كانت بروحه التى بين جنبيه .. هذا القائد يضع له منهاجا يسير عليه ، ويدرك مبدأه . ثم طريق مسيرته وصولا الى الغاية التى يتغياها ، ويبتغى تحقيقها ولا يقوم بدعوته وحده ، ولكن يعاونه اخوان له ، يحسون نفس احساسه ، ويحملون نفس شجاعته ، وينهضون جميعا فى تعاون كامل ، وايثار نبيل ، نحو تحقيق ما يريدون من اصلاح .

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

ودعوة الاسلام .. وهى قمة الدعوات الاصلاحية ، قامت على دعائم ثلاث :

الدعامة الأولى : والقائد الذى قاد مسيرتها ، واعلنها ثورة مدوية على الظلم والطغيان ، وانهى عبادة الانسان لانسان مثله . أو لصنم من حجر او شجر لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .. بدأ الاسلام بثلاثة : هو صلى الله عليه وسلم القائد ، ثم زوجه خديجة بنت خويلد التى كرمها ربها وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا وصب فيه ولا نصب ، لانها احترمت فى زوجها قبل بعثته تأملاته وخلواته ، وتحملت معه بعد بعثته أذى قومه له ، وقالت له فى أول يوم من تاريخ الدعوة الاسلامية : والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل . وتكسب المعدوم . وتقوى الضعيف ، وتعين على نوائب الحق .. ثم ابن عمه على ابى طالب ، الذى سارع الى اعتناق دعوة الاسلام وكان لا يزال صبيا فى عمر الزهور ، ثم كان اول النمو فى الاسلام بحر ومولى ، اما الحر فأبو بكر الصديق ، وأما المولى فزيد بن حارثة رضى الله عنهما .. ثم صار الاسلام ينمو رويدا رويدا ببطء الهموم فى سيرها ، وصبر الحر فى تجلده ، وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح ، ضيق لا يتسع ، جامد لا يلين ..

هذه القلة المؤمنة كان لها ايمان قوى يزلزل الجبال ، بل تزول الجبال ولا يزول .. لقد تعلموا من رسولهم القائد فن التضحية ، فكان الواحد منهم يضرب بالسيف فى سبيل الله فتقع ضربات السيوف على جسده فتمزقه ، فما يحسها الا وكأنها تحيات أصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه .. وكان العذاب الشديد ينزل بالواحد

منهم ليتخلى عن عقيدته ، فيأبى ، ويردد وهو تحت مطارق العذاب :

واست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

ومن هؤلاء عمار بن ياسر ، وهو من السابقين الأولين فى الاسلام ، وكان مولى لبنى مخزوم ، أسلم هو وأبوه وامه ، فكان المشركون يخرجونهم الى الجبال اذا حميت الشمس فيعذبونهم بحرها. ومر بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال : صبرا آل ياسر ، فان موعدكم الجنة ، فمات ياسر فى العذاب ، واغلظت القول زوجته سمية لأبى جهل مما دفعه الى أن يرميها بحربة كانت فى يده فسقطت شهيدة وتعتبر اول شهيدة فى الاسلام . وشددوا العذاب على عمار ، ووضعوا الصخر الأحمر على صدره ، وقالوا : لا نتركك حتى تسب محمدا أو تقول فى اللات والعزى خيرا ، وفعل ، فتركوه ، فأتى النبى يبكى ، فقال له : ما وراءك ؟ قال : شر يا رسول الله . كان الأمر كذا وكذا . قال : فكيف تجد قلبك قال : أجده مطئنا بالايمان ، فقال : يا عمار ان عادوا فعد ، فأنزل الله تعالى : (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) .

ولما اشتدت ضراوة قريش بالمستضعفين ذهب واحد منهم وهو خباب بن الأرت الى رسول الله يستنجد به ، قال خباب : فشكونا الى رسول الله وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ الا تدعو لنا ؟ فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه؛ والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت فلا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

بهذا بث الرسول القائد الثقة فى قلوب رجاله، وأفاض عليهم ما أفاضه الله عليه من أمل رحيب فى انتصار دعوة الاسلام وانتشار مبادئه، مهما تكن التحديات ، وتتوال الشدائد ، وتكثر المشقات .. وقد اتخذ المستهزئون من هذه الثقة مادة لسخريتهم وضحكهم ، كان الأسود ابن المطلب وجلساؤه اذا رأوا أصحاب النبى يتغامزون بهم ويقولون : قد جاءكم ملوك الأرض الذين سيتغلبون غدا على ملوك كسرى وقيصر .. ثم بعد هذا القول الساخر يصفرون ويصفقون ..

والرسول القائد يمضى فى طريقه ، يكسب كل يوم أنصارا جددا ، ويبث فيهم تعاليمه التى تدعو الى الحب والثقة ، ومكارم الأخلاق ، وكانت توجيهاته تنزل على قلوبهم بردا وسلاما ، فتنشرح لها الصدور ، وتفتح لها مغاليق الأفئدة وتوجههم الى الطريق الراشد ، متحملين فى سبيلها كل الوان العنت والمشقات ، ايمانا منهم بأن طريق الحرية مخاطر ، أرضه أشواك وسماؤه رعود ، ومعالمه دماء الشهداء .. ومن روائع توجيهاته التى طبقها أتباعه فى واقع حياتهم ، ما روى عن معاذ بن جبل حيث قال : **« كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت : يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال : لقد سألت عظيما ، وانه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا . وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم قرأ : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ، ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون » ثم قال :** الا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ الجهاد ، ثم قال : الا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه فقال : « تكف عليك هذا ، فقلت يا نبى الله ، وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس على وجوههم فى النار الا حصائد ألسنتهم » .

* * *

والقائد الذى يبتغى نشر دعوته . وجمع القلوب حوله هو الذى يترجم توجيهاته الى عمل، ويحول تعاليمه الى سلوك ، ويطبق على نفسه أولا كل ما يدعو اليه . فهو القدوة والمثل الأعلى ، لكن ان أصدر تعليمات لا يلتزم بها ، فهيهات أن ينفذها أتباعه ، لذا نجد القائد الناجح يطبق ما يقول ، وينفذ المبادىء التى ينادى بها .. ولقد ضرب قائدنا محمد صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الالتزام بما يدعو اليه .. حينما دعا الى الرحمة كان سيد الرحماء .. وبدأ بالرحمة للحيوان ، فكان يرفق به ويحض المسلمين على ذلك ، لقد رأى رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته أمام عينيها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أتريد أن تميتها موتا ، هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها » ومر ببعير قد لصق ظهره ببطنه من شدة الجوع ، فقال لأصحابه : « اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة » .

وما ذلك الا من فرط شفقته بهذه المخلوقات الحية ، وخوفا على أمته من أن يصيبها العذاب

اذا قست منها القلوب ، وتربية لها على الرحمة والرفق حتى تستحق رحمة الله تعالى ، كما يقول صلى الله عليه وسلم « من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء » ويقول عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن » ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

واذا كانت هذه شفقته بالحيوان فانه صلى الله عليه وسلم كان بالضعفاء من الناس أشفق وأرحم ، فعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال : كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى ، اعلم أبا مسعود ، فلم أسمع الصوت من الغضب ، فلما دنا منى اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يقول : اعلم أبا مسعود أن الله تعالى أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت : لا أضرب مملوكا بعده أبدا . .

واليتيم والأرملة والمسكين أكثر الناس عرضة للضياع فى زحمة الحياة ، فكانوا أشدهم حاجة الى الرحمة والحنان ، ولهذا يوصى بهم الرسول كثيرا ، ويبسط عليهم جناحه الرحيم فيقول : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين » .. مشيرا باصبعيه : السبابة والوسطى . ويقول: « ان أحب البيوت الى الله بيت فيه يتيم مكرم » ويقول : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ، وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار » .

ويرسم لنا تاريخه المشرق بالنور هذه الصورة المضيئة للعطف والرحمة والسمو الانسانى . ذات يوم أرسل خادما له فى حاجة قريبة ، فغاب الخادم نصف اليوم أو قرابة ذلك، وأخذ الرسول ما يأخذ كرام الناس من الغيظ الكريم ، ويظن من يراه أنه سينزل بالغلام حينما يعود أشد ألوان العقاب ، دعا الغلام ، فبماذا عاقبه الرسول ؟ انه يلوح فى وجهه بالسواك ، وهو يقول : لولا خوف القصاص من الله لأوجعتك ضربا بهذا السواك » ومعلوم أن السواك فى حجم أصبع اليد ولو ضرب به طفل رضيع ما تأثر به ، ولكن هى الرحمة الكاملة التى طبقها الرسول فى حياته ، والتى كثيرا ما دعا اليها متبعيه ، وبهذا كان القائد الذى طبق تعاليمه سلوكا واقعا ، والذى حقق ما وصفه به ربه فى قوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .. ومع القائد تكون الدعامة الثانية ، وهى المنهاج الذى يسير عليه. فالى الحديث القادم بمشيئة الله .

بمناسبة

المولد النبوى الشريف

يسرنا أن نشارك العالم الإسلامى والعربى فرحته بهذه المناسبة الكريمة سائلين الله سبحانه وتعالى أن يعز الإسلام وينصر المسلمين ويؤيد بنصره رئيسنا المؤمن

السيد
محمد أنور السادات

العاملون
بالشركة الشرقية "ايسترن كومبانى"

الحقيقة واحـــدة والجـدل عقيـم !

الأستاذ علي عبد الهادي

حول الجبرية والاختيار ، ثار جـدل طويل وعقيم امتص من حياة الأمة الاسلامية أمدا غير قصير — ساعدت عليه بطالة العقل ونفخت فيه بطالة الروح ثم أفلاس العقل والروح معا من قدرة واعية على ممارسة فكر مثمـر وعرض رأى سديد .. فكانت الترهات التى تخدر بها العقل حتى تثاءب واسترخى ، وكانت الأباطيل التى تغذى عليها الروح حتى تعطل وانطفأ . وترتب على ذلك كله تخلف تاريخى زحف على المسلمين ، ولا نقول على الاسلام .

ولسنا — هنا — نبكى على اللبن المسكوب .

انمـــا نحن نتدارك ما فاتنا ومـــا فوته على الاسلام وعلينا جمهور من أدعياء العقيـــدة ، ربما يكون من أعدائها . ولفيف من الدخلاء على الشريعة ، ربما يكون دعوة عليها وليس دعوة لهـــا .! فالقضية كلها موصولة بنور ، والنور لا يصادق الظلام . ومرتبطة بحق ، والحق لا يزامله باطل . وقائمة على منطق ، والمنطق السليم **يبرأ تماما من غيبوبة العقل وانتفاضة** الأوهام . ثم ان القضية — فوق ذلك — حصيلة شريعة الهية باقية ، لا يجوز أن يتناولها بالتحليل

الأوهام . ثم ان القضية — فوق ذلك — حصيلة شريعة الهية باقية ، لا يجوز أن يتناولها بالتحليل
او التحوير تشريع يبتدعه أحمق أو يقرره جاهل .

وقد تصدى الأئمة والرواد منذ فجر الاســلام ومنذ ضحاه لمواكب الظلام والباطل والأوهـام المنتفضـة — التى انتهزت واغتنمت واستغلت غيبـوبة العقل ، فسكنته حتى أسكتته . وكان جهادهم من أجل العقيدة ثم اجتهادهم فى سبيلها ، نقطة تحول هامة فى اعادة الفكر الاسلامى الى فلكه ومداره . وفى تأمينه ضد بطالة العقـل وبطالة الروح ، وما يتوالد من هاتين البطالتين — ولا نقول البطولتين — من أباطيل وخرافات.

وعلى مشارف العصر الحـديث الذى بدأ بحساب التاريخ قبل قرنين من الزمن ، بدأ الجهاد يكتمل وكذلك الاجتهاد .. فعرفت مصر وعرف الشرق وعرف العالم الاسلامى رائد المصلحين وامامهم الأستاذ الشيخ محمد عبده — رضى الله عنه — كان هو فارس الميدان ، ذرعه وقطعـه بشجاعة المؤمن وحماسة المصلح الذى يتسلح فى جهاده واجتهـــاده بالنور والحق واليقين ، وبوعى الروح ويقظة العقل . فلم يفلت من زمامه أو قيادته عقل ولا روح . ولم يصطدع فى ميدانه باطل وحق ..

يقول الأستاذ الامام محمد عبده :

ان الجبرية والاختيار — فى الاسلام — حقيقة تتحدث عن نفسها . ولأنهما حقيقة ، فهما فى غير حاجة الى جماعات تتداولهما أو تتناولهما أو تعرض لهما بالسفسطة والمهاترات . ثم تجعل من الحقيقة قضية . وبعد ذلك تضيع من القضية مشـــكلة ..

لقد سور الله تبارك وتعالى هذه الحقيقـة بعناصر ثلاثة تقضى وتقرر أن الانسان مسير فى أمور رئيسية ثلاثة :

- **مسير فى خلقه .**
- **مسير فى رزقه .**
- **مسير فى أجله .**

ففى القرآن الكريم ، يقول ربنـــا سبحانه : « ان الله عنده علم الساعة . وينزل الغيث . ويعلم ما فى الأرحام . وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا . وما تدرى نفس بأى أرض تموت » .

وفى الذكر الحكيم ، يقول ربنا الواحد :

« هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ».
« يرزق من يشاء بغير حساب » .
« فاذا جـاء أجلهـم لا يستاخرون ســاعة ولا يستقدمون» .

ويستطرد الأستاذ الامام محمد عبده — رضى الله عنه — فى غربلة حقيقة الجبرية والاختيار مما علاها خلال عصر الضعف والانحلال من نفايات الفكر ومن فضلاته التى توارثها عامة المسلمين قعدوا معلقين فوق أرض عارية وتحت سماء واقية .!

هكذا .. الحقيقة واحدة ، رغم ما تعرضت له من جدل عقيم أثارته عنها وحولها ألسنة الجهلاء والحمقى .

هكذا .. الصورة مشرقة ، رغم أنوف الفرق الاسلامية التى تشعبت وتناثرت فى حيوات الفراغ العقلى والنفسى مستهدفة تبرئة الانسان من كل خطأ ومن كل خطيئة — بدعوى أن الانسان مسير .

وفى نقاش موضوعى هادىء ، نلتقى اليوم — ومن فوق « منبر الاسلام » مع فلول هذه الألسنة ومع خلفاء هذه الفرق المتشعبة والمتناثر فوق بساط مبلل بالبترول كاد أن يشتعل فيأتى عليهم جميعا ..

بالكلمة الطيبة ، نلتقى .

وعلى الكلمة الطيبة ، نتلاقى ..

من العناصر الرئيسية الثلاثة التى تحدد اطار حقيقة الجبرية والاختيار ، تتشكل فرعيات كثيرة وكبيرة — هى فى جملتها ضالة العقل وضلاله . وهى على شمولها جراح الروح وترياقه .

وهى رغم تقابلها وجلائها ووضوحها وصمة الفكر وصمامه . !

— فعلى سبيل المثال — وليس الحصر — تقرر الحقيقة :

● الانسان مسير فى خلقه ..

ان خلق الجنين من الماء الدافق هى صناعة الله وحده ذكرا كان أو أنثى أما المهد الذى يستقبل الوليد الى الغذاء الذى ينمو به المولود . ومن البيت الذى ينشأ فيه الطفل الى المرتع الذى يلعب فيه الصبى ، ومن التربية التى يتزود بها الشباب الى الصورة التى يكتمل عليها الرجال .. فنحن مسئولون عنها ..

فبأى منطق ، نجعل حياتنا الخاصة والعامة — وهى من صنع سلوكنا — قفص اتهام ، نحاكم فيه عظمة الكون وعطاء خالقه الأعلى .. بينما نبرىء دناءة الكائن الذى شرفه به بالخلافة فى الأرض ، فدنس الشرف وتنازل عن الخلافة — بارادته ؟

— وعلى سبيل المثال ، وليس الحصر — أيضا — تقرر الحقيقة :

● الانسان مسير فى رزقه ..

ومن البديهيات ، أن الرزق ليس حقا لتنبل وليس وقفا على كسول يفترش أرضا عارية ثم يستمطر السماء ظنا منه بان السماء تبعزق أمواهها على مدمنى التسكع فى أزقة الحياة ، وبانها — أى السماء — مظلة لهم واقية تبارك رغبة النفس عن الكفاح الشريف وتزكى منهاج قيم الدين ، ثم يتوهم هو — ومن على شاكلته من أقران وأتراب — أنهم جميعا لله أبناء .. يسألونه ، بغير حق ، فيلبى . وينادونه ، فى غير أدب ، فيجيب . ويطرقون بابه ، بكل صفاقة ، فيفتح لهم الأبواب .!

أبدا .. أيها السادة المتواكلون المفلسون :

فالأرزاق ليست دولة يتوارثها تنبل عن قعيد . وليست عملة خاصة تضربونها أنتم فتروج فى أسواقكم التى لا يرتادها مكافح شريف ولا يقصدها انسان يحترم ذاته . ودعواكم فى هذا السلوك الشائن المعيب أنكم للحياة زائرون بغير ارادة ، وبالتالى تسقطون الارادة من كل تقدير وكل حساب **ومن ثم ، فأنتم — كما ترون أنفسكم — أكبر وأقوم وأعلى** من شريعة الحساب على الارادة .!

الأصل فى الرزق ، أنه حق يسبقه واجب . واللبنة الأولى فى الرزق ، أنها حصاد لا يجمع من عدم ..

والأساس فى الرزق ، أنه نتيجة تتوالد من سبب ..

ومن هنا :

فلا حق بغير واجب .

ولا حصاد يأتى من عدم .

ولا نتيجة بغير أسباب لها ومقدمات ..

فاسألوا أنفسكم — أيها المتواكلون المفلسون — قبل أن تحاكموا الله . !

وحاكموا أنفسكم — يا أعداء أنفسكم — قبل أن تحاكموا الله . !

— وعلى سبيل المثال ، وليس الحصر — كذلك — تقرر الحقيقة :

● الانسان مسير فى أجله ..

ومن الحقائق الأولية أن الأجل هو المدة الزمنية التى يستغرقها الانسان فى رحلته التقليدية المتوارثة بين الشاطئين ، بين شاطىء منظور يولد عليه وبين شاطىء غير منظور يعبر اليه . وأنه ـ أى الانسان ـ خلال هذه الرحلة أو المرحلة فى حياة الكونيات يتحمل مسئولية تامة وكاملة عن عبء الطريق وعن نوع الطريقة التى يستهلك بها أيامه المحدودة والمعدودة . لكنه عجول وجهول وعنيد . فاذا ألقى نفسه بيديه الى التهلكة ، راح يسائل الأقدار ويحاسبها . واذا أسرف فى ابتزاز المنابع والعيون ثم حوسب أو حوكم ، بدأ يساجل السماء ويحاكم الاله . واذا أهدر قيمه الانسانية فأردى حياة قرينه أو سفح رزق صنوه ثم زحف القصاص عليه ، ثار وهب على بديع السماوات والأرض ، وكأن الله سبحانه وتعالى (شماعة) يعلق فوقها أخطاءه وأوزاره وخطاياه .!

وهنا تبرز أهمية التعاون المنظم بين المباحث الدينية التى حددت الجبرية والاختيار فى عناصرها الثلاثة وبين الدراسات الاجتماعية التى أخفقت فى الارتفاع بالانسان من وهدة الانحراف والتردى الى مغالطات فكرية يحاول أن يرفع بها عن نفسه كل التبعات ، وكأنما **رسالته أن يستحلب كل حق ثم لا يفذى أى واجب !**

وقد عرض المنصفون من رواد علم الاجتماع وبين الاخفاق المعيب الذى انتهت اليه الدراسات الاجتماعية فى هذا المضمار ، فقرروا أن الآفة كلها أن أبناء آدم القوا كل المسئولية عن كواهلهم ثم أوغلوا فى اتهام الدين والدنيا معا بذنوبهم . وليست هذه الآفة العصرية خلوا من اسبابها التى برئت منها وسلمت تلك العصور السابقة عليها ، فان العصر الحاضر قد ورث هو الآخر هذه الأسباب ثم استنام اليها واسترخى ، فلم ينج أو يبرأ من جرائرها ..

تعالوا الينا ـ أيها السادة ـ ولا تتعالوا علينا .. نناقش واحدة من أبسط القضايا وايسرها فى حياة النوع الانسانى :

● تصوروا معنا أن بحرا من البحار كثرت فيه السفن الغرقى فاحتواها قاعه المظلم ، ثم ذهب الخبراء يدرسون هذه الظاهرة وقنعوا فى بحثهم بحديث ابتر عن الأعاصير والدوامات المائية وعن الصخور النائمة فى قلب الأمواه ـ ثم القوا على كل أولئك مسئولية الغرق وتبعة السفن المفقودة .

هل ترون فى هذا التقرير تعزية عادلة او شفاعة مقبولة عما حدث .. ويحدث ؟

كان لازما على الخبراء والباحثين وهم يناقشون القضية أن يذكروا لنا شيئا عن ربابنة هذه السفن ومدى قدرتهم على العمل والتزامهم به وأمانتهم عليه . وكان لزاما أن يضمنوا تقريرهم ـ ولو بعض شىء ـ عن العيوب التى تتعرض لها صناعة السفن ، وعن نوع الوقود الذى تسير به ، وعن قدر الحمولة التى تنقلها بين الموانىء .. هل يوافق كل أولئك ويتفق مع مواصفات السفينة ، أم أنها كلها عيوب تسجد لها العيون و « سبهلله » يدين بها العاملون ؟!

حقيقة واحدة وصواب واحد ..

والأخطاء كثيرة : فالناس ينتظرون كل شىء من الله حتى الشهوات ، فاذا ابتلوا بالعذاب والمحنة فليس الذنب عليهم .. لكنهم يحيلونه على المقادير . وهذا السلوك فى جملته هو آفة الحقوق من بقايا العصر الماضى حين كان يحق للانسان الخاطىء كل شىء ، فى نظر نفسه . ثم لا يحق لله جل جلاله شىء فى تصريف المقادير !

خلاصة القول : لا صواب فى الايمان بالحق وحده ، ولا صواب فى الايمان بالواجب وحده .

فأين الصواب بين النقيضين ؟

الصواب بينهما .. أن نؤمن بالمسئولية الشخصية ، وأن نربى الناشئين على الايمان بها ـ لأنها هى قوام كل الحقوق والواجبات .

وحسبنا فى نهاية المطاف ، قول الله تبارك وتعالى :

« بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو القى معاذيره » . وصدق الله العظيم ..

من

ملامح وأخلاق مجتمع العلم والإيمان

فضيلة الشيخ
مصطفى عبد الحليم الجندي

هذه الحلقة فى هـذه السلسلة الطويلة من الحديث عن ملامح وأخلاق مجتمع العلم والايمان كما كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وسلف الأمة الصالح ... وكما يجب أن تكون فى مجتمعنا المعاصر الجديد سوف تكون قاصرة اليـوم على جانب هام من الجوانب التى تمس حياة الناس وترتبط بصميم مشاكلهم وجوهر حياتهم اليومية — وهو الحديث عن الوظيفة ، والموظف فى مجتمع الايمـان ، وسوف ندعم هـذا الحديث بالوقائع التاريخية التى تؤكد حقيقـة وضـع الموظف .. وتبعات الوظيفة ووضعيتها فى مجتمع العلم والايمان كما كانت على عهد الرسول وأصحابه وسلف الأمة .. وكما يجب أن تكون فى مجتمعنا المعاصر الذى حمل قائده لواء قيام دولة العلم والايمان ... وبعث مجتمعها من جديد ..

أقول : لم تكن الوظيفة أو الموظف فى مجتمع الايمان تجعل لصاحبها فضلا على أفراد المجتمع تورثه كبرا أو جنفا أو تعاليا على النـاس ، أو تطاولا عليهم أو افتياتا على حقوقهم أو هضما لشىء فيها بل كانت تعنى مزيدا من المسئولية حيال النفس وحيال الغير ، واحساسا بالأمانة وثقل التبعة ازاء الناس وحيال المجتمع الذى يعيش بين أفراده ، ويتمتع بخيراته وثمراته ، وينعم ويسعد بالانتماء اليه .

واذا كان بعض الموظفين ممن لهـم صـلة ماسة بالجمهور فى مواقع شتى من مجتمعاتنا يخطئـون فهم وضـعهم ، وفهم علاقتهم به ، ويصطنعون لأنفسهم سلطة ليست لهم ويسيئون استعمالها ، فان على كل منهم أن يسأل نفسه هذه الأسئلة ، وان يحاول أن يجيب عليها دون مـكابرة :

من أين يأخذ مرتبه وأجره الذى يقتات منه ، ويعيش به ؟
ومن الذى وضعه فى المكان الذى هو فيه ؟
ومن الذى أعطاه هذه السلطة التى له ؟
ذلك أنه ان حاول أن يجيب عليها فى صدق . ودون عناد أو مكابرة لكانت اجابته حتما :

هى : أنه يأخذ مرتبه من أفراد المجتمع ومن جمهور الناس وآحادهم ، ومن دافعى الضرائب التى تتكون منها ومن غيرها موارد خزانة الدولة التى تدفع له المرتب وتعطيه الأجر على أدائه لعمله المنوط به .

وأن هذا الجمهور نفسه الذى يتمثل فى آحاد مجتمع الايمان هو الذى وضعـه حيث هو فى موضعه . وأن الجمهور لا يعطيه مرتبه ووظيفته

فحسب . بل ويعطيه أيضا ما أعطى من سلطة. ولكن لماذا أعطاه هذا كله ؟ والجواب :
لقد أعطاه هذا كله لكى يكون فى خدمته ، يرعى شئونه ويدبر أمره ، فالسلطة التى له ليست سلطة لذاته ، ولكنها سلطة من أجل خدمة المجتمع الذى يعمل لحسابه ووظف من أجله .

ويترتب على كل هذه الحقائق الواضحة والمسلم بها ، والتى ينساها بعض الموظفين فى مجتمعاتنا المعاصرة : أن الموظف فى خاصة نفسه ، وحقيقة أمره ، ان هو الا خادم للجمهور، أمين على مصالح المجتمع ، ومسئوليات الوظيفة التى جعلت على عاتقه ، ووضعت أمانتها فى عنقه ، عليه أن يرعاها وأن يقوم على أمرها أداء وحفظا ، وبالتالى أن يكون متخلقا بأخلاق الايمان ، وأن يكون مؤدبا فى معاملة الناس ، وأن يكون وقته كله لخدمتهم .. ولا ينسى أنه مستأجر لحسابهم .. وأن من أخذ الأجر حاسبه الله على العمل ، وأن تكون سلطته التى ينعم بمميزاتها للمجتمع وأفراده أيضا دون أن يستأثر بها لنفسه . أو لمصالحه أو مصالح من يلوذون به أو ينتمون اليه بأية صلة أو آصرة .

وأن يفهم ذلك الموظف المستأجر لخدمة مجتمع الايمان المنشود : أنه اذا أساء معاملة الناس كان مسيئا للأدب ، وأنه اذا شغل أوقاته فى غير مصلحة هذا المجتمع الذى يعمل لحسابه كان مختلسا وسارقا لما ليس له ، بل كان غير أمين على ما عهد اليه من عمل ، ونيط بعنقه من أمانة . وأنه اذا استخدم سلطته فى الاثراء على حساب الغير كان مستحقا للمساءلة والعقاب بل كان مستوجبا للعزل ..

هذه الحدود لابد ان يلتزمها كل موظف عهد اليه فى مجتمع الايمان بأمانة ومسئولية عمل من الأعمال ، ولابد وأن يحاسبه الجمهور عليها ، ومن حق الجمهور أن يفعل ، بل ومن واجبه أن يفعل .. ولكن قد تبتلى المجتمعات ببعض العناصر والنماذج من الناس الذين يؤثرون فى سبيل قضاء مصالحهم الاغضاء عن كثير من حقوقهم ، والاسراف فى التملق المرزول للموظفين واشعارهم انهم فى مرتبة أرقى من الجمهور والجمهور هو الأدنى .

وهذا الخطأ المتكرر والذى قد يقع فيه بعض المواطنين فى مجتمعاتهم يجعل بعض الموظفين يسرفون فى تعاليهم ويحسبون فعلا انهم الأعلى ، والا حسيب عليهم من الجمهور ، أو من أحد من الناس : كائنا من كان .. والصحيح : انه مع وجود أجهزة الرقابة والمتابعة والمحاكمة فان الجمهور هو الرقيب الأول ، وهو صاحب المصلحة الأولى ، وفى استطاعته باستمساكه بحقه رد الموظفين الى ما ينبغى عليهم من سلوك ، ووضعهم فى حجمهم ومكانهم الطبيعى مجرد خدام لأفراد المجتمع ، وفى الوقت نفسه أولياء على مصالحه وأموره يصرفون أمره بأمانة المسئولية ، استشعار رقابة الله تعالى عليهم ، ومساءلتهم بين يديه عن تبعاتها يوم لقائه .

لقد كان الاسلام ولا يزال واضحا وحاسما فيما يتعلق برقابة خلق وسلوك الموظفين فى مجتمعات الايمان ، والضرب على أيدى المنحرفين منهم ، وأخذهم بالشدة التى تحقق لمجتمعات الايمان الخير والأمن والعيش فى طمأنينة وسلام .

فحرم الاسلام فيما حرم استغلال النفوذ والسلطان فى منفعة الموظف الشخصية له أو لمن ينتمى اليه من أهله وقرابته ، كما حرم الاسلام استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال ، وحرم امتلاك ما يأتى عن هذا الطريق ، ولو جاء فى صورة هدايا ، وأجاز لولى الأمر ، بل أوجب عليه اعمالا للنصوص والوقائع التاريخية مصادرة مثل هذا المال واستيلاء بيت المال عليه لانفاقه فى المصالح العامة للمسلمين وعلى ذوى الحاجات منهم . اى نقل ملكيته من الملكية الفردية الى الملكية الجماعية . فالاسلام بحق : هو أول تشريع سن قانون الكسب غير المشروع أو قانون من اين لك هذا ؟ وأول من طبق هذه المبادىء الجليلة والحاسمة فى ضبط مجتمعات الايمان خلقا وسلوكا ومعاملة ورقابة على أولياء الأمور وولاة الأمصار وأرباب الوظائف : رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقد روى البخارى فى صحيحه أنه أقبل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية (وهو رجل من بنى لتب من الأزد ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم) قد استعمله على الصدقة اى لجمع الزكاة من الناس) فقسم الرجل ما معه قسمين وقال للنبى صلى الله عليه وسلم هذا لكم وهذه هدايا أهديت الى ، فظهر الغضب فى وجه النبى عليه السلام ، وقام وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ! فانى استعمل رجالا منكم فى أمور مما ولانى الله ، فيأتى أحدكم فيقول : هذا لكم وهذه هدايا أهديت الى ، فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينتظر ايهدى اليه ام لا ؟ ! والذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منه شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته اي أن ما جاء اليه من هدايا لم يهد اليه لشخصه، بل أهدى اليه لوظيفته وعن طريق استغلال النفوذ ، ثم صادر جميع الهدايا التى أهديت الى ابن اللتبية وضمها الى بيت المال .

وطبق هذه المبادىء نفسها وعلى نطاق واسع

بعد عهد الرسول وابى بكر (عمر بن الخطاب) فى ايام خلافته فكان يصادر ما كان يكسبه الولاة من أعمال لا يجوز لهم الاشتغال بها : كالتجارة وغيرها ، وكان يصادر كذلك ما كان يأتيهم من هدايا وأموال نتيجة لاستغلال نفوذهم وجاههم ، فعل ذلك مع ولاته على البصرة وفعله (مع ابى هريرة رضى الله عنه) عامله على البحرين ، ومع (عمرو بن العاص) واليه على مصر بل فعله مع ابنه (عبد الله بن عمر) نفسه ولم يكتف — عمر — بسياسة المصادرة هذه لمن عجزوا عن اثبات موارد ثرواتهم بل اتبع أيضا سياسة المشاطرة لمن استطاعوا اثبات مصادر هذه الثروات ، أو تعللوا فى اثبات مصادرها بعلل لم يقبلها منطق عمر رضى الله عنه .

ولم ينته أمر الولاة على الأمصار وارباب الوظائف فى مجتمع الايمان على عهد الرسول وسلف الأمة عند هذا الحد .. بل كان عمر بالذات (رغم اسلوبه الخاص فى اختيار ولاته وعماله وموظفيه الذى يجمع أقصى غايات الحذر والدقة والاناه) .. ذلك أنه كان يؤمن أن أى خطأ يرتكبه وال فى أقصى الأرض سيسأل الله عنه اثنين : عمر أولا .. وصاحب الخطأ ثانيا .. مع هذه الدقة الدقيقة فى الاختيار ، ومع هذه المعايير الحاسمة فى تقييمه للناس وفى اختياره للعمال والولاة .. فقد كان عمر لهم جميعا بالمرصاد يرقب تصرفاتهم ، ويرصد سلوكهم ، ويستمع الى شكاوى الناس فيهم وربما حققها بنفسه ليرصد حجم فراسته فى الناس ، ودقة معاييره فى الحكم على أشخاصهم وتقدير صلاحيتهم ، ولقد كان من النماذج التى سيقت لعمر لتعمل له (سعيد بن عامر) ولاه عمر امارة حمص ..وسعيد يتأففمنها ويعتذر عنها ويقول: أسألك بالله يا أمير المؤمنين الا تفتنى .. فيصيح عمر بهذا الزاهد العظيم قائلا : (والله لا أدعك : أتضعون أمانتكم وخلافتكم فى عنقى ثم تتركوننى؟) واقتنع (سعيد بن عامر) بمنطق عمر فقد كانت كلمات عمر رضى الله عنه حرية بهذا الاقتناع ..

ورغم حب أهل حمص لسعيد .. ورغم تأكد عمر من ذلك ، الا انه على عادته فى تفقد أحوال الرعية سأل أهل حمص حين زارهم ذات يوم فى جمع حاشد هذا السؤال : ما تقولون فى سعيد ؟ وتقدم البعض يشكون منه ، وكانت شكوى مباركة فقد كانت فتحا عظيما يكشف عن عناصر الولاة والعمال وارباب الوظائف فى مجتمع الايمان فى عصر السلف الأول .. نحن بحاجة الى نفحة من بركاته ، وقبس من اضوائه فى حياتنا المعاصرة .. اقول : لقد كانت شكوى مباركة كشفت عن جانب من عظمة الرجل ، عجيب جد عجيب ..

وطلب عمر من الزمرة الشاكية أن تسرد نقاط شكواها ، وتعددها واحدة بعد واحدة .. فنهض احدهم يتحدث بلسان جمعهم : وعمر وسعيد يستمعان .. فقال : نشكو منه أربعا ..

- لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار .
- ولا يجيب أحدا بليل .
- وله فى الشهر يومان لا يخرج فيهما الينا ولا نراه ..
- واخرى لا حيلة له فيها ولكنها تضايقنا ، وهى أنه تأخذه الغشية — اى الاغماء — بين الحين والحين .

وجلس الرجل الذى كان يتحدث بلسان الزمرة الشاكية .. وأطرق عمر مليا .. وابتهل الى الله همسا وهو يقول : اللهم انى أعرفه من خير عبادك .. اللهم لا تخيب فيه فراستى .. ثم دعا سعيد للدفاع عن نفسه .. وليرد على ما يشكو منه الناس واحدة .. واحدة ..

فقام سعيد فقال : أما قولهم : انى لا أخرج اليهم حتى يتعالى النهار ..

فوالله لقد كنت أكره ذكر السبب .. انه ليس لأهلى خادم ، فأنا أعجن عجينى ، ثم أدعه حتى يخمر ، ثم أخبز خبزى ، ثم أتوضأ للضحى ، ثم أخرج اليهم ..

وتهلل وجه عمر (رضى الله عنه) وقال : الحمد لله .. والثانية .. ؟

وتابع سعيد حديثه : وأما قولهم : لا اجيب احدا بليل ..

فوالله لقد كنت أكره ذكر السبب .. انى جعلت النهار لهم ، والليل لربى .

وأما قولهم : ان لى يومين فى الشهر لا أخرج فيهما ..

فليس لى خادم يغسل ثوبى ، وليس لى ثياب أبدلها فأنا أغسل ثوبى ثم أنتظر حتى يجف بعد حين . وفى آخر النهار أخرج اليهم .

واما قولهم : ان الغشية تأخذنى بين الحين والحين ..

فقد شهدت مصرع خبيب الأنصارى بمكة وقد بضعت قريش لحمه وحملوه على جذعة — وهم يقولون له : أتحب ان محمدا مكانك وانت سليم معافى .. ؟ فيجيبهم قائلا ، والله ما أحب انى فى أهلى وولدى .. معى عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوكة .

كلما ذكرت ذلك المشهد الذى رأيته وأنا يومئذ من المشركين ، ثم تذكرت تركى نصرة خبيب يومها ، الا وارتجف خوفا من عذاب الله .. ويغشانى الذى يغشانى ..

وانتهت كلمات (سعيد بن عامر) التى كانت تغادر شفتيه مبللة بدموعه الورعة الطاهرة .. ولم يتمالك عمر رضى الله تعالى عنه نفسه ونشوته فصاح من فرط حبوره : « الحمد لله الذى لم يخيب فراستى وعانق سعيدا وقبل جبهته المضيئة العالية ..

وثمة زاهد وأواب وورع آخر كانت ولاية حمص من نصيبه كذلك : هو عمير بن سعد الذى نجح أمام معايير عمر فى اختيار الولاة وارباب الوظائف الكبرى التى تمس حياة الناس ، وترتبط بمصائرهم .. فمن العجيب أنه كان يختارهم من الزاهدين الورعين ، والامناء الصادقين ، الذين يهربون من الامارة والولاية .. ولا يقبلونها الا تحت وطأة الضرورة ، وممارسة كافة الضغوط عليهم ، والا حين كان يكرهم عليها أمير المؤمنين

لقد كان عمر رغم بصيرته النافذة ، وخبرته المحيطة ، يستأنى طويلا ، ويدقق كثيرا فى اختيار ولاته ومعاونيه وكان لا يفتأ يردد عبارته المأثورة فيما يتعلق باختيار الولاة وارباب المناصب : « أريد رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرا عليهم بدا وكأنه أميرهم .. واذا كان فيهم وهو عليهم أمير بدا وكأنه واحد منهم لا يميزنفسه على الناس فى ملبس ولا فى مطعم ولا فى مسكن ، يقيم فيهم الصلاة ، ويقسم بينهم بالحق ، ويحكم فيهم بالعدل ، ولا يغلق بابه دون حوائجهم ».

وفى ضوء هذه المعايير الصارمة اختار عمير ابن سعد ليلى حمص . وحاول عمير أن يخلص منها وينجو . لكن عمر رضى الله عنه الزمه بها الزاما .. وفرضها عليه فرضا .. واستخار الله عمير ، ومضى الى واجبه وعمله .

وفى حمص مضى عليه عام كامل لم يصل منه الى المدينة شىء من الخراج ، بل ولم يبلغ منه أمير المؤمنين رضى الله عنه كتاب . ونادى أمير المؤمنين كاتبه : وقال له : اكتب الى عمير ليأتى الينا وذات يوم شهدت شوارع المدينة رجلا أشعث أغبر ، تغشاه وعثاء السفر ، يكاد يقتلع خطاه من الأرض اقتلاعا من طول ما لاقى من عناء وما بذل من جهد .. على كتفه اليمنى جراب وقصعة ، وعلى كتفه اليسرى قربة صغيرة فيها ماء ..

وانه ليتوكأ على عصا ، لا يؤودها حمله الضامر الوهنان .. ودلف الى مجلس عمر فى خطى وئيدة .. وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين .. ورد عمر السلام ثم سأله وقد آلمه ما رآه عليه من جهد واعياء : ما شأنك يا عمير ؟ فقال : شأنى ما ترى .. الست ترانى صحيح البدن .. طاهر الدم .. معى الدنيا أجرها بقرينها .. قال عمر : وما معك ؟ قال عمير : معى جرابى أحمل فيه زادى .. وقصعتى آكل فيها .. واداوتى أحملفيها وضوئى وشرابى وعصاى اتوكأ عليها ، واجاهد بها عدوا ان عرض فوالله ما الدنيا الا تبع لمتاعى ..

قال عمر : أجئت ماشيا من حمص .. ؟ قال عمير نعم ..

قال عمر : أولم تجد من يعطيك دابة تركبها ؟
قال عمير : انهم لم يفعلوا .. وانى لم أسألهم.
قال عمر : فماذا عملت فيما عهدنا اليك به ؟

قال عمير بن سعد : اتيت البلد الذى بعثتنى اليه . فجمعت صلحاء أهله ، ووليتهم جباية فيئهم وأموالهم حتى اذا جمعوها وضعتها فى مواضعها ولو بقى لك منها شىء لأتيتك به ..
فقال عمر : فما جئتنا بشىء ؟ قال عمير : لا .. فصاح عمر وهو منبهر سعيد .. جددوا لعمير عهدا .. فقال عمير : فى استغناء عظيم : لا عملت لك .. ولا لأحد بعدك .. بعدها ظل عمر حياته يتمنى على ربه ويقول : (وددت لو أن لى رجالا مثل عمير استعين بهم على أعمال المسلمين ..) .

وكان عمر رضى الله عنه على حق فيما كان يتمناه على ربه . ويرجوه من أجل مصالح المسلمين وبناء مجتمعهم المؤمن الآمن .. فيوم كتب على هذا الرجل العظيم أن يجتاز تجربة الولاية والحكم لم يزدد ورعه بها الا مضاء ونماء وتألقا .. لقد رسم هذا النموذج الفذ من الولاة وارباب المناصب ، والوظائف الكبرى فى مجتمع الايمان على عهد الرسول وخلفائه الراشدين (وهو أمير على حمص) واجبات الحاكم المسلمفى كلمات طالما كان يصرح بها فى حشود المسلمين من فوق منبر حمص : ومنها قوله : « الا أن الاسلام حائط منيع ، وباب وثيق، فحائط الاسلام العدل .. وبابه الحق . فاذا انقض الحائط وحطم الباب : استفتح الاسلام . ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولا ضربا بالسوط .. ولكن قضاء بالحق واخذا بالعدل وهذا بالضبط هو ما اكده ابن تيمية فيما بعد حين قال : ان الله تعالى يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة ، ولا يقيم الدولة الظالمة وان كانت مسلمة ..

وبعد : فأى حظ من الهدى ناله هذا الطراز من الخلق . وهذا النمط من الولاة . وارباب الوظائف الكبرى ؟ .. واى معلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ؟ وأى نور نافذ كان كتاب الله .. ؟ وأى مدرسة ملهمة ومعلمة كان الاسلام .. فهل تستطيع الأرض أن ترزق بحمل أمثال هذه النماذج ليتجلى مجتمع الايمان على الوجود مرة أخرى من جديد .. وهل تستطيع الأرحام ان تلد للحياة المعاصرة نظائرها اللهم أن ذلك ليس عليك بعزيز ..

لله درك .. يا عمر ..

الأستاذ مأمون غريب

كان الرسول العظيم محمد عليه الصلاة والسلام يقول :

((أصحابى كالنجوم .. بأيهم اقتديتم اهتديتم)) .

وهذا الحديث يوضح عظمة المدرسة الاسلامية التى خرجت قادة الاسلام الذين استطاعوا باستمساكهم بكتاب الله وسنة رسوله أن ينشروا نور الاسلام عبر قارات الدنيا كلها فى سنوات تعتبر قليلة جدا فى عمر الزمن ..

فما كاد الرسول الكريم يذهب الى جوار الله حتى أخذ أصحابه على عاتقهم المضى فى تبليغ الرسالة الى مختلف أقطار المعمورة .. فاذا بنا نرى ابا بكر الصديق .. هذا الانسان البسيط يقضى فى حروب الردة على المرتدين ويطهر الجزيرة العربية من مدعى النبوة والدجالين .. وهذه المسائل الشائكة ما كان يمكن القضاء عليها مدة واحدة . وكانت من الممكن أن تستغرق عشرات السنين .. ولكن الصديق الذى تربى فى مدرسة النبوة ، وجعل الاسلام منه شخصا له ارادة حديدية لا تعرف الضعف ولا تعرف أنصاف الحلول جعلته يدخل المعارك تلو المعارك فى الجزيرة العربية ضد المرتدين .. وخائرى الايمان ... وينتصر انتصارا خالدا .. ولكنه لا يكتفى بذلك بل ينفذ خطة النبى الكريم بارسال جيش أسامة لمواجهة الروم فى الشام .. وتكون هذه الحملة بداية الزحف الاسلامى الكبير الذى هو من الأعماق أعظم امبراطوريتين عرفهما التاريخ القديم وهما الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الفارسية ..

وينتقل ابو بكر الصديق الى جوار الله .. ويصبح عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين .. ونرى أنفسنا أمام انسان لا يجود الزمان بمثله .. انسان تربى تربية اسلامية خالصة على يد محمد عليه الصلاة والسلام .. واستوعب الاسلام ومبادئه الجليلة .. فاذا بهذا الرجل الذى كان يتيه صلفا وكبرياء وغرورا فى الجاهلية .. انسان يكاد يذوب رقة ورحمة وعدلا ..

جبار الجاهلية عمر بن الخطاب الذى ذهب ليقتل الرسول .. وفى الطريق يعلم من أحد المؤمنين أن أخته قد أسلمت فيذهب اليها ليعاقبها ويسمع آيات من سورة (طه) .. ويستجيب الله لدعاء نبيه الكريم بأن يعز الله الاسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب .. أو عمرو بن هشام .. فاذا بعمر بن الخطاب تدخل كلمات الله فى أعماق وجدانه .. ويذهب الى النبى ويعلن اسلامه .. ولكنه عمر .. انه لا يريد أن يعلن اسلامه فى

السر .. بل لابد ان يجاهر به .. ولابد ان تعلم باسلامه مكة كلها ..

وباسلامه دخل الاسلام مرحلة جديدة .. صحيح أنه زاد طغيان مكة وصلفها وتحديها للمسلمين .. ولكن قوة الاسلام المعنوية أخذت مسارا جديدا .. ان عمر بن الخطاب هنا انسان غيرته تعاليم الاسلام .. فأصبح سيفا من سيوف الله على باطل مكة وجهالتها ..

وعندما يهاجر لا يخشى أحدا ..

« من أراد أن تثكله أمه فليقابلنى وراء هذا الوادى » ..

لقد كان واحدا من الذين اعز الله بهم دينه .. ويرافق عمر رسول الله .. فى كفاحه وغزواته وفى نشر لتعاليم الدين الحنيف . .ويقترب من الرسول .. وينزل من علياء السماء قرآنا برأى عمر .. ويحب عمر الرسول حبا عظيما .. حتى وهو من هو من الرجال عندما يسمع عن وفاة الرسول لا يصدق ما يسمع .. أيمكن أن يموت رسول الله .. ؟ أيمكن لهذا الذى ملأ الأرض نورا وعدلا وسلاما أن يرحل من دنيانا ؟ أيمكن لهذه الشخصية المبهرة العظيمة وهى ملء الأسماع والابصار أن تموت ؟. . انه يشهر سيفه فى الوجوه التى يظهر عليها الحزن لوفاة الرسول الكريم وهو يقول :

ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله مات . وانه والله ما مات ، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران .والله ليرجعن رسول الله ، فليقطعن أيدى رجال زعموا أنه مات .. الا . لا أسمع أحدا يقول أن رسول الله مات . والا فلقت هامته بسيفى هذا ..

.. هل يمكن أن يصدر مثل هذا الكلام الا من انسان بلغ به الحب لرسول الله أن ينس فى لحظة هذا الحب الجارف أن الموت حق .. وأن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العظيم .. (انك ميت وانهم ميتون) ..

لم يفق ابن الخطاب من هول ما سمع الا بعد أن وصلت الى آذانه كلمات الصديق الصابرة المؤمنة ..

أيها الناس . .من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات .. ومن كان يعبد الله .. فان الله حى لا يموت ..

ثم يتلو قوله تعالى :

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

وعندما يتولى عمر الخلافة .. تتجلى عظمته التى حفظتها ذاكرة التاريخ .. فقد أكمل مسيرة خليفة رسول الله ابو بكر الصديق .. وفتح الله على يديه مدائن كسرى .. واندحرت جيوش الرومان .. وانتشر الاسلام فى آسيا وافريقيا وكل هذه الفتوحات زادت الخليفة تواضعا وزهدا وقربا من الله .. وزادته فى محاسبته نفسه وخوفه أن يظلم أحدا من رعيته .. ليس بينه وبين الناس حراس ولا حجاب .. وليس بينهم وبينه ما يحول دون أن يتقدموا اليه طالبين عدله .. أو رفع ظلم وقع على أحدهم من حاكم أو قائد .. وهو كله آذان صاغية لأية شكوى من الممكن أن تمس كرامة المسلم .. ويبلغ به العدل منتهاه .. فهو القدوة .. وهو المثل الأعلى .. خليفة تمتد امبراطوريته بصورة لم تكن تخطر على بال أحد ومع ذلك فهو يعيش حياة الزهد والتقشف كأقل مواطن من رعيته ..

وأى لوحة يمكن أن تهز مشاعر الانسان كتلك اللوحة الحية التى يلقيها علينا التاريخ .. تلك التى رواها احنف بن قيس ..

كنت مع عمر بن الخطاب فلقيه رجل فقال :

— يا أمير المؤمنين انطلق معى فأعنى على فلان فقد ظلمنى ؟ .

فرفع عمر درته وضرب بها رأس الرجل وقال له :

— تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم ، مقبل عليكم ، حتى اذا شغل بأمر من أمور المسلمين اتيتموه : أعدنى .. أعدنى ..

وانصرف الرجل غضبان .. وشعر عمر بأنه ظلم الرجل . . فاستدعى الرجل وطلب منه أن يثأر منه ويرفض الرجل بالطبع .. ويعود عمر الى منزله حزينا .. يعاتب نفسه ويحاسبها أشد الحساب ..

« يا ابن الخطاب ؟ كنت وضيعا فرفعك الله، وكنت ضالا فهداك الله ، وكنت ذليلا فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربته ، فماذا تقول لربك غدا اذا آتيته » ..

يا للعظمة .. عمر بن الخطاب .. وهو من هو عمر .. يحاسب نفسه على هفوة صغيرة كل هذا العتاب .

.. عمر هو نفسه الذى يقول لعلى بن ابى طالب :

— والذى بعث محمدا بالحق ، لو ان عنزا ذهبت بشاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة ! .

.. وعندما تقرأ رسائله الى ولاة الاقاليم يتضح لنا عمق هذه العدالة .. و .. ما اكثر القصص والروايات التى رويت عن عدله وبره وتقواه .. انه لا ينام اذا علم ان هناك من اضير أو أصابه اذى .. فهو فى هذه الحالة المسئول شخصيا عن

هذا الظلم .. ولو كان بينه وبين عمر فى المدينة آلاف الاميال ؟!

ويعجب الانســان من تلك الحياة المتقشفة الذى يعيشها خليفة يملك ما يملك .. وله من السلطة ما يلين له كل مطلب .. ولكنه يؤثر أن يعيش زاهدا .. وخزينة الدولة مليئة بالمــال .. ويكتفى بأقل من القليل .. حتى أننا نرى أقل رجل من الرعية لا يعيش تلك العيشة المتقشفة الذى يعيشها أمير المؤمنين .

يدخل عليه رجل من عامة المسلمين .. فيراه يأكل طعاما جافا يابسا .. ويطلب عمر من الرجل أن يشاركه الغذاء ولكن الرجل يرفض لأن ما يراه من طعام لا يشجعه على الاقدام على تناول الطعام ففطن عمر لذلك وتوجه الى الرجل قائلا :

ـ اترانى عاجزا عن أن آمر بصفار المعزى فيلقى عنها شعرها . وآمر برقاق البر فيخبز خبزا رقاقا ، وآمر بصاع من زبيب فيلقى فى سمن حتى اذا صار مثل هذا الجحل صب عليه الماء ، فيصبح كأنه دم غزال فآكل هذا واشرب هذا ؟

وقال له الرجــل : انك بطيب الطعام لخبير يا امير المؤمنين ورد عليه أمير المؤمنين :

والذى نفسى بيده .. لولا أن تنقص حسناتى لشاركتكم فى لين عيشكم ولو شئت لكنت أطيبكم طعاما .. وارفهكم عيشا ، ولنحن أعلم بطيب الطعام من أكليه . ولكننا ندعه يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت .. وتضع كل ذات حمل حملها .. وأنى لاستبقى طيباتى لانى سمعت الله تعالى يقول عن أقوام :

« أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها .. » .

والحديث عن عمــر بن الخطاب .. الخليفة العادل .. الذى تدين له امبراطورية فتية قهرت الفرس وقهرت الروم .. وتتأهب لنشر نور الله فى كل أرجاء الدنيا .. الحديث عنه وعن عدله ورحمته ورفقه بالمؤمنين لا تكفيه مجلدات .. ولكن هذه مجرد اشارة اصبع نحو عملاق العــدالة الاسلامية .. الذى لو اقتدى به حكام المسلمين لتغيرت الصورة تماما .. ولساد العدل والرحمة الجميع .. ولأظل الجميع عظمة مبادىء الاسلام.

ان هذا الحاكم الورع .. يلخص فى كلمــات قليلة ما تركته تعاليم الاســلام على نفســه .. وما طبعته مبادىء الاسلام فى أعماقه .. حتى جعلت جبار الجاهليــة .. أعظم عــادل عرفته البشرية .. انه يلخص كل أعماق نفسه بحديث له مع أحد صحابة رسول الله وهو عبد الرحمن ابن عوف ..

« يا عبد الرحمن .. لقــد لنت للناس حتى خشيت الله فى اللين ، ثم اشتددت حتى خشيت الله فى الشدة ، وأيم الله لأنا أشــد منهم فرقا وخوفا ؟ فاين المخرج » ؟..

كلمة :

■ لا يكفى أن تكون فى النور لترى ..
بل ينبغى أن يكون فى النور شىء تراه . !
عباس محمود العقاد

العلم والمدنية والإيمان

قالت عائشة رضى الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم متى يعرف الانسان ربه ؟ قال اذا عرف نفسه » :

وورد عن عبد الله بن وهب عن سفيان ان الخضر – على نبينا وعليه السلام – قال لموسى عليه السلام : يا ابن عمران : تعلم العلم لتعمل به ولا تتعلمه لتتحدث به فيكون عليك بوره ولغيرك نوره » .

ويقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه : انما زهد الناس فى طلب العلم ما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم »

ويقول ابو الدرداء رضى الله عنه : اخوف ما أخاف اذا وقفت بين يدى الله ان يقول لى قد علمت فماذا عملت ؟!!

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

وذلك لأن الله جعل العلم نورا **[ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور]** « والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل] .

ويقول أحد الحكماء خير العلم ما نفع وخير القول ما ردع .

وقال سفيان الثورى . تعلمنا العلم لغير الله تعالى فأبى الا ان يكون لله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهلك أمتى رجلان عالم فاجر وجاهل متعبد : فقيل يا رسول الله أى الناس شر ؟ . قال العلماء اذا فسدوا والأسلام يدعو للعلم الذى لايخالطه زيغ أو زيف يبعده عن الهدى وعن الطريق السوى .

والاسلام دين قوى يحترم المدنية الفاضلة التى قيدها الوحى ودعمها الايمان : ، والمدنية الاسلامية الحقة لن تكون همجية ولا اباحية ولافوضى، لأن الأسلام لايحرم الطيبات من الرزق ، وهو يأبى على المسلمين التبعية الذليلة ، فلا يرضى لاتباعه الا ان يكونوا اعزاء بعزة الأسلام اجلاء بجلاله ، ولكن المدنية اليوم جاءت بالعلم ، والعلم جاء بالقوة ، وجاءت القوة بالمشاكل ، ولا تحل هذه المشاكل الا بربط العلم بالأيمان ليتقى الناس شر العلم وشر القوة بالايمان السليم .

وفى الأيمان عصمة من كل زلل وخلل ، ووقاية من الهواجس والوساوس ، لأن الأنسان قد ينسى فيزل أو يجمد فيضل ، ثم هو قد يبدل نعمة الله كفرا .... **[ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ..] [كلا ان الأنسان ليطغى ان رآه استغنى ..]**

وفى الايمان الأمن والاطمئنان .

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » . «والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم » .

ولقد سعدت الانسانية بالاسلام حينا من الدهر وقد جاء القرآن فألزم اتباعه باتباع كل ما جاء من عند الله فى هذا القرآن الكريم **« فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى »** .

[وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون] .

ولقد استمد منه المسلمون الأولون مناهج حياتهم ، وقد اتخذوا من توجيهاته عناصر وحدتهم وقوتهم ومقومات كيانهم وكمالهم ، فكانوا رجالا أعزاء اجلاء اقوياء ، ... بقوة الأيمان ..

[وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ....]

وعقيدة الأسلام ازالت من اذهان الناس الخرافات ، ومحقت الاعيب الهوى والشيطان ، فاتجهوا لعبادة الله الواحد القهار ، **.[ان الهكم لواحد . رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق]** .

والقرآن مصدر الهداية الحقيقية **[ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين .]**

[وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين] .

[وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم] .

[انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا] .

[فذكر بالقرآن من يخاف وعيد] !!

وهذا القرآن قد انشأ فى النفوس الشجاعة والاباء والصراحة والوفاء ، وغرس فيها حرية وعزة وقوة وعدلا وامنا وسلاما . فهذا عمر بن الخطاب يخطب فى الناس وهو امير المؤمنين وخليفتهم فيقول :

ان رأيتم فى اعوجاجا فقومونى !

فيقوم رجل من عامة المسلمين فيقول :

والله لو راينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا .

فيقول عمر : **الحمدلله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر**

وهذه صورة اخرى من التربية القرآنية الرائعة .

لقد شهد الفضل بن الربيع عند القاضى ابى يوسف فرد شهادته ، وكان الفضل وزيرا للخليفة ، فشكاه الوزير للخليفة ، فعاتبه فقال ابو يوسف : لقد سمعته — يوما — يقول لك أنا عبدك ، فأن كان صادقا فلا شهادة للعبد ، وان كان كاذبا فلا شهادة للكذاب ! .

هذا هو اليقين الثابت والايمان الراسخ الذى يضىء قلوب المتقين بضياء القرآن المنزل على النبى المرسل فيملؤها نورا وتثبيتا ..

والدعوة المحمدية قامت على مخاطبة العقل والوجدان ، وتجردت من الضغط والقهر والاكراه على اعتناق الاسلام .

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » « لا اكراه فى الدين » .

ومن القرآن اتخذ الدعاة منهج الدعوة فاقرا ان شئت قول الله تعالى :

« حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذانناوقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحدفاستقيموااليه واستغفروه وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . »

ويربى القرآن المسلمين على مراقبة الله سرا وعلانية ليتكون الضمير الحى اليقظ الذى يحمى الذمة ويصون الامانة والله يقول : **(وهو معكماينما كنتم) .**

ويقول : **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار : عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار .**

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **البر ما سكنت اليه النفس واطمأن له القلب والأثم ما حاك فى الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس .**

والعلم النافع هو المستمد من كتاب الله وشرائعه ، وهو قادر على أن ينشىء على الفضائل ويربى على الخلق الكريم ويكون المدنية الفاضلة والحضارة النافعة :

ان الله سبحانه يخاطب عباده تكريما للادمى ، يخاطبه مخاطبة الخالق للمخلوق فى كتابه الخالد ، ليربى المسلمين على فضائل هذا الدين الاسلامى الكريم الذى جعله شرعة للناس ومنهاجا ، والله يقول :

« هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين . قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين » .

فاذا أراد المسلمون لأنفسهم ذرية طيبة فليتقوا الله فى اولادهم وليتجهوا بهم نحو تربية اسلامية سليمة على الاستقامة والاعتدال .

عن ابى نجيح العرياض بن سارية السلمى رضى الله عنه قال :

وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال :

اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد فانه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين : عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة » رواه ابو داود والترمذى .

اذا اراد المسلمون لبيوتهم امنا واستقرارا وارتياحا واطمئنانا فليعلموهم آداب الاسلام التى بينها رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو الذى يقول :

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت .

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره .

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .

رواه البخارى ومسلم

ويقول صلوات الله وسلامه عليه فى الاستقامة قل آمنت بالله ثم استقم

عن أبى عمرو عن سفيان بن عبد الله رضى عنه قال قلت يا رسول الله : قل لى فى الاسلام قولا لا أسال عنه أحدا غيرك قال : قل آمنت بالله ثم استقم :

ويقول حينما سأله رجل قائلا : **يارسول الله دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال : ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس .** (رواه ابن ماجه) .

ولابد للنفس البشرية من وازع او رادع .

لأن النفس البشرية لا تتحمل النعمة فالمال يطغيها والفقر يرديها ، ولكن التقوى تقويها وتقيها .

ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون .

والايمان الذى يجمع بين الهدى والعلم الذى فسره الرسول قولا وفعلا فى حياته الكريمة صلى الله عليه وسلم .

(البقية ص ١٠٩)

المساواة فى الإسلام عقيدة

ان السبل الحضارية الانسانية الواضحة .. التى اقترنت بالاسلام اقتضت اعلان كل المبادىء الخلقية والسلوكية النبيلة العريقة ... وترك كل مظاهر التخلف والرجعية المقيتة والتفرقة الظالمة فى دنيا الناس.

ومن السبل الحضارية للاسلام ومنهجه الديمقراطى فى الحياة الاجتماعية والسياسية تطبيق مبدأ المساواة دون تمييز بين الناس بسبب الجنس أو العرق .. أو اللون أو النسب أو الحسب أو الدين .. أو المنصب والجاه والسلطان أو سلطة الحكم .. وذلك تجاوبا مع عظمة الاسلام وجوهره .. واعتبار رسالته وتنظيماته وشرائعه رحمة للعالمين ...

الأستاذ عبد الحكيم النجار

.. والاسلام هو دين الخلود .. والمساواة والشورى والعدل .. وان شريعته هى نظام الحياة .. وان الشريعة الاسلامية سمحة تتواءم أحكامها فى يسر وطواعية من حاجات المجتمع وتستمد أحكامها من القرآن الكريم ..

قاعدة المساواة

ومن أجل ذلك حرص الاسلام على نزع السيادة من يد البشر لكى لا يتميز بها بعض الناس عن بعض فتختل قاعدة المساواة من أصولها .. وجعل دور الحاكم هو تنفيذ شريعة الله بما شملته من نصوص قطعية أو فيما فرضته من أصول ومبادىء كلية قابلة للتفصيل والتطبيق على ضوء احتياجات البشر فى كل زمان ... ! على أن يكون التفصيل والتطبيق فى الأصول والمبادىء الكلية بالتشاور بين الحاكمين والمحكومين فى كل ما يصدر من تشريع .. وبعبارة أخرى تكون السيادة لله وحده الذى يسيطر على هذا الكون ولا تسير شئونه الا بسيادته وقوته وحده . العادل المهيمن الحكم ..

وفى ظل هذا المعنى الواسع الشاسع نفهم قوله تعالى جلت قدرته وعظمت ايرادته ..

(ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) وقوله سبحانه (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) .

ومن ثم فلا سيادة لغير الله متمثلا فى شريعته (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) .

.. وفى ضوء ذلك يتجلى معنى قوله عز وجل : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) .

وقوله : **(يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم) .**

وقول سيدنا رسول الله : (كلكم لآدم وآدم من تراب) وقوله : (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى) .

[شريعة الله]

وليس فى وسع حاكم الخروج على شريعة الله بغير أن يسقط حقه فى طاعتهم له .. اذ ليس من طاعة لأحد فى معصية الخالق ولا طاعة فى معصيته ...

ولا تستند المساواة فى الاسلام الى فلسفة التوحيد واستئثار الخالق بالتشريع فحسب بل كذلك الى وحدة النشأة والمولد والمنتهى **(أيها**

الناس أن ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب . وان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

والناس جميعا حكاما ومحكومين خاضعون لهذه النشأة وهذا المصين فنيم التعالى والتسلط ...

وبهذا ينجلى بين أفراد المجتمع الاسلامى أن البشرية أسرة واحدة تربط بين اعضائها من البشر صلة دم ونسب ويتعاونون جميعا على ما فيه خير الأسرة وصلاحيتها ورفعتها ...

وفى ظل هذه المبادىء الاساسية للمساواة بين البشر نجد انحسار الفروق الشائعة التى عرفتها الانسانية بين الحاكم والمحكوم .. اذ ليس الحاكم الا شخصا من بينهم خصته جماعة من المسلمين بمسئولية كبيرة وعبء أشق ..

فها هو الرسول العظيم صلوات الله عليه وسلم يجلس بين الناس لا يتميز بشىء فى جلسته عمن يجالسهم .. سواء بمقعد أو بلباس .. حتى أن أحد المارة جاء ليسأل عن أمر يعنيه وقد دخل على الرسول الكريم فلم يستطع تمييزه عنهم .. فقال من منكم محمد بن عبد الله ؟ فأجابه الرسول بنفسه : أنا محمد رسول الله ..

حقا أن المساواة بين الناس اذن هى مظهر العدل الذى جاء به الأسلام بعد التوحيد .. وقد سار النبى الكريم فى اصحابه بمكة ثم بالمدينة سيرة قوامها العدل فى كل شىء من الأمور حتى استقر فى نفوس المسلمين ..

أن المساواة بوصفها مظهر العدل الشامل هو ركن من اركان الأسلام ..

[نماذج باهرة]

وهذا هو ابو بكر الصديق يعلن بصراحة : انى وليت هذا الأمر وانا له كارها والله لو ردت لو أن بعضكم كفانيه الا وانكم كلفتمونى أن اعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به . فان رسول الله صلوات الله عليه وسلم عبد أكرمه الله بالوحى وعصمه به ألا وانما أنا بشر لست باخير من احد منكم . اعونى فان رايتمونى استقمت فاتبعونى وان رايتمونى زغت فقومونى !! ..

ويأتى عمر بن الخطاب ابهر شخصية فى الأسلام ليقول : ان رايتم فى اعوجاجا فقومونى فيقول له رجل فيقول له : لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا فما يزيد عمر عن أن يقول : الحمد لله الذى جعل فى رعية عمر من يقومه بحد السيف .

وحينما اخذت طائفة من المسلمين على عثمان بن عفان رضى الله عنه .. بعض الأخطاء بشأن تفرغه فى شئون الحكم واسناد وظائفه لاقاربه فظاهرت عليه جموع منهم لمحاسبته على أعماله. وأبدى استعدادا كريما لاصلاح ما عسى أن يكون قد أخطأه التوفيق فى ابرامه وفى هذا يقول : أنى اتوب ولا أعود بشىء مما عابه المسلمون . فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من زل فليتب ومن أخطأ فليتب ولا يتمادى فى الهلكة .

فان من تمادى فى الجور كان ابعد عن الطريق وانا أول من اتعظ !!! ...

استغفر واتوب اليه . فاذا نزلت فليأتى اشرافكم فليردنى رأيهم فوالله لئن ردنى الى الحق عبد لأذلن ذل العبيد .. !

[المساواة فى الاسلام]

وهل اعظم فى الدلالة على المساواة فى الاسلام وعدم التمايز بين المسلمين من أن الاسلام ذاته لا ينسب المؤمنين به الى محمد كما ينسب جميع المؤمنين بدين معين الى نبيهم .. فينسب اليهود الى يهودا أو ينسب المسيحيون الى المسيح وينسب البوذيون الى بوذا . ولهذا دلالة قاطعة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا امتياز له على سائر المسلمين وليس سيدا مطاعا فيهم بغير النصح والقدوة والقول الحسن وليس قهارا عليهم وذا بطش على عقولهم وآرائهم ..

[الولاء السياسى]

وكل نوع من الطاعة والولاء يجب أن يكون خاضعا لله وحده ولتعاليمه التى جاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق الوحى ..

وطبيعة الولاء السياسى واضحة ومنظمة بايجاز شديد فى القرآن .. **(يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول).**

وهكذا تكون أوامر الله وتعاليم الرسول اللذان هما القرآن والسنة الفيصل النهائى فى كل الأمور والمنازعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وكلمة اخيرة ..

ان الاسلام كان شعاره منذ بدء أمره هو اقرار

الإعجاز العلمى للسنة النبوية

رعاية الأسرى

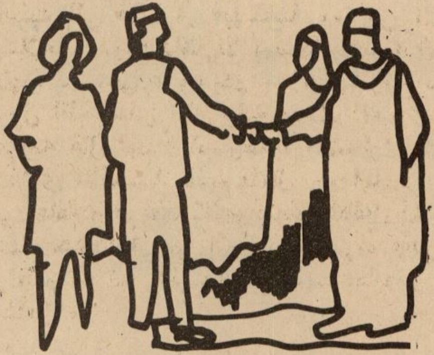

ان الأسير وهو جندى مقاتل قد شمر عن ساعده وشرع سلاحه يبغى قتل من يحاربه .. بل ويحرص على قتله وتدمير سلاحه .. الا انه قد غلب على أمره فانهزم ولم يقتل .. انما وقع حيا بين يدى من كان يحرص على قتله .. فهو بالدرجة الأولى عدو قد قهر وأصبح بين يدى أعدائه . يفعلون به كما يشاؤون .. ويتصرفون فيه كما يريدون ..

وقد بالغت كل الجماعات المتحاربة منذ عرفت الحرب وحتى الآن فى الاساءة الى الأسير .. فهو مكروه كراهية بالغة .. اذ أنه علاوة على أنه عدو للبلاد التى يقيم فيها أسيرا .. فهو قاتل ترصد واستعد وحاول ولكنه لسبب قهرى يخرج عن ارادته لم يستطع .. أو استطاع وقتل .. ثم أسر .

فكثيرا ما كان يطاف بالأسير فى الشوارع والطرقات حيث يتفرج عليه الناس اشباعا لغريزة النصر .. واعلانا عن حالة الفوز ولو الفوز الجزئى بهذا الأسير .. ولا شك أن الجمهور وهو يرى الأسير يحاول بعضه الاعتداء عليه .. لا سيما ممن قتل لهم فى الحرب شهيد . فيعتبرون أن هذا الأسير هو القاتل لعزيزهم الفقيد . وأيضا ممن لهم فى الميدان قريب فكأنهم بالعدوان على الأسير يخففون على بطلهم الضرب والقتال .. والبعض لا شك يحاول النيل من الأسير بالسخرية اللاذعة .. والتهكمات البالغة .. وقد تضيق الدولة بالأسرى لا سيما ان كانت جموعهم كثيرة .. واعدادهم غفيرة .. فتتركهم بلا رعاية . أو عناية لعل الموت يحد من عددهم .. ويخفف من كثرتهم .. وقد تسخرهم فى أعمال مهينة تتناسب مع شدة كراهيتها لهم باعتبارهم من الأعداء . بل أعدى الأعداء .. فهم حملة السلاح — وعدة القتال .. هم الأعداء المقاتلين .

لذلك فان مجتمع العصر الحديث وبعد أن تقدمت آفاق الفكر واتسعت رقعة الحضارة وتشابكت مصالح الدول وتقاربت الجماعات والشعوب وتعاطفت البلاد والأمم فان موضوع الأسرى كان من أهم ما عنيت به الدراسات الحديثة فعقدت المؤتمرات العالمية وقامت الاجتماعات الدولية وكلها تريد أن تضع معايير جديدة ومفاهيم انسانية للأسير .. فان كل دولة محاربة .. أيا كان قدرها . ومهما كانت نتائج قتالها لابدأن يقع منها أسير..ويقع فيها أسير.. فكان أن اهتم القانون الدولى للحرب والحياد بالأسرى فحدد واجبات يجب مراعاتها نحوهم بما يحقق حماية الأسير من أى مهانة أو عدوان .
كما تمنع عرضه على المشاهدين من الجماهير .. وتعمل على رعايته والعناية به وتغذيته وعلاجه

الدكتور عبد الرزاق نوفل

فيجوز تشغيله بالأعمال التى تناسب ثقافته وتتمشى مع قدراته على الا تضر بصحته أو سمعته والا تتصل بأعمال القتال .. كما انه يجب تبادل الأسرى بما يتم الاتفاق عليه من الناحية العددية والرتب العسكرية .

ومن عجب أن الأمة الوحيدة بين الأمم التى أحسنت الى الأسرى فيها .. هى الأمة الاسلامية . وما ذلك الا تمسكا بالسنة النبوية المطهرة .. ففى غزوة بدر .. عندما وزع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى على صحابته قال لهم (استوصوا بالأسارى خيرا) ثم فادى الأغنياء منهم بالمال .. أما من كانوا على ثقافة منهم فقد كلفهم بتعليم أطفال المسلمين وجعله حذارا لهم . وأما الفقراء فقد أطلق سراحهم ــ اذا كانوا لا يستطيعون تعليم الأطفال ..

وفى معركة حنين وقع أسرى بكثرة بالغة فى يد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد توزيعهم أقبل وفد هوازن ملتمسا من الرسول أن يرد عليهم الأسرى فقال صلى الله عليه وسلم **(أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم .. وإذا ما صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : انا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فساعطيكم عند ذلك وأسأل لكم)** .. وما ان قام الوفد بتنفيذ ذلك حتى اجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم (أما من كان له ولبنى عبد المطلب فهو لكم) وقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله وكذلك قال الأنصار .. وهكذا أعتق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى جميعا .. بصفح شامل .. وعفو كريم .. بل طالما تكلم ضد حضرة النبى فاقترح عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن ينزع ثنيتاه السفليتان حتى يصعب عليه الكلام .. فلم يوافق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالاحسان له وتوفير الرعاية الأساسية له .

فهل لو استجاب العالم لسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكان فى حاجة الى قوانين للحرب .. توضع ثم تعدل .. ثم تقرر ولا تنفذ .. صلى الله على سيدنا محمد الذى سبق العلم والحضارة بأربعة عشر قرنا من الزمان حينما وضع أسس رعاية الأسرى والاحسان لهم .

بقية مقال المساواة فى الاسلام

واحترام حقوق الانسان بشكل كامل فهو الشريعة الفريدة بين الشرائع التى ضمنت كل الحقوق فى الاحترام والمساواة من الناحية التطبيقية العملية. واكد حقوق الانسان فى الحرية والكرامة الانسانية والعدالة والأخاء والمساواة ..

ولقد كان القضاء الاسلامى مثلا رائعا فى تنفيذ وتطبيق تلك المفاهيم حتى أن اعمال المسلمين اصطبغت بهذا اللون الأخاذ من المساواة المادية والمعنوية فى عبادتهم واعرافهم وتقاليدهم وتعاليمهم واحكامهم القضائية حتى مع غير المسلمين ..

هذا هو الأسلام فى جوهره واعماقه .. وهذه هى المساواة فى الأسلام نوضحها ونقدمها للناس فى دنيا الناس ...

والله المستعان وهونعم المولى ونعم النصير..

بقية مقال العلوم والمدنية

ولقد كانت حياته صورة كاملة من خلق القرآن تمشى على الأرض هونا ولا يجد أحد فضل الاسلام على البشرية فهو الذى يأمر بطلب العلم ولو فى اقصى الدنيا .

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

« انما يخشى الله من عباده العلماء » ..

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

ما من الانبياء نبى الا اوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو ان اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة .

ولقد سرت روح الاسلام الى العرب فأحدثت فيهم تغييرا حيث اقاموا المدنية الفاضلة التى اعتمدت على النضوج الفكرى الذى احدث اعظم فتح للهداية والعلم والاصلاح وقد منحهم المنهج القرآنى كل خصائص الأمم القوية الناهضة حتى صاروا أمة بلغت من الحول والطول ما لم تبلغه أمم الأرض فى عصرهم .. فقد حولوا مجرى الحياة الى ما اراده منهم الاسلام .

التشريع الإسلامى والتيسير والرخص

الذين ينظرون الى التشريع الاسلامى من زاوية الشدة .. والعنف .. غريبون عن الاسلام ولم يعرفوا كل جوانبه . ولم يتفقهوا فى أصوله القائمة على اليسر .

ولقد لقيت خلال الأسابيع الماضية بعض نفر من المسلمين قد بلغوا مراحل عليا فى الثقافة ـ التعليمية ـ يأخذون أنفسهم بالشدة .. ولا يعرفون من الاسلام الا جانب العنف فى بعض المواقع .

ونسوا أن الاسلام حين نزل وبعد أن أصبح شريعة .. قد ألزم المسلمين ببعض هذه الجوانب حفاظا على المجتمع الاسلامى .. والكيان الاسلامى .. والدولة الاسلامية .

الأستاذ صلاح عزام

● فرجم الزانى أو جلده حسب ظروفه .. حماية للمجتمع كله من الانحراف .. ومن الفوضى الأخلاقية .. ومعنى أن يطبق هذا الحد فى شخص .. تحذيرا وانذارا للآخرين .. هو فى واقع الأمر فضل ورحمة .

● ومن قتل يقتل .. حد آخر .

● وحماية العرض والمال والنفس قواعد لا يختلف عليه اثنان .

ولكن ..

هل وقفت معالم الشريعة عند الحدود .. على هذا الجانب فقط ..

لا .. ان الدين يسر .. وما شاد أحدكم الدين الا غلبه ..

وهذه الشدة .. التى يلزم بها الاسلام اتباعه يقابلها يسر (شديد) أيضا فى مرافق ومجالات كلها .. فضلا من الله ورحمة .. وهو ما يطلق عليه (الرخص) وبهذا يأمرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) .

● فالمسلم لا يحب شرعا أن يأخذ نفسه بالشدة فى بعض الحالات كالافطار للمريض .. والقصر فى الصلاة للمسافر .. الخ .

● والقرآن الكريم دستور الاسلام الحنيف .. به عشرات الآيات الميسرة ..

ـ (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

ـ (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) .

ـ (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

ـ (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

ـ (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) .

● وسيد الخلق .. يعلمنا اليسر فى أمورنا فيقول عليه الصلاة والسلام .

ـ عليكم من العمل ما تطيقون .

ـ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا .

ـ رحم الله عبدا سمحا اذا باع وسمحا اذا اشترى وسمحا اذا اقتضى .

* * *

بل ان السماحة الاسلامية فى عدم الأخذ بالشدة العنيفة .. وأعظم مظهر لها (الخصومة) بين الفرقاء حتى ولو كانوا فى الدين .. ينهانا عنها الخالق جل وعلا فيأمرنا فى كتابه الكريم بقوله (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين**) .

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) .

* * *

اذا .. فالذين يأخذون معانى الشدة فى بعض جوانب الحياة .. على أنها مظهر شدة .. هم مخطئون لأن هذا الظاهر من العنف .. انما هو باطنه رحمة .. فتطبيق عنف واحد .. ينقذ ملايين من البشر من الخطيئة .. ويوفر الأمن فى مجتمع بأسره ويثرى الحياة بالسلام والهدوء ..

وأيضا .. فى التيسير على الانسان .. حماية للانسان .. حتى يصير قوة بناءة فى مجتمع اسلامى .. يقوم على الرحمة .

وهكذا تعلمنا .. وهكذا .. نبدأ يومنا وأعمالنا .. وحياتنا .. بكلمة الرحمن الرحيم .. (بسم الله الرحمن الرحيم) .

القصة الإسلامية

الزعامة للأوفى

الأستاذ
محمد عباس محمد

حديث الوفاء بين الناس كان ومايزال مما تطرب له النفوس فرحا بسماعه ، واحترام رأى الكبير مظهرمن مظاهر اصالة تربية الصغير ، وتحكيم العقل والدين للتمييز بين السلوك الحسن والسلوك السىء ، شاهد على رجاحة القوى الحاكمة لصاحبهما لاختيار أحسن السبل ، والنجابة ظاهرة روحية يفطن اليهاذوو الفراسة ، والنفس المشعة لا تكتفى بأن ترى العذب فترتوى منه وحدها ، أو تجتلى الجمال فتنعم بمحاسنه دون غيرها : أو تطرب لحديث فتخزنه فى سويدائها خوفا عليه من الذين يسمعونه فلا ينزلونه منزلته بين رءوس الحكمة .

هذه المعانى النفسية تفاعلت جميعها فى بوتقة خواطرى عقب قراءة ما كان من سعيد بن العاص الصحابى الحازم مع أولاده ، فأوحت الى القلم ما أنا ذاكره فى طيات القصة من تحليل، ولن يكون فى الأمر خلط ، الا أن تكون أنغام مؤتلفة أريد بها الحكمة ، وعرض انطباعات القصة بأسلوب لا يعتمد على الأصل .

كان لسعيد بن العاص اولاد كثيرون بلغ عددهم اكثر من خمسة عشر رجلا ، وكان من بينهم ولد سماه عمروا لمح فيه النجابة وقوة الشخصية .

لم تشغله ولايته للكوفة أيام حكم سيدنا عثمان بن عفان من أن يوحد بين ولايته الصغيرة، ويجمعهم على قلب رجل واحد ، فالجماعة لا تستقيم الا اذا كانت تحت رئاسة قوية حكيمة يكونون لها طوعا ، فالناس لا تصلح فوضى لا جامع بينها ولا وحدة تربطها ، والحاكم الناجح لا يكون موفقا فى سياسة أمته الا اذا كان حسن الرعاية فى منزله ، والمربى لا يصلح لتادية رسالته الا اذا كان أسوة حسنة لتلاميذه ، والناصح لا يكون صادق الدعوى الا اذا كان فعله دليلا على صدق كلامه .

وان الرجل الحكيم هو الذى يحسن الصنع فى دنياه ، ولا ينسى أن يعمل للموت الف حساب، فيستعد له قبل فوات الأوان .

من اجل هذا جمع الأمير سعيد بنيه ولم يدع عمروا معهم وقال « يا بنى قد عرفتم خبرة الوالد بولده ، وان أخاكم عمروا لذو همة واعدة (حان ثمارها) يسمو جده ، ويبعد صيته ، وتشتد شكيمته ، وانى آمركم أن نزل بى من الموت مالا محيص عنه ان تظاهروه ، وتآزروه ، وتعززوه، فانكم ان فعلتم ذلك ، يتألف بكم الكرام ، ويخسأ عنكم اللئام ، ويلبسكم عزا لا تنهجه (لا تبليه) الأيام .

لم يظهر للاولاد حكمة ابيهم فى الاختيار ، وعز عليهم ايثار عمرو عليهم وفيهم من يكبره عشر سنين ، ووقعوا فيما وقع فيه أخوة سيدنا يوسف الصديق ، فى ظن المحاباة بأبيهم بهذا الاختيار .

شـــــركة الجمهوريــــة
لتجارة الأدوية والكيمـاويات والمسـتلزمات الطبية
قطــــاع الـــدواء

منطقــــة الاســـــكندرية

٨ شـارع صلاح سـالم

تليفون : ٨٠١٦٧٩ ـ ٨٠٩٩٣٨

تقوم بدورها فى تنفيذ سياسة تصنيع الدواء محليا ، فتزود مصانع الدواء بكل الخامات الدوائية ، الى جانب توفير الكيماويات التحليلية والبيطرية فى فروع البيـع بالاسكندرية

فرع بيع الكيماويات ١ شارع أديب أسحق تليفون : ٨٠٨٨٣٩

وتوفر الشركة الاجهزة الطبية والعلمية فى فروع البيع الاتية :

فـرع بيـــع المستلزمات الطبيـة ١٠ شارع الاسـقفية
تليفون : ٢٩٩٥٢

فرع بيع المستلزمات الصيدلية ٣٤ شارع صفية زغلول ٠

وتقوم الشركة بتجهيز المستشفيات والوحدات الصحية ـ
كما تقوم باصلاح وصيانة الاجهزة الطبيــة والعلمية ٠

مركز صيانة واصلاح الاجهزة الطبية ١٠ شـارع الاسقفية
تليفون : ٢٥٨٥٩

والشركة من اموالكم وفى خدمتكم

الشركة المصرية لغزل ونسيج الصوف

دولتكس

فخر الصناعة المصرية في مجال الصوف

أقمشة حريمى
أقمشة رجالى
بطاطين
تريكو

المركز الرئيسى : شبرا الخيمة ت ٩٤١٨٦٦
الإدارة التجارية : مسطرد ت ٨٦٤٩٠٢
القاهرة : تلغرافيا "سفتيلا" ص.ب : ١٩٣٨
معارض البيع : شارع طلعت حرب
وشارع شبرا - وسوق الجيزة التجارى

١ = ٣

وهذا صحيح

ولأول مرة في تاريخ التأمين

مبالغ التأمين الأساسية

المستثمرة تتضاعف إلى اكثر من

ثلاثة أضعافها

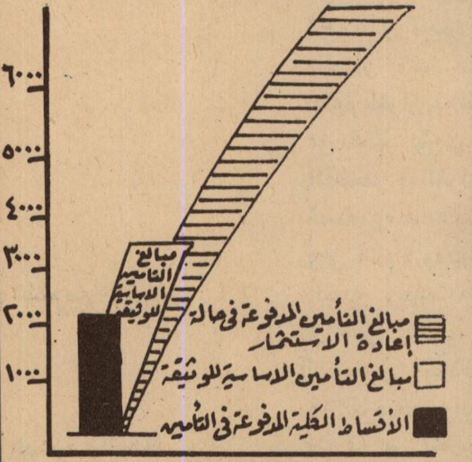

هذا هو أكبر استثمار تأميني

توفره لك الوثيقة

الماسية

لكافة الاستعلامات إملأ الكوبون المرفق وارسله إلى :

شركة التأمين الأهلية المصرية

القاهرة ٢٣ و٢٤ شارع قصر النيل تليفون ٩٧٩١٠٠

الاسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ٢٣٢٨ ٨٠

القاهرة ص.ب ٥٨٠ الاسكندرية : ص.ب ٤٤٦

الاسم ــــــــــــــــــــــــــــــ

العنوان ــــــــــــــــــــــــــــــ

شاهندة

فى هذا العدد

■ معالم الطريق

نص الكلمة التى القاها الرئيس المؤمن محمد انور السادات امام قوات رمزية من الصاعقة والطيران العائدين من مهمتهم فى قبرص . فى ١٩٧٨/٢/٢٢ ... ٤

■ دراسات قرانية

تفسير سورة آل عمران .... الأستاذ أحمد حسين ١٢

خصائص القصة القرآنية .... الأستاذ فتحى رضوان ١٩

« لا » أصلية فى القرآن الكريم .... الدكتور احمد كامل الحوفى ٢٣

من امثال القرآن .... الشيخ احمد كامل الخضرى ٢٥

التحليل النفسى للقصة القرآنية .... الدكتور عبد الغنى الراجحى ٢٨

القرآن وادعاءات الملحدين .... الأستاذ احمد زين ٣١

نسخ المصاحف بعد عهد الخلفاء .... الراشــدين .... الشيخ احمد على مرعى ٣٤

القرءات وتوجيهها من لغة العرب .... ســورة البقــرة .... الشيخ محمود حافظ برانق ٣٦

الأصيل والدخيل فى تفسير القرآن .... الدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد .. ٣٨

من اخلاق القرآن ـ الشوق إلى لقاء الله .... الدكتور احمد الشرباصى ٤١

تاملات فى البيان القرآنى .... البيــان القصــصى .... الدكتور ابراهيم عوضين ٤٣

علوم القرآن ـ النسخ وموهم الاختلاف .... الدكتور محمد عبد المنعم القيعى ٤٦

من دقائق القرآن .... الدكتور عبد المنعم سيد حسن ٤٨

القصص فى القرآن .... قصة يوسف عليه السلام .... الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف ٥١

وإن كنتم فى ريب من البعث .... الدكتور احمد حسنين القفل ٥٣

■ التشريع الاسلامى

الحدود وحكمة تشريعها واثر تطبيقها .... الشيخ محمد خاطر ٦٠

فى أصول الفقه ـ البيان .... الدكتور محمد سعاد جلال ٦٢

القضاء فى الاسلام حكم تعارض البينتين .... الدكتور محمد عبد المنعم خميس ٦٤

والآخرة خير وابقى .... الدكتور ابراهيم هلال ٦٥

■ الدعوة والدعاة

يشرف على تحريره منصور عبيد/فؤاد هيبه/على عيسى

حديث إلى الائمة ٦٨

منهج الاسلام فى تربية الشباب .... عــالمية الاســلام .... الشيخ منصور الرفاعى عبيد ٧٣

الحياء من الايمان .... الشيخ محمد ابراهيم ماضى ٧٦

■ التصوف الاسلامى

الصوفيه فى إلهامهم ـ شهود المحبه .... الأستاذ حسن كامل الملطاوى ٨٠

■ العلم والايمان

الشهيد يوسف السباعى .... الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ٨٦

فى ظلال الاسلام .... الأستاذ عبد العظيم منصور ٨٨

مكانة القيادة من دعوات الاصلاح .... الشيخ عبد الرحمن النجار ٩١

الحقيقة واحدة والجدل عقيم .... الأستاذ على عبد الهادى ٩٤

من ملامح وأخلاق مجتمع العلم والايمان .... الشيخ مصطفى الجندى ٩٧

لله درك يا عمر .... الأستاذ مأمون غريب ١٠١

العلم والمدنية والايمان .... الشيخ محمد حافظ سليمان ١٠٤

المساواة فى الاسلام عقيدة .... الأستاذ عبد الحكيم النجار ١٠٦

رعاية الأسرة .... الدكتور عبد الرزاق نوفل ١٠٨

التشريع الاسلامى والتيسير والرخص .... الأستاذ صلاح عزام ١١٠

■ القصة الاسلامية

الزعامة للأوفى .... الأستاذ محمد عباس محمد ١١٢

مركز خدمة ناشيونال

National

ناشيونال

● ٦ شارع الخطيب الدقي ت : ٩٨٥١٥٦/٨٤٨٥٥٢

- صيانة أجهزة تليفزيون ناشيونال الملون - "داخل وخارج الضمان" أجهزة الاستريو - الأجهزة المنزلية.
- توريد وتركيب وصيانة الدوائر التليفزيونية المغلقة - سنترالات التليفون الأوتوماتيكي - أجهزة الاتصال الداخلي - أجهزة التكييف متعددة الأجزاء - أجهزة الصوتيات تيكنيكس
- الاشراف على مراكز الخدمة المعتمدة والمنتشرة في أنحاء الجمهورية وتزويدها بقطع الغيار الأصلية.

مراكز الخدمة المعتمدة

المركز الهندسي لخدمة الأجهزة الإلكترونية	٥٧ ش الشهيد فريد سميكة مصر الجديدة	٩٦٩٢٣٦
بيت الراديو والتليفزيون	٢٦ ش مصر والسودان	٨٢-٠٦٤٠
معرض أبو علم	٤ ش صبري أبو علم	٥٠٧٩١
المؤسسة العربية للصيانة والالكترونيات	٣٢ ش فاطمة رشدي الأدبيج القاهرة	٨٥٤٢٩٧
مركز سمير بشبرا	٥٣ شارع أفرينو - شبرا الخيمة	٩٤٦٨٢٦
هناء للتليفزيون	٥٢٥ شارع بورسعيد - القاهرة	٩٣٠٠١٧
المركز الهندسي للصيانة	٩ شارع الشهيد فريد ندا - بنها الجديدة	٢٨٩٩
شركة الهدهد للصيانة	شارع الجلاء البحري - شبين الكوم	٢٧٧٧
مركز خدمة سعد الدين مراد	أمام عمر افندي - ميت غمر	٢٣-١
مؤسسة صلاح الدين للتليفزيون	٦١ شارع صفية زغلول الكندرية	٣٤٣٥٤
قريبا : معرض زين الدين	دمنهور	٢٢٣٣

لكافة الاستعلامات :

شركة النصر الفطيم للتجارة

تسلم السيارة من الملحق الجمركى لمركز التنمية والتجارة وجيه أباظة وشركاه الوكلاء الوحيدون لشركة بيجو الفرنسية بجمهورية مصر العربية

الأهرام مطابع الأهرام التجارية القاهرة